جمهورية مصر العربية

وزارة الأوقاف

المسـيرة الثقافية
للشعر العربي ومدارسه

د / محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

القاهـرة

١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾

(طه: ٢٥- ٢٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن الشعر ميزان كلام العرب ، وأحد أهم أعمدة بنائهم الثقافي، وقد كانت حفاوة العرب بالشعر بالغة منذ العصر الجاهلي ، حيث كانوا لا يهنأون بشيء مثل ما يهنأون بغلام يُولد ، أو شاعر يَنْبُغ ، أو فرس يُنْتِج ، وكانوا يعدون الشاعر بمثابة أحد أهم خطوط الدفاع الأولى عن القبيلة ، فهو الذراع الإعلامي لها ، يسجل مفاخرها ومآثرها ومناقبها ، وينافح خصومها ، ويرد لمن تسول له نفسه النيل منها الصاع صاعين .

ثم جاء رسولنا الكريم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فعرف للشعر قدره ، وللشعراء مكانتهم ، فعن أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً" ، ولما أنشده كعب بن زهير (رضي الله عنه) قصيدته الاعتذارية الشهيرة "بانت سعاد" التي يقول فيها:

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ الله أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ الله مَأْمُولُ

إِنَّ الرَّسُولَ لَنور يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيوفِ الله مَسْلُولُ

ألقى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بردته الشريفة عليه .

وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول: "علموا أولادكم السباحة والفروسية، ورووهم ما سار من المثل ، وما حسن من الشعر" ، وعن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: "عليكم بالشعر، فإنه يُعرب ألسنتكم" ، وكانت العرب تصف الرجل، إذا كان يكتب ويُحسن الرّمي ويُحسن السّباحة ويقول الشّعر، بالرجل الكامل .

وقال الجاحظ: كل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال ، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها .

وقال أبو هلال العسكري : ومما يفضل به الشعر غيره من الكلام والفنون والآداب طول بقائه على أفواه الرواة وامتداد الزمان الطويل به سماعًا وإسماعًا ، فهو تراث مُعَمّر ، مع استفاضته في الناس وانتشاره وبعد سيره في الآفاق؛ وليس شيء أسير من الشعر الجيد ، وهو في ذلك نظير الأمثال ، وقد قيل: لا شيء أسبق إلى الأسماع ، وأوقع في القلوب ، وأبقى على الليالي والأيام من مثل سائر وشعر نادر .

وقال ابن قتيبة عن الشعر : إنَّ الله جعله لعلوم العرب مستودعًا، ولآدابها حافظًا، ولأنسابها مقيدًا ، ولأخبارها ديوانًا لا يَرِثُّ على الدهر ، ولا يبيدُ على مرِّ الزمان.

وقد سلك الشعراء في تناولهم الشعر اتجاهات وطرائق عديدة ، وجمعت

بعضهم خصائص مشتركة ، وبرزت تلك الخصائص المشتركة لدى مجموعات منهم ، بما يشكل ما أطلق عليه المدارس الشعرية .

وفي هذا الكتاب نُلقي الضوء على المسيرة الثقافية للشعر العربي من خلال تناول نتاج اثنتي عشرة مدرسة من أهم مدارسه وأكثرها نضجًا وتأثيرًا وإبداعًا في فضاء الشعر العمودي عبر العصور الأدبية المختلفة قديمًا وحديثًا ، من حيث كون هذه المدارس تعبيرًا صادقًا ومرآة عاكسة للواقع العربي فكريًّا وثقافيًّا ، مع حرصنا الشديد على تناول هذه المسيرة برؤية أدبية تأريخية تنطلق من كون الأدب أدبًا والشعر شعرًا دون تكلف أو تعقيد ، آملين أن يكون إضافة في بابه ، وإضاءة كاشفة في مجاله .

والله من وراء القصد .. وهو الموفق والمستعان .

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
وأستاذ الأدب والنقد بجامعة الأزهر

المسيرة الثقافية
للشعر العربي ومدارسه

توطئة
الإســـلام والشـــعر

لم يقف الإسلام من الشعر موقف العداء، أو المواجهة، إنما عمل على تقويمه وتهذيبه بما يتفق ومبادئ هذا الدين ، فكما نهى عن الفحش من القول نهى عن الفاحش من الشعر، وكما أباح الطيب من سائر الكلام أباح الطيب من الشعر، وقد روي ما يفيد أنه (صلى الله عليه وسلم) كان ينظر إلى الشعر على أنه كلام مؤلف، فما وافق الحق منه فهو حسن، وما لم يوافق الحق فلا خير فيه، وأنه (صلى الله عليه وسلم) استمع إليه، وأثاب بعض قائليه، وأثنى عليهم، وحث في بعض المواقف على قوله، كما دعا في بعض المواقف إلى إنشاده.

لقد كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) أفصح العرب كافة ، ويصف الجاحظ كلامه (صلى الله عليه وسلم) فيقول : وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه ، وجَلَّ عن الصَّنعة ، ونُزِّه عن التكلف.. ، فلم ينطِقْ إلا عن مِيراثِ حكمَةٍ ، ولم يتكلَّم إلا بكلامٍ قد حُفَّ بالعصمة ، وشُيِّد بالتأييد ، ويُسِّرَ بالتوفيق ، وهو الكلامُ الذي ألقَى الله عليه المحبّةَ، وغشَّاهُ بالقَبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبَيْن حُسنِ الإفهام، وقلّة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقِلّةِ حاجة السامع إلى معاوَدته ، لم تسقط له كلمة ، ولا زَلّت به قَدَم ، ولا بارَتْ له حجَّة، ولم يَقُم له خَصم ، ولا أفحمه خطيب ، بل يبذُّ الخُطَبَ الطِّوال بالكلِم القِصار، ولا يَلتمِس إسكاتَ الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتجُّ إلا بالصِّدق ولا يطلب الفَلْج إلا بالحق ، ولا يستعين بالخِلابة ، ولا يستعمل الموارَبة ، ولا يهمِز ولا يَلْمِـز، ولا يُبْطِئ ولا يَعْجَـل ، ولا يُسْهِب ولا يَحْصَـر، ثم لم يَسْمع النـاسُ

بكلامٍ قَطّ أعمَّ نفعًا ، ولا أقصَدَ لفظًا ، ولا أعدلَ وزنًا ، ولا أجملَ مذهبًا، ولا أكرَم مطلبًا ، ولا أحسنَ موقعًا ، ولا أسهل مخرجًا ، ولا أفصح معنًى ، ولا أبين في فحوَى ، من كلامه (صلى الله عليه وسلم) كثيرًا[1].

وقد كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) أقدر العرب على تذوق الكلام ونقده ، وقد ذكر لنا الكتاب والرواة العديد من نماذج ثنائه (صلى الله عليه وسلم) على الجيد من الشعر ، ودعائه لقائليه ، وإثابته لبعضهم ، وتعليقه (صلى الله عليه وسلم) على بعض ما قالوا ، نذكر منها :

١. أنشد حسان (رضي الله عنه) قوله يرد على أبي سفيان بن الحارث:

هَجَوتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبتُ عَنهُ وَعِندَ الله في ذاكَ الجَزاءُ

فقال (صلى الله عليه وسلم): جزاؤك عند الله الجنة يا حسان ، فلما قال حسان (رضي الله عنه):

فَإِنَّ أَبي وَوالِدَهُ وَعِرضي لِعِرضِ مُحَمَّدٍ مِنكُم وِقاءُ

قال (صلى الله عليه وسلم) : وقاكَ اللهُ حرَّ النَّارِ ، فقضى له بالجنةِ مرتين في ساعةٍ واحدة[2].

٢. أتى النابغة الجعدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنشده قوله :

---

(١) البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، ص : ٢٢٤ . ط : دار صعب ، بيروت . الطبعة الأولى ، ١٩٦٨ . تحقيق: المحامي فوزي عطوي .

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ) ، ١/ ٥٣ ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط: دار الجيل ، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م .

أتيتُ رسـولَ الله إذ جـاءَ بالــهُدى ويَتْلُــو كتابًــا كــالمجرةِ نــيِّرَا
بلغْنَــا السَــماءَ مَجْــدنَا وجُــدُودُنَا وإنَّا لنرجُو فـوقَ ذلـكَ مَظْهـرَا

فقـال النبي (صلى الله عليه وسلم) : إلى أين يا أبا ليلى؟ فقـال : إلى الجنـة يا رسول الله ، قال: أجل إن شاء الله ، ثم أنشده الجعدي قوله :

ولا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إذا لم تَكُنْ لهُ بَوادرُ تحْمِي صفوَهُ أنْ يُكَــدَّرَا
ولا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إذا لمْ يَكُنْ لهُ حَلِيمٌ إذا ما أَوْرَدَ الأمرَ أصْدَرَا

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أجَدْتَ، لا يُفْضِضِ اللهُ فَاكَ، فبقِيَ عُمْرَه لم تَسْقطْ لهُ سِنٌّ، وكَانَ مُعَمِّرًا [1].

٣. مر النبي (صلى الله عليه وسلم) ومعه أبو بكر (رضي الله عنه) برجل يقول في بعض أزقة مكة:

يَا أيُّها الرجـلُ المحـولُ رَحلَـهُ هَــلَّا نزلــتَ بــآلِ عبــدِ الــدَّارِ

فقالَ النبيُ (صلى الله عليه وسلم) : يا أبَا بَكرٍ ، أهَكَذَا قالَ الشاعرُ ؟ قالَ : لا، يا رسولَ الله ، ولكنَّه قالَ :

يا أيُّها الرجَـلُ المحـولُ رَحلَـهُ هَلَّا سألتَ عن آلِ عبـدِ منـافِ

فقالَ (صلى الله عليه وسلم): هَكَذَا كنَّا نَسْمَعُهَا [2].

---

(١) انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة، ص١٨١، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ ، ودلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر ، ص٢١، ٢٢ ، تحقيق : محمود شاكر ، مكتبة الخانجي ، ١٩٨٤م ، وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: ١٧٠هـ) ، حققه وضبطه وزاد في شرحه : علي محمد البجاوي ، ص ٢٣ ، ط نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .

(٢) دلائل الإعجاز، ص ٢١، وانظر: الأمالي لأبي علي القالي، ١/ ٢٨٩، ٢٩٠، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٥م ، والشعر لمطرود بن كعب الخزاعي يرثي عبد المطلب جد النبي ﷺ.

٤. وعندما قال عبد الله بن رواحة:

نُجَالِدُ الناسَ عن عرضٍ ونأسِرُهُم فينـا النبـيُّ وفينَـا تَنْـزَلُ السُّـوَرُ

وقـدْ عَلِمْـتُمْ بأنَّـا لـيسَ يَغْلِبُنَـا حيٌّ منَ النَّاسِ إنْ عَزُّوا وإنْ كَثُـرُوا

فلما انتهى إلى قوله في النبي (صلى الله عليه وسلم):

فَثَبَّـتَ اللهُ مـا أعطـاكَ مِـنْ حُسْـنٍ تَثْبِيتَ مُوسَى ونصرًا كالذي نُصِرُوا

أقبل عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) بوجهه ، وقال : وإيَّاكَ فثَبِّتْ يا بنَ رَوَاحَة [١] .

٥. رُوي أن أم المؤمنين سودة بنت زمعة (رضي الله عنها) أنشدت قول قيس بن معدان الكلبي:

عَدِيٌّ وتيمٌ تَبْتَغِي مَنْ تُحَالفُ [٢]

فظنت عائشة وحفصة (رضي الله عنهما) أنها عرضت بهما ، وجرى بينهن كلام في هذا المعنى ، إذ كان أبو بكر (رضي الله عنه) من تيم قريش، وعمر (رضي الله عنه) من عدي قريش ، فأخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) بذلك فدخل عليهن ، وقال: "يا وَيْلِكُنَّ ، ليسَ في عَديِّكنَّ ولا تيمكُنَّ قِيلَ هذا ، وإنَّما قِيلَ هذا في عديِّ تميم وتيم تميم"[٣].

ألا تعجب من فطنته (صلى الله عليه وسلم) ومعرفته دقائق الأخبار؟!

---

(١) العمدة ، ١/ ٢١٠.

(٢) هذا عجز بيت ، وصدره : ألا من رأى العبدين أو ذُكِرا له؟ عدي وتيم...

(٣) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر، ص ٢٠.

٦. عن محمد بن سلمة الأنصاري قال : كنا يومًا عند النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال لحسان بن ثابت : أنشدني قصيدة من شعر الجاهلية ، فإن الله قد وضع عنا آثامها في شعرها وروايته ، فأنشده قصيدة للأعشى هجا بها علقمة بن علاثة يقول فيها:

عَلْقَمَ ما أنتَ إلى عامِرِ النَّاقضِ الأوتارَ والواترِ؟!

فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : يا حسان لا تعد تنشدني هذه القصيدة بعد مجلسك هذا ، فقال: يا رسول الله ، تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر؟ فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : يا حسان ، أشكر الناس للناس أشكرهم لله تعالى ، وإن قيصر سأل أبا سفيان عني فتناول مني – وفي رواية فشعث مني – وإنه سأل هذا – يعني علقمة بن علاثة – عني فأحسن القول، فشكره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على ذلك ، وروي أن حسان قال - بعد أن سمع ما سمع من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : يا رسول الله، من نالتك يده وجب علينا شكره [١].

٧. لما سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) قول كعب بن زهير[٢] قبل إسلامه يحذر أخاه بُجيرًا من اتباع الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيقول:

---

(١) دلائل الإعجاز، ص ١٩، وقضاء الحوائج لأبي بكر ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) ، ص٧٤ ، تحقيق : مجدي السيد إبراهيم ، مكتبة القرآن ، القاهرة .

(٢) هو: كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني ، نشأ في بيت من أعرق بيوت الجاهلية شعرًا، فأبوه زهير، وجده أبو سلمى- واسمه ربيعة- وأخوه بجير، وخال أبيه بشامة بن الغدير كلهم شعراء ، وقد اتصل الشعر في جماعة من أبناء زهير حتى قيل: إنه لم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في=

ألا أبلغَــا عنِّــي بُجَــيرًا رســالةً فهلْ لكَ فيما قلتَ ويحكَ هلْ لكَا
ســقاكَ بهــا المــأمونُ كأسًــا رويَّــةً فأنهلــكَ المــأمونُ منهــا وعلَّكَــا
ففارقتَ أسبابَ الـهُدَى واتبعتَـهُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَيْـبَ غَـيْرِكَ دَلَّكَـا
عــلى خُــلُقٍ لم تُلْــفِ أُمًّــا ولا أبًــا عليه ولــم تُــدْرِكْ علــيه أَخًــا لكا

فما سمع (صلى الله عليه وسلم) قوله: "سقاك بها المأمون" قال: مأمون والله – فقد كانوا يسمون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المأمون – ولما سمع قوله: خُــلُقٍ لم تُلْــفِ أُمًّــا ولا أبًــا.. البيت ، قال (صلى الله عليه وسلم): أجل ، لم يلف عليه أباه ولا أمه ، ثم قال: من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله ، ثم جاءه كعب تائبًا ، وأنشده قصيدته التي مطلعها:

بَانتْ سُعادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ مُتَيَّــمٌ إِثْــرَها لم يُفْدَ مكبُــولُ

فلما انتهى إلى قوله:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنــور يُسْتَضَــاءُ بِــهِ مُهَنَّدٌ مِــنْ سُــيوفِ الله مَسْــلُولُ

ألقى النبي (صلى الله عليه وسلــم) عليه بــردة كان يلبسهــا [1] ، ويــروى أن النبي

= الجاهلية ما اتصل في ولد زهير. (انظر ترجمته في : خزانة الأدب للبغدادي، ٤/ ١١-١٢ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الخانجي، القاهرة ، ١٩٩٧م ، وعيون الأثر لابن سيد الناس، ٢/ ٢٠٨ ، دار القلم ، بيروت ١٤١٤هـ -١٩٩٣م).

(١) راجع : شرح قصيدة كعب بن زهير لابن هشام ، ص ٣٣ وما بعدها، طبع البابي الحلبي، مصر، ١٣٧١هـ، والحديث بلفظ مقارب ، أخرجه الحاكم في المستدرك في الصحيحين ، كتاب معرفة الصحابة (رضي الله تعالى عنهم) ، ذكر كعب وبجير ابني زهير (رضي الله تعالى عنه) ، حديث رقم ٦٤٨٠ ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٠م.

(صلى الله عليه وسلم) أصلح البيت ، إذ قال كعب: مهند من سيوف الهند ، فقال (صلى الله عليه وسلم): من سيوف الله [1]؛ فأقام اللفظ والمعنى.

فلما وصل كعب إلى قوله في وصف أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم):

في فِتيـةٍ مِـن قُـريشٍ قـالَ قَـائِلُهُم ... بـبَطْنِ مَكَّـةَ لَمَّـا أَسْـلَمُوا زُولُـوا [2]

زالـوا فـما زَالَ أَنْكَـاسٌ ولا كُشُـفٌ ... عنـدَ اللقـاءِ ولا مِيـلٌ مَعازِيـلُ [3]

شُـمُّ الْعَـرانينِ أَبطـالٌ لَبُوسُـهُمُ ... مِن نَسْجِ دَاوُدَ في الْهَيْجَا سَرابِيـلُ [4]

لا يَفرَحـونَ إذا نَالَـتْ رِمـاحُهمُ ... قومًا وليسـوا مَجَازِيعًـا إذا نِيلُـوا [5]

جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) ينظر إلى من كان بحضرته من قريش كأنه يومئ إليهم أن اسمعوا [6].

---

(١) انظر: محاضرات في النقد الأدبي ، أ.د/ محمد عرفة المغربي ، ص ٣٧.

(٢) زولوا: انتقلوا من مكة إلى المدينة، يعني الأمر بالهجرة.

(٣) الأنكاس: جمع نكس، وهو الضعيف المهين. الكشف: جمع أكشف، وهو من لا ترس معه في الحرب. الميل: جمع أميل، وهو الذي لا سيف معه ، أو الذي لا يحسن الركوب. المعازيل: جمع معزال، وهو الذي لا سلاح معه.

(٤) الشم: جمع أشم، وهو الذي في قصبة أنفه علو مع استواء أعلاه. العرانين: جمع عرنين وهو الأنف، والمراد أن فيهم استعلاء وأنفة . السرابيل: جمع سربال، وهو الدرع أو كل ما يلبس في الحرب.

(٥) مجازيع: جمع مجزاع، وهو الشديد الجزع.

(٦) انظر: شرح قصيدة كعب بن زهير لابن هشام ، ص ٢٧٢، ودلائل الإعجاز للجرجاني ص٢٣ ، والمستدرك للحاكم ، كتاب معرفة الصحابة (رضي الله عنهم) ، ذِكْرُ كَعْبِ وَبُجَيْرٍ ابْنَيْ زُهَيْرٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا)، حديث رقم ٦٤٧٧ .

٨. روي أن الأعشى[١] خرج يريد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فقال شعرًا ، حتى إذا كان ببعض الطريق نفرت به راحلته فقتلته ، ولما أنشد – بالبناء للمجهول – شعره الذي يقول فيه [٢]:

فَآلَيْتُ لا أَرْثِي لَهَا مِنْ كَلالَةٍ وَلا مِن حَفًا حَتّى تلاقي مُحَمَّدا

مَتى ما تُناخي عِندَ بابِ ابنِ هاشِمٍ تُريحي وَتَلقي مِن فَواضِلِهِ يَدا

قال النبي (صلى الله عليه وسلم): كاد ينجو ولما [٣]، أي : ولم يحصل له الفوز بالإسلام والنجاة.

٩. وفي كتاب الأغاني أن النبي (صلى الله عليه وسلم) علق على شعر ثلاثة من الأنصار حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، فقال: "أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال

---

(١) هو: الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل ، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي ، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس ، ويقال له: أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، ذكر الجمحي أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حجر، وأهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى ، وأن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيرًا والنابغة ، كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس ، غزير الشعر يسلك فيه كل مسلك ، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعرًا منه ، عاش عمرًا طويلًا وأدرك الإسلام ولم يسلم ، ولقب بالأعشى لضعف بصره ، وعمي في أواخر عمره، مولده ووفاته في قرية (منفوحة) باليمامة قرب مدينة الرياض ، وفيها داره وبها قبره ، مات ٧هـ- ٦٢٩م. (انظر: طبقات فحول الشعراء، ١/ ٥٢ ، والشعر والشعراء، ١/ ٢٥٠- ٢٥٨).

(٢) ديوان الأعشى لأبي بصير ميمون بن قيس بن جندل المعروف بأعشى قيس ، (ت ٧هـ) ، ص٤٣.

(٣) جمهرة أشعار العرب لابن زيد القرشي ، ص ٦٧.

وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فَشَفَى وَاشْتَفَى "[1].

وحقًّا إن حسان يتقدم صاحبيه في الشعر بصفة عامة ، فهو أشعر شعراء المدينة[2]، وفي هجاء أعداء الإسلام بصفة خاصة ، إذ بلغ فيه درجة جعلت الأعداء يرهبون لسانه ، "ولقسوة هجائه استعاذ الحارث بن عوف منه بالرسول (صلى الله عليه وسلم) قائلًا : يا محمد، أنا عائذ بك من شعره فلو مزج البحر بشعره مزجه"[3].

١٠. وفي مجال الاستحسان كان (صلى الله عليه وسلم) كثيرًا ما يقول : للسيدة عائشة (رضي الله عنه) : ما فعلت أبياتك ، فتنشده :

ارفَع ضَعيفَكَ لا يُحِرْ بِكَ ضَعفُه يَومًا فَتُدرِكَهُ العَواقِبُ قَد نَما
يَجزيكَ أَو يُثني عَلَيكَ وَإِنَّ مَن أَثنى عَلَيكَ بِما فَعَلتَ فَقَد جَزى

فيقول (صلى الله عليه وسلم) : " يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده : صنع إليك عبدي معروفًا فهل شكرته عليه؟ فيقول : يارب ، علمت أنه منك فشَكَرتُك عليه"، قال : فيقول الله (عز وجل) : لم تَشْكُرْني ، إذ لم تشكُر من أجرَيْتَه على يدَيه " [4].

---

(١) الأغاني للأصفهاني ، وهو: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصفهاني (المتوفى: ٣٥٦ هـ) ، ٤/ ٦، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

(٢) انظر: طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام، ١/ ٢١٥ ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة.

(٣) حسان بن ثابت لمحمد إبراهيم جمعة ، ص ٥٨، ط دار المعارف.

(٤) دلائل الإعجاز، ص ١٩، ٢٠، وقد ذكر الشيخ محمود شاكر في تحقيقه أن الحديث أخرجه =

وعندما سمع (صلى الله عليه وسلم) قول قتيلة بنت النضر بن الحارث تبكي أباها ، وتعتب على النبي (صلى الله عليه وسلم) في قتله ، فتقول:

يـا راكبًـا إنَّ الأثـيـــلَ مـظـنَّـةٌ مِنْ صُبـحِ خامسـةٍ وأنتَ موفَّـقُ
أبـلـــغ به مَيْتـًا بـأن قـصـيـدةً مـا إنْ تـزالُ بها الركائبُ تخفُـــقُ
منِّي إليـــه، وعَبْـرةٌ مسفـوحـةٌ جـادتْ لمائِحِها وأُخْـرى تخنُـقُ
فليسمـعـنَّ النضـرُ إنْ نـاديتُـــهُ أمْ كيـفَ يَسْمـعُ ميتٌ لا ينطـقُ؟
ظلتْ سيـوفُ بني أبيـه تنوشُـهُ لله أرحـــامٌ هنـــــاكَ تشقَـقُ
قسرًا يُقاد إلى المَنِيـــَّـــةِ مُتْعبًـا رسفُ المقيدِ وهُـو عانٍ موثَـــقُ
أمحمدٌ هـا أنتَ نجـلُ نجيـبـةٍ مِنْ قومِـها والفـحلُ فحلٌ مُعْـرِقُ
ما كانَ ضَـرَّكَ لو مننتَ وربَّمـا مَنَّ الفتى وهو المغيـظُ المحنَـقُ
والنضرُ أقربُ من قتلتَ وسيـلةٍ وأحقُّهـــــم إنْ كان عِتقٌ يُعْتَقُ

قال (صلى الله عليه وسلم): لو بَلغَنِي هذا قبلَ قَتْلِه لمننتُ علَيهِ [1].

أما قوله تعالى: {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا الله كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ

= البيهقي في السنن الصغرى ، كتاب السير ، باب ما يفعل بالرجال البالغين بعد الأسر، حديث رقم ٢٨٢٦ ، والطبراني في المعجم الأوسط ، ٤/ ١٦٣، والشعر والشعراء ، ١/ ٣٦٩ .

(١) العمدة، ١/ ٥٦، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ٤٢، ٤٣ ، حققه: مصطفى السقا وآخرون، طبع مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ}[1]، فواضح أنه لم يحرم الشعر، إنما صنف الشعراء ، فالحكم الأول على الشعراء نزل – على ما روى ابن عباس – في شعراء المشركين عبد الله بن الزبعرى ، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ، ومسافع بن عبد مناف ، وأبي عزة الجمحي ، وأمية بن أبي الصلت ، قالوا: نحن نقول مثل قول محمد، وكانوا يهجونه، ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يسمعون أشعارهم وأهاجيهم، فنزلت فيهم الآية [2].

أما الاستثناء فنزل في رهط من الأنصار كانوا ينافحون ويدافعون عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، منهم : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وقد روي أنه لما نزل قوله تعالى: {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ } جاءوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهم يبكون ، فقالوا : يا رسول الله ، لقد أنزل الله تعالى هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء ، هلكنا ، فأنزل الله تعالى: { إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ }، فدعاهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فتلاها عليهم [3].

وأما قوله تعالى: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ }[4] ، فهو تنزيه للنبي (صلى الله عليه وسلم) عن قول الشعر حتى لا

---

(١) سورة الشعراء: الآيات ٢٢٤-٢٢٧.

(٢) روح المعاني للآلوسي، ١٩/ ١٤٦، تحقيق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط:١، ١٤١٥هـ.

(٣) المرجع السابق ١٩/ ١٤٧، والحديث في مصنف ابن أبي شيبة ، كتاب الأدب ، باب الرخصة في الشعر ، حديث رقم ٢٦٠٥١. بلفظ مقارب .

(٤) سورة يس: الآية ٦٩.

يقال: إنه شاعر أو إن القرآن لون من ألوان الشعر، وإذا كان كفار قريش قد افتروا ذلك ، ورموا به النبي (صلى الله عليه وسلم) ظلمًا وبهتانًا ، وهو من ذلك براء ، فما بالكم لو كان النبي (صلى الله عليه وسلم) شاعرًا؟ على أن نفي الشعر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) لا يغض من شأن الشعر، وإلا لكان في أميته (صلى الله عليه وسلم) غضٌّ من شأن القراءة والكتابة، وهذا ما لم يقل به أحد ، بل إن النبي (صلى الله عليه وسلم) جعل فداء بعض الأسرى في يوم بدر تعليم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة [1].

وأما قوله (صلى الله عليه وسلم) : " لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا يَرِيهِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا "[2]، فحمله الشافعي (رحمه الله) على الشعر المشتمل على الفحش ، وسمعت السيدة عائشة (رضي الله عنها) أن أبا هريرة يروي هذا الحديث ، فقالت : "رحم الله أبا هريرة، إنما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا أَوْ دَمًا ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا هُجِيتُ بِهِ" [3].

وقيل: إنما المقصود بالذم هو من غلب الشعر على قلبه، وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه ، ومنعه من ذكر الله وتلاوة القرآن [4].

---

(١) طبقات ابن سعد، ٢/ ١٤، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، ط: ١، ١٩٦٨م.

(٢) يريه: يفسده ، والحديث متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر ، حديث رقم ٦١٥٤ ، وصحيح مسلم ، كتاب الشعر، رقم ٢٢٥٨.

(٣) راجع: روح المعاني للآلوسي ١٩/ ١٥، ودلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر، ص ١٦ ، والحديث في مسند أبي يعلى ، رقم ٢٠٥٦.

(٤) العمدة ١/ ٣٢.

يقول الإمام عبد القاهر في الرد على من يكره الشعر: نعم ، وكيف رويت هذا الحديث ولهجت به ، وتركت قوله (صلى الله عليه وسلم) : إن من الشعر لحكمة ، وإن من البيان لسحرًا؟ [1] وكيف نسيت أمره (صلى الله عليه وسلم) بقول الشعر ، ووعده عليه الجنة ، وقوله لحسان : " قل وروح القدس معك"[2]، وسماعه له ، واستنشاده إياه ، وعلمه (صلى الله عليه وسلم) به ، واستحسانه له ، وارتياحه عند سماعه[3].

فالسنة العملية توجب صرف الذم والتقبيح لنوع من الشعر يخالف صراحة الدين وتعاليمه ، ويدعو إلى قيم الجاهلية ومثلها ، وهذا هو المعنى الذي توحي به الآيات الكريمة في سورة الشعراء [4].

* * *

(١) انظر : المستدرك للحاكم ، كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ) ، ذِكْرُ عَمْرِو بْنِ الْأَهْتَمِ الْمِنْقَرِيِّ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) ، حديث رقم ٦٥٦٩، والمعجم الأوسط للطبراني ، حديث رقم ٧٦٧١، بلفظ : "إن من البيان لسحرًا ، وإن من الشِّعر لحكمًا "، وأخرج البخاري جزءًا منه (إن من البيان لسحرًا) ، صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الخطبة ، حديث رقم ٥١٤٦.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل حسان بن ثابت ، حديث رقم ٢٤٩٠ . بلفظ (إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله).

(٣) دلائل الإعجاز ، ١٦، ١٧.

(٤) معالم على طريق النقد القديم د/ رجاء عبد المنعم جبر، ص ٥٨، ط مكتبة الشباب ، القاهرة .

المبحث الأول

مدرسة المعلقات

المبحث الأول
مدرسة المعلقـــات

يختلف النقاد في أمر المعلقات من حيث تسميتها ، وعددها ، وأصحابها.

أما من حيث تسميتها ، فيرى بعض النقاد أنهـا سـميت بــ (المعلقـات) لأنهم كانوا يعلقونها على أركان الكعبة ، يقول ابن رشيق : وكانت المعلقات تسمى المذهبات ؛ وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبـت في القبـاطي بماء الذهب وعُلقت على الكعبة ، فلذلك يقال : مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره[١].

ويقول ابن عبد ربه [٢]: كان الشعر ديوان خاصة العــرب ، والمنظــوم من كلامهـــا ، والمقيد لأيامهـــا ، والشاهـــد عـلى أحكامهـــا ، حتـى لقـد بلـــغ من كلـف العـــرب بـه وتفضيلهـــا لـه أن عمـدت إلى سـبع قصائـــد تخيرتهـــا مـن الشـعر القـديم فكتبتهـا بـماء الـذهب في القبـاطي المدرجة ، وعلقتهـــا في أستار الكعبة ، فمنه يقال : مذهبة امرئ القيس[٣]،

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ١/ ٩٦ .

(٢) هو: أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي، ولد ٢٤٦هـ ، كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على أخبار الناس، وله ديوان شعر جيد، توفي ٣٢٨هـ. (انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ١١٠، تحقيق : حسين عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٢م ، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ١٥/ ٢٨٣، ط : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة : ١٩٨٥م).

(٣) هو: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، من أشهر فحول شعراء الجاهلية وشعراء العرب على الإطلاق ، حتى قال عنه لبيد بن ربيعة : "أشعر الناس ذو القروح"، يعني امرأ القيس ، يماني الأصل، ولد بنجد ، وكان أبوه ملكًا على قبيلتي أسد وغطفان ، وخاله المهلهل الشاعر الشهير ، وكانت فارس ساخطـة على (آباء امرئ القيس) فأوعزت إلى ملك العراق =

ومذهبة زهير[1]، والمذهبات السبع ، وقد يقال لها: المعلقات [2].

ويقول البغدادي: ومعنى المعلقة أن العرب كانت في الجاهلية يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الأرض فلا يعبأ به ، ولا ينشده أحد حتى يأتي مكة في موسم الحج ، فيعرضه على أندية قريش ، فإن استحسنوه روي وكان فخرًا لقائله ، وعلق على ركن من أركان الكعبة حتى ينظر إليه ، وإن لم يستحسنوه طرح ولم يعبأ به[3].

ويرى بعضهم أن التعليق كان معنويًّا ، وأنها سميت بالمعلقات لعلاقتها- أي نفاستها - وتعلق القلوب بها ، وتعارف القوم على مكانتها ، وعنايتهم بحفظها وروايتها، وتناقلهم إياها، وتعليقهم عليها، أو دراستهم لها، وأقدم من أنكر خبر التعليق على الكعبة أبو جعفر النحاس المتوفى

= بطلب امرئ القيس ، فطاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السموءل ، فأجاره ومكث عنده مدة، مات نحو٨٠ ق هـ- نحو ٥٤٢م. (انظر: طبقات فحول الشعراء ١/ ٥١ ، والشعر والشعراء ١/ ١٠٧- ١٣٧).

(١) هو : زهير بن ربيعة الملقب بأبي سلمى ، من قبيلة مزينة من مضر، كان يقيم هو وقومه في بلاد غطفان ، وأسرته أسرة شاعرة ومن المجيدين في الشعر، وزهير من شعراء الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية ، وتسمى كبار قصائده "الحوليات"؛ لأنه كان ينقحها مدة طويلة. (انظر: أشعار الشعراء الستة الجاهليين ، ص٤٢-٤٥).

(٢) العقد الفريد لأبي عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ، المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ) ٣ / ٨٩ ، ط دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ .

(٣) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ) ، ١/ ١٢٥-١٢٦ ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، ط مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م .

٣٣٨هـ ، حيث ذكر أنه لم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة [١]، وأيده في ذلك مصطفى صادق الرافعي حيث ذكر أنه ليس ببعيد أن يكون ابن الكلبي – وهو من متأخري الرواة – أو غيره اختلق خبر التعليق ليصرف وجوه الناس إلى هذه القصائد [٢]، في حين عد الدكتور/ شوقي ضيف خبر التعليق من باب الأساطير [٣] .

وعلى هذا سار بعض النقاد في أن التعليق كان معنويًّا ، لكلف الناس بها وحبهم لها ، فكأنهم عشقوها وتعلقوا بها [٤]، كما أن حال الكتابة لم يكن ليسمح في العصر الجاهلي بكتابة هذه القصائد الطوال وتعليقها على أستار الكعبة، فضلًا عن كتابتها بماء الذهب – كما تذكر بعض الروايات – وذلك لأن أمر الكتابة في العصر الجاهلي كان محدودًا ، وكانت أدواتها بدائية إلى حد كبير، حيث الكتابة على الأحجار والعظام وسعف النخيل وبعض الرقع من الجلد، وهو ما أميل إليه .

وسواء أكان التعليق حسيًّا أم معنويًّا ، فإن الذي يعنينا في أمر هذه القصائد إنما هو اختيارهم لها واستجادتهم إياها ، وهو ما عبر عنه صاحب "العمدة" بقوله: لأنها اختيرت من سائر الشعر. وصاحب "العقد"

---

(١) انظر: معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، ٣/ ١٢٠٤ ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

(٢) تاريخ آداب العرب ، مصطفى الرافعي ، ٣/ ١٢٤–١٢٥ ، دار الكتاب العربي .

(٣) تاريخ الأدب العربي ، د/ شوقي ضيف، ١/ ١٤، دار المعارف، مصر .

(٤) في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، ص١٥٧، مكتبة دار التراث، ط١، ١٤١٢هـ –١٩٩١م.

بقوله: حتى لقد بلغ من كلف العرب به - يعني الشعر - وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم. والبغدادي بقوله : فإن استحسنوه روي وكان فخرًا لقائله... وإن لم يستحسنوه طرح ولم يعبأ به.

أما من حيث عددها وأصحابها، فهي عند حماد الراوية [1] سبع قصائد: لامرئ القيس، وزهير بن أبي سلمى، وطرفة بن العبد [2]، ولبيد بن ربيعة [3]، وعمرو بن

---

(١) هو : حماد بن سابور بن المبارك، أبو القاسم: أول من لقب بالراوية. وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها. أصله من الديلم، ومولده في الكوفة. جال في البادية ورحل إلى الشام. وتقدم عند بني أمية، فكانوا يستزيرونه ويسألونه عن أيام العرب وعلومها، ويجزلون صلته. وهو الّذي جمع السبع الطوال (المعلقات) قال له الوليد بن يزيد الأموي: بم استحققت لقب الراوية؟ قال: بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به، ثم لا ينشدني أحد شعرا قديما أو محدثا إلا ميزت القديم من المحدث ، (ت ١٥٥هـ). (الأعلام ٢/ ٢٧١) .

(٢) هو: طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن عباد بن صعصعة بن قيس بن ثعلبة ، من فحول شعراء الجاهلية ، وقيل : اسمه عمرو ، وسمّي طرفة ببيت قاله، كان في حسب من قومه جريئًا، وكان أحدث الشعراء سنًّا وأقلّهم عمرًا ، كان هجَّاءً في غير فحش ، تفيض الحكمة في أكثر شعره، ولد في بادية البحرين وتنقل في بقاع نجد ، وهو ابن عشرين سنة ، مات ٧٠ ق هـ - ٥٥٢م. (انظر: طبقات فحول الشعراء، ١/ ١٣٧ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة، ١/ ١٨٢-١٩٢) .

(٣) هو: لبيد بن ربيعة بن مالك بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، أبو عقيل العامري، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية ، من الطبقة الثالثة ، وهو من أهل عالية نجد ، أدرك الإسلام، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، يعد من الصحابة ، ومن المؤلفة قلوبهم ، وترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتًا واحدًا ، سكن الكوفة وعاش عمرًا طويلًا. (انظر: طبقات فحول الشعراء، ١/ ١٢٣، والشعر والشعراء، ١/ ٢٦٦- ٢٧٧).

كلثـوم [١]، والحارث بن حلزة [٢] ، وعنترة بن شداد [٣].

وعند صاحب جمهرة أشعار العرب سـبع - أيضًـا - لكنهـا لـ : امـرئ القيس ، وزهـير، وطـرفـة ، ولبيـــد ، وعمـــرو بن كلثـــوم ، والأعشى ، والنابغـــــة [٤].

---

(١) هو: عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن ربيعة ، من بني تغلب ، يكنى أبا الأسود ، وقيل أبا عمير ، وهو فارس شاعر جاهلي من لطبقة الأولى ، من أعز الناس نفسًا وأكثرهم امتناعًا ، ساد قومه تغلب وهو فتى، عمَّر طويلًا ورأي من ولده وولد ولده . (انظر : معجم الشعراء للمرزباني ، ص ٢٠٢، أ.د، ف . كرنكو ، مكتبة القدسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، وجمهرة أشعار العرب ، ص٨٦، والشعر والشعراء ١/ ٢٨٨).

(٢) هو: الحارث بن حلزة بن مكروه بن بديد بن عبد الله بن مالك بن عبد سـعـد بن خشم بن ذبيان ابن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل اليشكري الوائلي، شاعر جاهلي من أهل بادية العراق ، من شعراء الطبقة السادسة في الجاهلية ، كان أبرص فخورًا ، ارتجل معلقته بين يدي عمرو بن هند الملك بالحيرة، جمع بها كثيرًا من أخبار العرب حتى صار مضرب المثل في الافتخار ، فقيل: أفخر من الحارث بن حلزة ، مات ٥٢ ق هـ- ٥٧٠م. (انظر: طبقات فحول الشعراء، ١/ ١٥١، والشعر والشعراء، ١/ ١٩٣- ١٩٤).

(٣) هو: عنترة بن عمـرو بن شدّاد بن عمرو بن قـراد بن مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض العبسي، أشهر فرسان الجاهلية العرب ، وهو من أهل نجد، وقيل: شدّاد ابن عمرو هو جده لأبيه أو عمّه ، وكان عنترة قد نشأ في حجره فنسب إليه دون أبيه ، وإنّما ادّعاه أبوه بعد الكبر ، وذلك أنّه كان لأمَة سوداء يقال لها : زبيبة ، وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفسًا، يوصف بالحلم على شدة بطشه ، وفي شعره رقة وعذوبة ، كان مغرمًا بابنة عمه عبلة فقل أن تخلو له قصيدة من ذكرها، من شعراء الطبقة السادسة في الجاهلية ، اجتمع في شبابه بامرئ القيس الشاعر، وشهد حرب داحس والغبراء ، وعاش طويلًا ، مات ٢٢ق هـ- ٦٠٠م. (انظر: طبقات فحول الشعراء، ١/ ١٥٢، والشعر والشعراء ، ١/ ٢٤٣- ٢٤٧).

(٤) هو: زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، ويكنى أبا أمامة، الذبياني الغطفاني المضري ، شاعر جاهلي من شعراء الطبقة الأولى ، من أهل الحجاز ، كانت تضرب له قبة =

فقد أسقط صاحب الجمهرة اثنين ممن ذكرهم حماد ، وهما : الحارث بن حلزة ، وعنترة بن شداد ، وذكر بدلًا منهما : الأعشى ، والنابغة .

وهي عند التبريزي[1] عشر قصائد لـ : امرئ القيس ، وزهير ، وطرفة ، ولبيد ، وعمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وعنترة بن شداد ، والأعشى ، والنابغة ، وعبيد بن الأبرص[2].

فقد جمع التبريزي بين الشعراء الخمسة المتفق عليهم بين حماد وصاحب الجمهرة ، والشعراء الأربعة المختلف فيهم بينهما، وهم: الحارث ، وعنترة، والأعشى، والنابغة ، وأكمل العشرة بعبيد بن الأبرص.

= من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة ، كان حظيًّا عند النعمان بن المنذر ، ثم غضب منه النعمان ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام ، وغاب زمنًا ، ثم رضي عنه النعمان فعاد إليه ، كثير الشعر ، وكان أحسن شعراء العرب ديباجة ، لا تكلف في شعره ولا حشو ، عاش عمرًا طويلًا ، مات ١٨ق هـ- ٦٠٤م. (انظر: طبقات فحول الشعراء ١/ ٥١ ، والشعر والشعراء ١/ ١٦٢- ١٧١).

(١) هو: يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا: من أئمة اللغة والأدب. أصله من تبريز، ونشأ ببغداد ورحل إلى بلاد الشام، فقرأ " تهذيب اللغة " للأزهري، على أبي العلاء المعري، قيل: أتاه يحمل نسخة " التهذيب " في مخلاة، على ظهره، وقد بللها عرقه حتى يُظن أنها غريقة! ودخل مصر، ثم عاد إلى بغداد ، فقام على خزانة الكتب في المدرسة النظامية إلى أن توفي سنة ٥٠٢هـ. (الأعلام، ٨/ ١٥٧) .

(٢) هو: عَبِيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي ، أبو زياد ، من مضر، شاعر من دهاة الجاهلية وحكمائها ، عاصر امرأ القيس وله معه مناظرات ومناقضات ، وعُمر طويلًا حتى قتله النعمان بن المنذر وقد وفد عليه في يوم بؤسه، مات ١٧ق هـ- ٦٠٥م. (انظر: طبقات فحول الشعراء، ١/ ١٣٧، والشعر والشعراء، ١/ ٢٥٩- ٢٦١).

وبعض هـذا الاخـتلاف والاختيـار راجـع إلى الـذوق الفنـي والرؤيـة النقدية في استحقاق قصيدة أو معلقة للتقديم على أخرى، وربما كان بعـض ذلك راجعًا إلى العصبية القبلية، حيث يذكر بعض الكتاب أن حمادًا الراويـة ربما يكون قد أضاف الحارث بن حلزة في مقابلة عمرو بن كلثوم، لأن ولاءه كان في بني بكر[1].

على أن هذا الاختلاف قد يرجح رأي القائلين بأن التعليق كان معنويًّـا، إذ لو كان تعليق هـذه القصـائد حسـيًّا عـلى أسـتار الكعبـة لتـواترت معـه الروايات، ولما كان إلى هذا الخلاف سبيل.

من معلقة امرئ القيس:

يقول امرؤ القيس في مطلع معلقته [2]:

قِفا نبك من ذِكرى حبيـبٍ ومنـزل بسِقطِ اللّوى بينَ الدَّخول فَحَوْمَـلِ [3]

فتُوضِـحَ فـالْمِقراةِ لم يَعْـفُ رَسْـمُها لما نَسَجَتْهـا مـن جنـوبٍ وشَـمأَلِ [4]

تَـــرى بَعْـــرَ الآرامِ في عَرَصـــاتِها وقِيعانِهـــا كأَنَّـــهُ حَـــبُّ فُـــلْفُلِ [5]

---

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي للدكتور / شوقي ضيف ، ١/ ١٧٦ .

(٢) ديوان امرئ القيس ، اعتنى به : عبد الرحمن المصطاوي ، ص ٢١ ، ط دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م .

(٣) السقط (مثلث السين): منقطع الرمل ، حيث يستدق من طرفه. واللوى: حيث يلتوي ويدق. والدخول وحومل: موضعان.

(٤) توضح والمقراة: موضعان. لم يعف : لم يمح. والرسم : ما لصق بالأرض من آثار الديار ، فإذا كان بارزًا فهو الطلل؛ وجمع الرسم أرسم ورسوم. ونسج الريحين: اختلافهما وتعاقبهما عليها، وستر إحداها إياها بالتراب، وكشف الأخرى التراب عنها.

(٥) الأرآم : جمع رئم، وهي الظبية الخالصة البياض. والعرصات والقيعان: هي ساحات بين الدور، وهي أرض مستوية واسعة ليس فيها بناء ، يريد أن الدار أقفرت من أهلها وصارت مألفًا للوحوش.

كـأني غَـداةَ البَـينِ يَـوْمَ تَحَمَّلـوا لدى سَمُراتِ الحيّ نـاقِفُ حَنظـلِ [1]
وُقوفًـا بهـا صَـحْبِي عَـلَيّ مَطِـيَّهُمْ يقولـونَ لا تهلِـكْ أسـىً وتَجَمّـلِ
وإنَّ شِـفائي عَبْـرَةٌ مُهَراقَـةٌ فهلْ عندَ رَسمٍ دارِسٍ مِـنْ مُعَـوَّلِ [2]

وفيها يقول في وصف الليل، وفي وصف فرسه [3] :

وَليلٍ كَمَوْجِ البَحرِ أرْخَى سُدولَهُ عـليّ بـأنواع الهمـوم ليبـتلي [4]
فَقُلْـتُ لَـه لَمّـا تَمَطّـي بصُـلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَـازًا وَنَـاءَ بَكَلْكَـلِ [5]
ألا أيّهـا اللّيـلُ الطويـلُ ألا انْجَـلِي بصُبْحٍ ومـا الإِصْـبَاحُ مِنـكَ بأمثَـلِ [6]
فيـا لـكَ مـن لَيْـلٍ كَـأَنَّ نُجومَـهُ بِكُـلِ مُغـارِ الفَتـلِ شُـدَّت بِيَـذبُلِ [7]
كـأنَّ الثُّرَيـا عُلِّقَـت في مَصـامِها بـأمراسِ كتّـانٍ إلى صُـمّ جَنـدَلِ [8]
وَقـدْ أَغْتَـدِي والطَّـير في وُكنَاتِهَـا بِمُنْجَـردٍ قَيـدِ الأوابِـدِ هَيْكَـلِ [9]

---

(١) البين: الفراق. تحملوا: ارتحلوا. سمرات: جمع سمرة ـ بضم الميم ـ من شجر الطلح، نقف الحنظل: شقه عن الحب.

(٢) الرسم: الأثر، والاستفهام هنا يتضمن معنى الإنكار.

(٣) مختار الشعر الجاهلي ، للأعلم الشنتمري ، ص٢٩-٣١ ، تحقيق وشرح: مصطفى السقا ، ط مصطفى البابي الحلبي ، ط٢، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م ، وديوان امرئ القيس ، ص ١٨ ، ١٩ ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار المعارف ، القاهرة .

(٤) سدوله: ستوره ، شبه الليل بموج البحر في تراكمه وشدة ظلمته.

(٥) تمطى: امتد . صلبه: متنه وظهره. الأعجاز : جمع عجز ، وهو مؤخر الحيوان . ناء بكلكله : نهض بصدره.

(٦) انجلي: انكشف، والياء فيه من صلة الكسر.

(٧) المغار: الشديد الفتل. يذبل: اسم جبل، يقول: كأن النجوم شدت بحبال متينة إلى يذبل، فهي لا تسير. تسير.

(٨) المصام: المكان الذي يقام فيه ولا يبرح منه ، كمصام الفرس ، وهو مربطه ، ومصام النجم: معلقه. والأمراس: جمع مرس وهو الحبل.

(٩) الوكنات: جمع وكنة، الموضع الذي يأوي إليه الطائر. المنجرد: الفرس القصير الشعر ، وهو =

مِكَـرٍّ مِفَـرٍّ مُقْبِـلٍ مُـدْبِرٍ مَعًـا كجُلْمودِ صخرٍ حطَّه السيلُ مِنْ عَلِ (١)
كُمَيـتٍ يَـزِلَّ اللّبْـدُ عـن حـالِ متنـه كـما زلَّـتِ الصّـفْواءُ بالـمُتَنَزِّلِ (٢)
مِسَحٍّ إذا ما السَّـابِحَاتُ عـلى الـوَنَى أَثَـرن الغُبَـارَ بالكَديـدِ المُرَكَّـلِ (٣)
عـلى العَقـبِ جَيَّـاشٍ كـأنّ اهتزامَـهُ إذا جـاشَ فيـه حميُـهُ غَـلْيُ مِرْجَـلِ (٤)
يطـيرُ الغُـلامَ الخِْـفَّ عـن صَـهَواتِهِ ويُلْـوي بـأَثْواب العَنيـفِ المُثَقَّـلِ (٥)
دَريـرٍ كَخُـذْروفِ الوليـدِ أمَـرَّهُ تَقَلَّـبُ كَفَّيـهِ بِخَـيْطٍ مُوَصَّـلِ (٦)
لـه أَيْطَـلا ظَبْـيٍ وسـاقا نعامَـةٍ وَإِرْخـاءُ سِرْحَـانٍ وَتَقْرِيـبُ تَتْفُـلِ (٧)

= من وصف عتاق الخيل، أو هو الماضي المنسلخ من الخيل عند السباق. الأوابد: جمع آبد، وهي الوحوش النافرة، أي : أن فرسه لسرعته يقيد الوحوش في الفوات ، فلا تفوته لسرعته. الهيكل: العظيم الخلقة.

(١) مكر: يحسن الكر . مفر: يحسن الفر. والجلمود: الحجر الصلب.

(٢) كميت: أحمر اللون، وقيل : أملس المتن سهله. والحال : موضع اللبد من ظهره . والصفواء: الصخرة الملساء. والمتنزل: الموضع المنحدر.

(٣) المسح: الكثير الجري. والسابحات: الخيل تبسط أيديها إذا عدت. والونى : الفتور. والكديد: الأرض الصلبة، أو الغليظة المرتفعة. والمركل: الذي أثرت فيه الحوافر، وأثارت غباره.

(٤) العقب: هو عقب الإنسان، أي : إذا غمزته بالعقب جاش، وقيل: جري يجيء بعد جري. والاهتزام: صوت جوفه عند الجري. والحمي: الغلي. والمرجل: القدر.

(٥) الخف: الخفيف. والصهوات: جمع صهوة، وهي موضع اللبد من ظهر الفرس جمعها ما حولها. ويلوي بأثواب الضعيف: يذهب بها من شدة عدوه. والمنيف : الأخرق الذي ليس برقيق. والمثقل: الثقيل الذي لا يحسن الركوب.

(٦) الدرير من الخيل ومن كل الدواب: السريع الخفيف. والخذروف: الدوارة يلعب بها الصبي، يشدها بخيط في يديه، وهي سريعة المر. والموصل: الذي أخلق وتقطع من كثرة اللعب به، فوصل.

(٧) أيطلا الظبي: حاصرتاه. وإرخاء السرحان: جري الذئب. والتتفل: ولد الثعلب. والتقريب: وضع الرجلين موضع اليدين.

كـأن عـلى الْكَتفَـيْنِ منـهُ إذا انْتَحَـى مَـداكَ عـروسٍ أو صَـلايةَ حنظـلِ[1]

وقفة مع امرئ القيس:

هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندي ، من أهل نجد ، كـان والـده ملكًا على بني أسد ، وكانوا يدفعون إليه شيئًا معلومًا في كـل عـام فـامتنعوا عنه، فسار إليهم، فأخذ سرواتهم ـ أي : وجهاءهم ـ فقتلهم بالعصا، فسموا عبيد العصا، وأسر منهم طائفة فيهم عبيد بن الأبرص، فقام عبيد بين يديـه، فقال[2] :

يَـا عَـينِ فَـابكِي مَـا بَنـي أسـدٍ فَهُـم أهـلَ النّدامَـه
أهـلَ القِبـابِ الحَمـرِ والـ ـنّـعمَ المؤَبَّـلِ والمَدامَـه
وذَوِي الجيَـادِ الجَـردِ والـ أسـلِ المُثقفَـةِ المَـقامَه[3]
حِـلّا أبيـتَ اللعـنَ حِـ ـلّا إنَّ فـيما قُـلتَ آمَـه
في كُـلَ وَادٍ بـين يَـثـ ـربَ فالقَصـورِ إلى اليَمَامَـه
تَطريـبُ عَـانٍ أو صِـيا حُ مُحَـرّقٍ أو صَـوتُ هَامـه[4]
إمَّـا تَركـتَ تركـتَ عَفـ ـوًا أو قتلـتَ فـلا مَلامَـه
أنـتَ المليـكُ عَلَـيهِمُ وهُـمُ العبِيـدُ إلى القِيامَـه
ذَلّـوا لِسَـوطِكَ مِثـل مَـا ذَلّ الأشَـيقِرُ ذو الخِزامَـه[5]

---

(١) المداك: حجر يسحق به الطيب، ومداك العروس يكون براقًا لكثرة استعمالها إياه. والصلاية: الحجر الأملس الذي يسحق عليه الحنظل.

(٢) انظر: الشعر والشعراء ١/ ١٠٧ ، والأبيات في: ديوان عَبيد بن الأبرص بن حنتم، ص١٠٨ ، شرح: أشرف أحمد عَدرَة ، دار الكتاب العربي، ط: الأولى١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٣) الأسد: الرماح.

(٤) التطريب: مد الصوت وترجيعه. العاني: الأسير.

(٥) الأشيقر: تصغير الأشقر، الذي في لونه شقرة. الخزامة : حلقة من شعر أو نحوه تجعل في وترة أنف يشد بها الزمام.

فعفا حجر عنهم، فلما كانوا في طريقهم على مسيرة يوم من تهامة تكهن لهم كاهنهم عوف بن ربيعة الأسدي كهانة ، فركبوا كل صعب وذلول قاصدين حجرًا ، فما أشرق لهم الضحى حتى انتهوا إليه فوجدوه نائمًا، فذبحوه ، وشدوا على هجائنه فاستاقوها ، وكان امرؤ القيس قد طرده أبوه لخلاعته ومجونه ، فلما بلغه مقتل أبيه قال: ضيعني صغيرًا وحمّلني دمه كبيرًا، لا صحو اليوم ولا سكر غدًا، اليوم خمر وغدًا أمر، ثم قال:

خَلِيلَيَّ ما في الدَّارِ مَصْحًى لِشَارِبٍ ولا في غَدٍ إِذْ كانَ ما كانَ مَشْرَبُ

ثم آلى ألا يأكل لحمًا ولا يشرب خمرًا حتى يثأر لأبيه ، لكن القدر لم يكن في صالحه ، فلقي حتفه دون أن يأخذ بثأره.

وأيًّا ما كان أمر حياته ، فإن أكثر النقاد على أنه أشعر أهل زمانه ، فقد سئل لبيد: من أشعر الناس؟ فقال: الملك الضليل- يريد امرأ القيس- قيل: ثم من؟ قال: الشاب القتيل- يريد طرفة بن العبد- قيل: ثم من؟ قال: الشيخ أبو عقيل (يعني نفسه).

وسُئل الفرزدق : مَنْ أشعر الناس؟ فقال: ذو القروح (يعني امرأ القيس) أيضًا ، وسُئل بعضهم : مَنْ أشعر العرب ؟ فقال : امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب.

وكان الإمام علي (رضي الله عنه) يقدم امرأ القيس ، ويقول: رأيته أحسنهم نادرة ، وأسبقهم بادرة ، وأنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة[1].

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ، ٢ / ٤٠٥ ، ط دار الكتب العلمية .

وقال بعض النقاد: إن امرأ القيس لم يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق إلى أشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها، لأنه أول من لطَّف المعاني، واستوقف على الطلول، ووصف النساء بالظباء والمها والبيض، وشبه الخيل بالعقبان والعصي، وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد، وقرَّب مأخذ الكلام، فقيد الأوابد[1]، وأجاد الاستعارة والتشبيه[2].

مع مطلع القصيدة:

أثنى كثير من النقاد على مطلع هذه القصيدة، يقول أبو هلال العسكري: قد بكى امرؤ القيس واستبكى، ووقف واستوقف، وذكر الحبيب والمنزل في نصف بيت، هو قوله:

"قِفَا نبكِ من ذكرَى حبيبٍ ومنزلِ"

فهو من أجود الابتداءات[3].

ويقول ابن رشيق: وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه شاعر، لأنه وقف واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد[4].

---

(١) قال أبو عبيدة : هو أول من قيد الأوابد ، وذلك في قوله في وصف فرسه : "قَيْدَ الأوابد هيكل" أي أنه يدركها ويسيطر عليها وكأنه يقيدها بقيد .

(٢) انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي علي الحسن بن رشيق، ١ / ٩٤ ، ٩٥ .

(٣) كتاب الصناعتين لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، ص ٤٣٣، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط المكتبة العصرية ، بيروت ، سنة ١٤١٩ هـ .

(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ١ / ٢١٨.

يقول الدكتور/ عبد الحليم حفني: إن هذا المطلع صدى رمزي واضح لمشاعر امرئ القيس الذي فقد حينئذ الأملاك والأتباع معًا، وقد كان لديه أمل في استعادة كل ذلك، وظل يسعى بمن معه إلى هذا الأمل، لكنه فوجئ بفقدان الأمل أيضًا، فلا فائدة من السعي بدون أمل، ومعنى ذلك أنه أحس بأن حياته من الناحية العملية قد توقفت وانتهت، ولذلك كان هذا الصدى البالغ الدقة والتأثير معًا في قوله: "قفا".

والشعور بتوقف الأمل والحياة لا بد أن يملأ النفس أسى وحسرة، لذلك عبر عن هذا الحزن الشديد بالبكاء، وجعله سببًا للتوقف "قفا نبك"، ثم وضح سبب هذا الحزن وهو ذكريات الماضي الحافل بأمجاد الملك، والملك إنما يقوم على دعامتين رئيستين ، إحداهما تتمثل في الأعوان والأتباع ، وهو ما عبر عنه امرؤ القيس بلفظ : "حبيب"، والأخرى تقوم على الأرض والأملاك، وهو ما عبر عنه بلفظ "ومنزل" [1] .

فانظر إلى أي مدى استطاع الشاعر أن يختزل تجربته ، وأن يركزها في هذا المصراع؟!

ثم مضى امرؤ القيس في التفصيل بعد الإجمال؛ للدلالة على كثرة الأماكن وتعدد الذكريات، على أن العطف بالفاء دون الواو في قوله: "بين الدخول فحومل" يحمل دلالة على محذوف تقديره بين أماكن الدخول،

---

(١) معلقة امرئ القيس في ضوء جديد ، للدكتور عبد الحليم حفني ، ص ٣٢، ٣٣ ، ط المؤلف سنة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

فأماكن حومل، مما يزيد من كثرة هذه الأماكن واتساع رقعتها، ويدل على عظمة الملك الذي ضاع، والمجد الذي سلب، مما يستحق هذا البكاء الذي جعله أشبه ما يكون بناقف الحنظل الذي لا يملك دموعه ، ولا يستطيع إيقافها، فهو لا يتصنع البكاء ولا يفتعله، إنما يذرف دم قلبه قبل ماء عينه، على أن هذه الدموع التي يذرفها على الأطلال أو مع الذكريات لا تجدي نفعًا "فهل عند رسم دارس من معول؟".

لوحة الليل:

رسم امرؤ القيس في لوحة الليل صورة أدبية تنبض بالحياة والحركة للْهَمِّ الذي يجثم عليه بكل قواه، فيسحقه سحقًا، لا يترك له بارقة من أمل تحمل إليه شعاعًا من طمأنينة، ولا نافذة من رجاء يتخذها مهربًا إلى عالم الهدوء الرحيب، وقد رسم لوحته بمادة عمادها الحقيقة، والمجاز، والاستعارة، فأعجب بها النقاد القدماء ، وكانت عندهم المثل الأعلى للاستعارة [1] .

وعجيب أن يشبه شاعر بدوي صحراوي همومه التي لا تنتهي بموج البحر في امتداده واستطالته وعدم تناهيه.

فالليل الذي لا ينتهي أرخى سدوله بأنواع الهموم على الشاعر، وقد تمطى هذا الليل بصلبه، وأردف بأعجازه، وناء بكلكله، والنجوم لا تتحرك، وكأنما شدت بأمراس الكتان المحكمة الفتل إلى جبل يذبل،

(١) انظر: امرؤ القيس بين القدماء والمحدثين، للدكتور/ السيد محمد الديب ، ص ٣٧١ ، ط دار الطباعة المحمدية ، سنة ١٤٦٠هـ/ ١٩٨٩م ، نقلًا عن: "امرؤ القيس حياته وشعره" للطاهر مكي، ص ٢٣٦، ٢٣٧.

والثريا- أيضًا- علقت مكانها لا تكاد تبرحه، مما يوحي بطول هذا الليل، بحيث لا يكاد يشرق له صباح، وهو ما يتوافق وحالة الشاعر النفسية، فامتداد هذا الليل يشكل معادلًا موضوعيًّا لهموم الشاعر وأحزانه الجاثمة على صدره ، بحيث لا يكاد يرى لها نهاية ولا بارقة أمل.

لوحة الفرس:

يقول الدكتور/ عبد الله أحمد باقازي: تعتمد لوحة الفرس ـ هنا ـ على محورين أساسيين ، هما: السرعة والصلابة ، والفرس في هذه اللوحة يتميز بهاتين الصفتين، فهو سريع بل خارق للسرعة، وهو صلب شديد التماسك، وبالتالي ومن خلال هذين المحورين يتولد في اللوحة عنصر (الحركة)، فاللوحة تعج بحركية متواصلة تتمثل في حركة (الفرس) الدائبة والسريعة، ويتبدى عنصر الحركة من خلال أوصاف الفرس التي أضفاها الشاعر عليه.

وإذا كانت اللوحة السابقة -لوحة الليل- تتميز بملمحها (الصامت)، فإن هذه اللوحة - لوحة الفرس- تتميز بـ (حركيتها) الواضحة الملموسة الإيقاع!.

وفضلًا عن (الحركة) التي تمثل الملمح التشكيلي البارز للوّحة ، فإن الفرس يأخذ من منظور تشكيلي وضعًا غريبًا من خلال البيت:

له أيْطَلا ظبيٍ وساقَا نعامةٍ وإرخَاءُ سرحانٍ وتَقْريبُ تَتْفل

فهذه الصفات الأربع للحيوانات الأربعة التي أسبغها الشاعر على (الفرس) أعطت (الفرس) ملمحًا تشكيليًّا غريبًا ومتميزًا.

ولون الحصان: (الكميت) أو (البني) يسهم في إضفاء (قتامة) على اللوحة تتسق واللون الأسود في اللوحة السابقة - لوحة الليل- وإن كان اللون البني في لوحتنا - لوحة الفرس- نسبيًّا.

على أن ملمح (الحركية) يظل أبرز ملامح لوحتنا - لوحة الفرس - والخط التشكيلي البارز فيها[1] .

* * *

(١) انظر: بين معلقتي امرئ القيس وزهير بن أبي سلمى ، د/ عبد الله أحمد باقازي ، ص ٢٨- ٢٩، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

المبحث الثاني

مدرسة عبيد الشعر

المبحث الثاني
مدرسة عبيد الشعر

تطلق مدرسة عبيد الشعر على هؤلاء الشعراء الذين كانوا يعاودون النظر في شعرهم مرات ومرات قبل أن يخرجوه إلى الناس ، وليس جريانًا على السجية التي ترسل إرسالًا فتفيض بالشعر كما يفيض الينبوع بالماء ، إنما كانت تقوم على التنقيح والتثقيف والمراجعة ، ويعد أوس بن حجر التميمي[1] أستاذ هذه المدرسة ، ويعد هو وزهير بن أبي سلمى ، والنابغة الذبياني ، وكعب بن زهير ، والحطيئة [2] أبرز روادها [3].

التنقيح والتثقيف:

لم يكن شعراء الجاهلية وخطباؤها يقولون أو ينظمون كل ما يخطر ببالهم حيثما اتفق دون نظر أو تفكير؛ بل كانوا يعيدون النظر مرات ومرات في

---

(١) هو: أبو شريح، أَوْس بن حجر بن عتَّاب بن عبد الله بن عدي بن نمير بن أسيد بن عَمْرو ابن تَمِيم، جعله الجمحي المقدم على أهل الطبقة الثانية من فحول الشعراء، قال أبو عمرو بن العلاء: كان أوس فحل مضر، حتّى نشأ النابغة وزهير فأخملاه. وكان أوس عاقلًا في شعره، كثير الوصف لمكارم الأخلاق، وهو من أوصفهم للخمر والسلاح، ولا سيّما للقوس، وسبق إلى دقيق المعاني، وإلى أمثال كثيرة، كان كثير الأسفار، وأكثر إقامته في الحيرة، عمّر طويلًا، ولم يدرك الإسلام. (انظر: طبقات فحول الشعراء، ١/ ٩٧، وابن قتيبة : والشعر والشعراء ، ١/ ١٩٨: والأعلام للزركلي ، ٢/ ٣١، ط دار العلم للملايين ، ط ١٥ ، ٢٠٠٢م).

(٢) هو: جرول بن أوس بن مالك بن جؤية من قيس عيلان، وهو من رواة زهير وتلاميذه، لكنه كان رقيق الدين، سيء الخلق، بذيء اللسان، هجاء مقزعًا. (انظر في أخباره : طبقات فحول الشعراء، ص ٩٧ ، والشعر والشعراء ، لابن قتيبة ١/ ٣١١ ، والأغاني للأصفهاني ٢ / ٤٣١).

(٣) انظر: في الأدب الجاهلي، طه حسين ، ص ٢٦٨ وما بعدها ، ط دار المعارف بمصر ، الطبعة السادسة عشرة ، سنة ١٩٨٩م .

معانيهم وألفاظهم وأساليبهم، يهذبونها ويبذلون في انتقائها جهدًا كبيرًا حتى تخرج في صورة أدعى للقبول وأولى بالتقديم والتقدير، فقد كانوا كما قال الجاحظ: إذا احتاجوا إلى الرأي في معاظم التدبير، ومهمات الأمور، ميثوه في صدورهم، وقيدوه على أنفسهم، فإذا قومه الثقاف وأدخل الكير، وقام على الخلاص[١] ؛ أبرزوه محككًا منقحًا، ومصفى من الأدناس مهذبًا ، وكانوا يستعيذون بالله من الرأي الدبري والجواب الدبري: أي الذي يكون من غير روية[٢]، ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولًا كريتًا[٣]، وزمنًا طويلًا يردد فيها نظره ويجيل فيها عقله[٤]، ويقلب فيها رأيه، اتهامًا لعقله، وتتبعًا على نفسه، فيجعل عقله زمامًا على رأيه ورأيه عيارًا على شعره؛ إشفاقًا على أدبه، وإحرازًا لما خوله الله تعالى من نعمته، وكانوا يسمون تلك القصائد: الحوليات، والمقلدات، والمنقحات، والمحكمات، ليصير قائلها فحلًا خنذيدًا [٥]، وشاعرًا مفلقًا [٦].

وروي أن زهيرًا كان يسمي كبار قصائده الحوليات، ولذلك قال الحطيئة:

---

(١) الخِلَاصُ: الزُّبْدُ إذا خَلَصَ من الثُّفْلِ، والمراد أن الرأي استوى ونضج.

(٢) البيان والتبيين ، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) ،١ / ١٧٢ بتصرف، ط دار ومكتبة الهلال، بيروت، سنة ١٤٢٣ هـ .

(٣) كريتًا: تامًّا كاملًا.

(٤) يجيل عقله: يعمله .

(٥) خنذيدًا : تامًّا، قال الجاحظ: والشعراء عندهم أربع طبقات: فحل خنذيد، ودونه الشاعر المفلق، ثم الشاعر، ثم الشويعر.

(٦) البيان والتبيين ، ٢ / ٨ .

"خير الشعر الحولي المحكك"[1]، وهو يريد أستاذه زهير وشعره هو.

وكان الأصمعي يقول: زهير والنابغة من عبيد الشعر، يريد أنهما يتكلفان إصلاحه ويشغلان به حواسهما وخواطرهما.

ومن أصحابهما في التنقيح والتثقيف والتحكيك: طفيل الغنوي، وقد قيل إن زهيرًا روى له ، ومنهم الحطيئة، والنمر بن تولب، وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس[2]، ومنهم كعب بن زهير، وغيره.

وقد تميز أوس بن حجر التميمي أستاذ هذه المدرسة - كما يقول الدكتور/ طه حسين[3]- بميزتين : إحداهما : أن خياله كان ماديًّا شديد التأثر بالحس، والثانية: أنه كان فنانًا يتخذ الشعر حرفة وصنعة وفنًّا ، يدرس ويتعلم ، وينشئه صاحبه إنشاء ، ويفكر فيه تفكيرًا ، ويقضي في إنشائه والتفكير فيه الوقت غير القصير.

وأنت ترى أن الميزة الأولى فطرية لم ينشئها أوس ، ولكنه نماها وتعهدها وأكثر الاعتماد عليها ، وأما الميزة الأخرى فإرادية تعمدها الشاعر، وتصدى إليها ، واتخذها قاعدة أساسية لفنه الشعري ، وهي مقاومة الطبع وعدم الاندفاع في قوله الشعر مع السجية التي ترسل إرسالًا فتفيض بالشعر كما يفيض الينبوع بالماء .

---

(١) البيان والتبيين ، ٢/ ١٠ .

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ١/ ١٣٣ .

(٣) في الأدب الجاهلي ، د/ طه حسين ، ص ٢٧١، ٢٧٢.

وهذه المقاومة التي حملت أوسًا على أن يعمل شعره ويتكلفه هي التي نلمسها ظاهرة عند زهير وكعب والحطيئة، وهي التي لمسها وأحسها الرواة عند هؤلاء الشعراء، فوصفوهم بما وصفوهم به من الأناة والروية في قول الشعر.

ويسوق طه حسين لذلك أمثلة من شعر أوس، نذكر منها قول أوس[1]:

إني أَرِقْتُ ولَمَ تأْرقْ مَعِي صَاحِ لُمْسْتكِفٍّ بَعِيدِ النَّومِ لَوَّاحِ

يا مَنْ لبرقٍ أبيتُ اللّيلَ أرقبُهُ في عارِضٍ كمضيءِ الصُّبحِ لَمَّاحِ

يقول طه حسين: فانظر إلى هذا التشبيه الأول، تشبيه البرق بالصبح المضيء، وإلى استعمال لفظ : (لماح) الذي يمثل خطف البرق تمثيلًا حسنًا، كأنه استعمل هذا اللفظ ليصلح من هذا التشبيه، وليحتاط فيه بعض الاحتياط.

فليس ضوء الصبح لمحًا، وليس ضوء البرق مستمرًّا، إنما يريد أوس أن يصور لك قوة ضوء البرق حين يومض حتى لكأنه الصبح ، ولكنه يريد في الوقت نفسه أن يقول: إن هذا الضوء لماح لا يقيم، ثم يقول أوس:

دانٍ مُسِفٍّ فوَيقَ الأَرْضِ هَيْدبُهُ يَكادُ يَدفَعُهُ مَن قامَ بِالرّاحِ[2]

فانظر إلى هذا الهيدب الذي أضافه إلى السحاب ، وقارب بينه وبين الأرض ، ثم انظر إلى قوله: " يكاد يدفعه من قام بالراح" ، فسترى قوة

---

(١) ديوان أوس بن حجر ، ص١٥، تحقيق: د محمد يوسف نجم ، ط دار بيروت للطباعة .

(٢) الهيدب من وصف السحاب ، وهو ما كان مسترخيا متدليا من أسفله إلى الأرض . (انظر : لسان العرب ، مادة : هـ د ب).

حظ الشاعر من المادية التي تمثل السحاب قريبًا من الأرض، حتى لتستطيع أن تمسه بيدك وتدفعه إذا قمت[1].

وقوله في القصيدة نفسها:

كَـأنّ رَيَّقَـهُ لَمّـا عَـلا شَـطِبا ... أقْرَابُ أبْلَـقَ يَنْفـي الخَيْـلَ رَمّـاحِ

كـأنَّ فيـهِ عِشـارًا جِلَّـةً شُرُفـا ... شُـعْثًا لَهَـامِيمَ قـد هَمَّـتْ بِإرْشـاحِ

بُحًّـا حَنَاجِرُهَـا هُـدْلًا مَشـافِرُهَا ... تُسـيم أَولادَهـا في قَرقَـرٍ ضـاحي

هَبَّـتْ جَنـوبٌ بـأولاهُ ومـالَ بـهِ ... أعجـازُ مُـزنٍ يَسُـحُّ المـاءَ دلَّاحِ

فأصْبَحَ الرّوْضُ والقِيعـانُ مُمْرِعـةً ... مـنْ بـين مرتفـقٍ فيـه ومُنطـاحِ

فانظر إلى هذه الأبيات كلها، وما فيها من تشبيه بالخيل مرة وبالإبل مرة أخرى، وإلى هذه الصور الشعرية التي تحسّ حينًا بالبصر وحينًا بالسمع، والتي قد أتقنها الشاعر وحققها تحقيقًا يظهر أنه فتن أهل البادية، فكانوا يتمثلون به في تصوير السحاب ووصف العارض[2].

وروي أن الحطيئة قال لكعب بن زهير: قد علمتم روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي إليكم، فلو قلت شعرًا تذكر فيه نفسك، ثم تذكرني بعدك فإن الناس أروى لأشعاركم، فقال كعب[3]:

فمَـنْ للقَـوَافِي شـانَهَا مَنْ يَحُوكُها ... إذا ما ثَوَى كَعْبٌ وفَوَّزَ جَرْوَلُ [4]

---

(١) في الأدب الجاهلي، طه حسين، ص ٢٧٤، ٢٧٥.

(٢) في الأدب الجاهلي، طه حسين، ص ٢٧٥، ٢٧٦.

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ١٥٥.

(٤) فوز: هلك. وجرول: اسم الحطيئة.

يقـولُ فـلا يَعْيَـا بشـــيءٍ يقولُـه ومِنْ قائليها مَـنْ يُســيئ ويعمَـل
يقوِّمُهـا حتـى تَـــقُومَ مُـــتُونُها فيَقْصُـــرُ عنهـا كـلُّ مـا يُتمثَّـلُ
كَفَيْتُكَ لا تَلْقَى من الناس شاعرًا تَنَخَّـلَ منهـا مثـلَ مـا أتنخَّـلُ

وإذا كان الشاعر لا يخرج أشعاره إلا بعد الجهد والمعاناة، فمـن المؤكـد أنه كان يعيد النظر مرات ومرات ؛ لأنه يعلم أن كلامـه سـيقاس بمقيـاس دقيق، هذا المقياس يَدَّعِي الشاعر لنفسه ـ وهو يحوك شعره ـ أنه أعلم الناس به ، وأولاهم بأن يقيس كلامه قبل أن يخرجه إليهم ؛ حتى يـبرأ كلامـه مـن الاعتراض ويسلم من كل عيب [1]، وما أرى ذلك إلا لونًا من ألـوان النقـد وضربًا من ضروبه.

على أننا لا بد أن نفرق بين درجتين من التثقيف ، هما : الصنعة المقبولـة والمطلوبة في الفن، والصنعة التي تدخل في باب التكلف والتنميق والتزويق غير المستساغ [2].

ومن الأولى تأتي حوليات زهير التي كان يكـرر نظـره فيهـا خوفًـا مـن التعقب بعد أن يكون قد فـرغ مـن عملهـا في سـاعة أو ليلـة، وربـما رصـد أوقات نشاطه فتباطأ عمله لذلك، والعرب لا تنظر في أعطاف شـعرها بـأن تجنس أو تطابق أو تقابـل، فتـترك لفظـة للفظـة أو معنـى لمعنـى كـما يفعـل

(١) المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، د/ فوزي السيد عبد ربه ، ص ٥٣ ، ط الأنجلو المصرية ، ٢٠٠٥م .

(٢) انظر: معالم على طريق النقد القديم، د/ رجاء عبد المنعم جبر، ص ٥٢.

المحدثون ، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته ، وبسط المعنى وإبرازه ، وإتقان بنية الشعر، وإحكام عقد القوافي، وتلاحم الكلام بعضه ببعض حتى عدُّوا من فضل صنعة الحطيئة حسن نسقه الكلام بعضه على بعض[١].

النابغة الذبياني:

ومن شعراء هذه المدرسة: النابغة ، ونختار ـ هنا ـ إحدى قصائده التي اعتذر بها إلى النعمان بن المنذر، وفيها يقول [٢]:

عفا ذو حُسًى مِنْ فَرْتَني ، فالفوارعُ ... فجنبا أَريكٍ ، فالتلاعُ الدوافعُ [٣]

فمجتمعُ الأشراجِ غَيَّر رسمها ... مصايفُ مَرَّت ، بعدنا ، ومرابعُ [٤]

توَهّمْتُ آياتٍ لها ، فَعَرَفْتُها ... لِستّةِ أعْوامٍ ، وذا العامُ سابعُ [٥]

رَمادٌ ككُحْلِ العينِ لأيًا أُبينُهُ ... ونؤيٌ كجذمِ الحوض أثلمُ خاشعُ [٦]

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ١/ ١٢٩ .

(٢) ديوان النابغة الذبياني ، ص ٣٠، ٣١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف، القاهرة.

(٣) عفا: درس وانمحت آثاره، ذو حسى: موضع في ديار بني زهرة. ومن فرتنى: يريد منازل فرتنى. أريك "بالفتح ثم الكسر، وياء ، وكاف": اسم جبل بالبادية، وقيل: وادٍ . التلاع : مجاري المياه إلى الأودية. الدوافع: التي تدفع إلى الوادي، واحدتها دافعة (انظر : معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، ط دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م).

(٤) الأشراج: شعاب تدفع إلى الحرة، وقيل لها: أشراج؛ لأن بعضها متصل ببعض، وقيل: هي مسايل في الأرض صلبة تدفع إلى الأدوية. المصايف: جمع مصيف. المرابع: أزمنة الربيع.

(٥) آيات (هنا) : علامات الدار التي تعرف بها.

(٦) لأيًا أبينه: لم أتبينه إلا بجهد شديد. النؤي: حاجز يقام حول البيت لئلا يدخله الماء . وجذم كل شيء: أصله. الأثلم: المتهدم. الخاشع (هنا): المطمئن اللاصق بالأرض الذي ذهبت معالمه.

فكَفْكفْتُ منـي عَـبْرَةً ، فرَدَدتُهـا عـلى النحـرِ ، منهـا مسـتهلٌّ ودامـعُ [1]

على حينَ عاتبتُ المَشيبَ على الصِّبا وقلـتُ : ألمـا أصـحُ والشـيبُ وازعُ ؟

وقـد حـالَ هَـمٌّ دونَ ذلـكَ شـاغل مكان الشغـافِ تبتغيـهِ الأصـابعُ[2]

فقد استهلها الشـاعر بمطلـع تقليـدي، وهـو الوقـوف عـلى الأطـلال وبكاؤها مما يعكس جانبًا كبيرًا من نفسـية الشـاعر حـين وقـف معتـذرًا إلى النعمان، فالاعتذار إلى الملوك يتطلب مسح الأعطـاف، وإظهـار الضـراعة، والدخول تحت عفو الملك، ومحاولة استجلاب عطفه ورضاه[3]، وهذا ـ بلا شك ـ يقتضي من صاحبه أن يلقي على نفسـه ظـلالًا مـن الحـزن والشـجى والحسـرة والأسى، ونحو ذلك مما يرقق قلوب الملوك ويـدفعهم إلى العفـو أو الشفقة.

وهنا يظهر النابغة واقفًا على الأطلال التي درست وعفـا رسـمها، فقـد تتابعت عليها المصايف والمرابع حتى غيرت رسـمها، فلـم يعرفهـا إلا بعـد جهد ومشقة، ولم يعرف منها إلا ذلك الرماد الذي تقادم عهـده حتـى صـار ككحل العين في قلته وسواده ، وذلك النؤي الذي تثلم وتهدم ، وقد تحـدث بعض الشعراء الجاهليين عن النؤي الذي هو كجذم الحوض لم يتثلم[4]، فما

---

(١) كفكفت: كففت. المستهل: السائل المنصب. الدامع: المترقرق في العين قبل أن ينصب.

(٢) الشغاف: حجاب القلب ووعاؤه الذي يكون فيه، وهو ـ أيضًا ـ داء يأخذ تحت شراشيف الضلوع.

(٣) تاريخ الأدب الجاهلي لعلي الجندي ، ص ٤٠٧ ، ط دار التراث ، ١٩٩١م .

(٤) من ذلك قول زهير بن أبي سلمى:

وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأيًا عرفـت الدار بعد توهم

أثافـي سفعًـا في معـرس مرجـل ونؤيًا كـجـذم الحوض لم يتثلم

باله هنا جعله أثلم ثم جعله خاشعًا؟.

لا شك أنَّ الخشوع الذي سيطر على الشاعر بدا مفروضًا على أدواته التعبيرية[1].

وقد استطاع النابغة أن يشعرنا بمعاناته بالتعرف على هذه الآثار حين قال: "لأيًا أبينه" ، بل لعلنا نشاركه تلك المعاناة حين نقرأ هذا البيت.

ولم يسهب النابغة في الحديث عن الطلل، ولم يجاوزه إلى غيره مما اعتاد الجاهليون أن يقدموا به لقصائدهم كوصف الناقة أو الحديث عن المرأة ونحو ذلك ، بل سرعان ما تخلص إلى غرضه تخلصًا حسنًا [2]، فحين سالت دموعه لتغير الدار وتذكر الأحبة، وصَبَت نفسه إلى ما مضى، ذَكَّرها بما حلَّ به من شيب، وبما وصل إليه من وعيد النعمان وتهديده.

واستطاع أن يشعرنا من أول وهلة بشدة الهم، فاختار له شغاف القلب موضعًا، وأخرجه في صورة حسية بحيث تتبعه الأصابع وتتحسسه ، ولا شك أن جملة "تبتغيه الأصابع" أعطت الصورة قوة وإثارة ، وبعثت فيها حياة نابضة [3].

---

(١) انظر: الشعر في ظلال المناذرة والغساسنة ، د/ عمر شرف الدين ، ص ٩٤، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٧م.

(٢) قال صاحب العمدة: وأولى الشعر بأن يسمى تخلصًا ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلى معنى ثم عاد إلى الأول وأخذ في غيره، ثم رجع إلى ما كان فيه، كقول النابغة في آخر قصيدة اعتذر بها إلى النعمان: وكفكفت مني عبرة فرددتها... إلخ، فقد وصف حاله، ثم تخلص إلى الاعتذار، ثم عاد إلى وصف حاله وشبه نفسه بالحية والسليم، ثم عاد فتخلص إلى الاعتذار الذي كان فيه (راجع : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ١/ ٢٣٧، ٢٣٨).

(٣) انظر: النابغة الذبياني ، لمحمد زكي العشماوي ، ص ٢٠٠ ، ط دار الشروق ، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

ثم أخذ يبين همه ويوضحه ويفصل أمره[1]:

وَعِيدُ أَبِي قابُوس في غَيْرِ كُنْهِـــهِ أَتانِي، ودُونِي راكِسٌ فالضَّواجعُ[2]
فبِـتُّ، كأَنِّي سـاوَرَتْنـي ضَئِيـلَةٌ مِنَ الرُّقْشِ، في أَنْيابِها السُّمُّ ناقِعُ[3]
يُسَهَّدُ مِـنْ لَيْـلِ التمامِ سَلِيمُـها لح لِي النِّسـاءِ في يَـدَيْـهِ قَعـاقـعُ[4]

فذكر أن مبعث هذا الهم هو ذلك الوعيد الذي أتاه من قبل النعمان فتركه كالسليم الذي ساورته ضئيلة من الرقش، وأشعرنا من بداية الأمر أنه مظلوم مفترى عليه، وأن هذا الوعيد في غير موضعه، مستخدمًا أسلوب الاعتراض ـ في غير كنهه ـ أحسن استخدام وأجمله.

ويسير على المنهج الأوسي[5] فيذكر المعنى ثم يعمد إلى تفسيره وتفصيله، وربما إلى استقصائه أو محاولة ذلك الاستقصاء، فقد ظهر همه الذي حال بينه وبين الصبا، ثم فسر ذلك بالوعيد الذي جاء من قبل النعمان، وأخذ يذكر أثر هذا الوعيد على نفسه، ثم شبه نفسه بالسليم الذي

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) راكس: اسم واد. الضواجع ، جمع ضاجعة ، وهي منحنى الوادي ومنعطفه.

(٣) ساورتني: واثبتني. ضئيلة : حية دقيقة قليلة اللحم شديدة السم. الرقش: جمع رقشاء ، وهي التي فيها نقط بيض وسود. ناقع : بالغ قاتل .

(٤) يسهد: يمنع من النوم. ليل التمام : أطول ليالي الشتاء ، وليل التمام أيضًا : الذي يطول على من قاساه وإن قصر.

(٥) ينسب المنهج الأوسي أو المدرسة الأوسية إلى أوس بن حجر التميمي رائد هذه المدرسة التي يعتمد أصحابها على التأنق في الصياغة ، والدقة في اختيار الألفاظ ، وذكر المعنى ثم تفصيله ، أو استقصاؤه والاستطراد فيه ، كما أن الخيال عندهم شديد الاتصال بالحس . (راجع : في الأدب الجاهلي، د/ طه حسين ، ص ٢٦٨ وما بعدها) .

ساورته ضئيلة، وطفق يذكر صفات هذه الحية فهي ضـئيلة، ومـن الـرقش، وفي أنيابها السم ناقع؛ وذلك أدعى لقوة لدغها وشدة تأثيرها، وهي مع ذلك لم تلدغه فحسب، وإنما تعاوده اللدغ مرة إثر أخرى.

وتجد أثر البادية واضحًا في قوله: "لحلي النساء في يديه قعـاقع" ، فقـد كانوا يضعون الحلي على الملسوع، ويقولون: إنه إذا علق عليه أفاق، فيلقـون عليه الأسورة والرعاث، ويتركونها عليه سبعة أيام[١]، قال أبو عمر: كـانوا يفعلون به ذلك لئلا ينام فيدب السم فيه[٢].

ثم يحيل النابغة الأمر إلى الدس والوقيعة مؤكدًا ذلك بالقسم فيقول[٣]:

لعَمْري، وما عَمْري عليّ بهيـــــنٍ لقــد نطقـتْ بُطلًا عليّ الأقارعُ[٤]

أقارِعُ عَوْفٍ، لا أحـــــاوِلُ غيرَها وُجُــوهُ قُـرُودٍ، تَبتَغي مَن تجادِعُ[٥]

أتاكَ امـرُؤٌ مُسْتَبْطِنٌ لِيَ بِغْضَـــــةً له من عَدُوٍّ، مثــل ذلك ، شافِعُ[٦]

فقد أقسم بحياته التي لم تكن إلى ذلك الوقت قـد هانـت عليـه، وجـاء قوله: "وما عمري علي بهين" مؤكدًا لما قبله ومقويًا له، للدلالة على أن هـذا

---

(١) انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب ، لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: ٧٣٣هـ)، ٣ / ١٢٤، ط دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ .

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، ط دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

(٣) ديوان النابغة الذبياني ، ص ٣٤ ، ٣٥.

(٤) بطلًا: باطلًا. الأقارع: أراد بهم بني قريع بن عوف، ويقال: إنهم هم الذين وشوا به عند النعمان.

(٥) لا أحاول غيرها: لا أريد هجاء غيرها. تجادع، تعادي أو تخاصم.

(٦) مستبطن: مضمر.

القسم ليس بالهين ولا باليسير على صاحبه، فإنه يقسم بحياته، يـذكر أنهـا لم تهن عليه في يوم من الأيام- ولكنها هانت عليه حين أسرف في الاعتـذار إلى النعمان- ولم يفته مع ذلك أن يعرض لخصومه الذين وشوا به، فقد وصـفهم بأنهم قرود وأنهم تحالفوا عليه واجتمعوا على الوقيعة به.

ثم يكرر القسم ويلح عليه؛ ليبرهن على صدقه وولائه ، حتـى لا يـترك المجال للتهمـة أو الشـك في أمـره ، ويسـير في ذلـك عـلى منهجـه الأوسي ، فيحلف بالمصطحبات، ثم يفصل أمرها فيذكر أنها جاءت من لصاف وثبرة يزرن إلالًا، يتـدافعن لسـرعتهن وشـدة سـيرهن، يسـابقن الـريح، غـائرة عيونهن، ضامرات كأطراف الحني، عليهن رجال شعث متغيرون من السفر الذي لم يقصدوا فيه سوى حج بيت الله، وفي ذلك يقول(١):

حَلَفتُ فَـلَم أَتـرُك لِنَفسِـكَ ريبَـةً ... وَهَل يَأثَمَن ذو إِمَّةٍ وَهوَ طـائِعُ(٢)
بِمُصطَحِباتٍ مِـن لَصـافٍ وَثَبـرَةٍ ... يَـزُرنَ إِلالًا سَيرُهُـنَّ التَّـدافُعُ(٣)
سَمامًا تُبـاري الريحَ خوصًـا عُيونُها ... لَهُـنَّ رَذايـا بِالطَّـريـقِ وَدائِـعُ(٤)
عَلَيهِنَّ شُعثٌ عامِـدونَ لِـحَـجِّـهِـم ... فَهُنَّ كَأَطـرافِ الحَنيِّ خَواضِـعُ(٥)

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ، ص ٣٥، ٣٦.

(٢) الريبة: الشك أو التهمة. ذو إمة: صاحب دين، والإمة: الدين والطريقة المستقيمة.

(٣) المصطحبات: الإبل ، سميت بذلك لأنها تصطحب في السير إلى الحج. لصاف وثبرة: موضعان من بلاد بنى تميم . إلالًا : جبل عن يمين الحاج إذا وقف بعرفة.

(٤) سمامًا: طيور تشبه السمان شديدة الطيران. خوصًا عيونها : غائرة العيون من الجهد والعناء. الرذايا: الساقطة المعيية التي لا تنبعث، فأخذت رحالها عنها وتركت. ودائع: قد استودعت الطريق، أي تركت لعنائها وإعيائها.

(٥) شعث: متغيرون من السفر. الحني: القسي، يريد أنها ضامرة دقيقة من شدة السير والجهد، فصارت وكأنها معوجة. خواضع : خواشع ذليلة من الجهد.

فقد عمد النابغة إلى شيء له قدسيته في نفسه وفي نفس النعمان، بل في نفوس العرب جميعًا، وهو موكب الحجيج الذي جاء متدافعًا نحو بيت الله، وقد أصاب إبله الإعياء حتى ترك بعضها في الطريق، وقد أضفت كلمة "خواضع" على هذا الموكب شعاعًا من الخضوع الذي سيطر على الشاعر، وكلمة "الحني" توحي بشيء من الخضوع أو الانحناء الذي يشعر به النابغة تجاه النعمان، كما نلمس شبهًا كبيرًا بين حال النابغة وحال هذا الموكب، فكل منهما عامد لغايته: فالموكب عامد إلى ربه في خضوع واستكانة، والنابغة عامد إلى النعمان في تذلل واستعطاف.

ثم عمد إلى ذلك التشبيه المستقى من البيئة البدوية، فقال[1] :

لَكَلَّفتَني ذَنبَ امرِئٍ وَتَرَكتَهُ كَذي العُرِّ يُكوى غَيرُهُ وَهوَ راتِعُ

فقد كانوا يزعمون أن الإبل إذا أصابها الجرب فأخذوا الصحيح وكووه زال الجرب عن السقيم، ويقال: إنهم كانوا يفعلون ذلك ويقولون: تؤمن معه العدوى[2] ، فأراد أن يقول : إنه أخذ بلا ذنب أو جناية كالجمل الصحيح يكوى ولا ذنب له سوى أن الجرب أصاب غيره.

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ، ص ٣٧ .

(٢) انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ، ٣ / ١٢٣، وشبيه بهذا ما كانوا يفعلونه من ضرب الثور إذا عافت البقر الماء، يزعمون أن الجن تركب الثيران فتصد البقر عن الشرب، وفي ذلك يقول الآخر:

كذاك الثور يضرب بالهراوي إذا ما عافت البقر الظماء

ثم يلقي النابغة بنفسه بين يدي النعمان ملتمسًا بذلك عفوه، محاولًا أن يستثير فيه نخوة العربي ومروءته، فيقول له[1] :

فَإِن كُنتُ لا ذو الضِّغنِ عَنّي مُكَذَّبٌ وَلا حَلفي عَلى البراءَةِ نافِعُ[2]

وَلا أَنا مَأمونٌ بِشَيءٍ أَقولُهُ وَأَنتَ بِأَمرٍ لا مَحالَةَ واقِعُ

فَإِنَّكَ كَاللَيلِ الَّذي هُوَ مُدرِكي وَإِن خِلتُ أَنَّ المُنتَأى عَنكَ واسِعُ[3]

فكلمة "ذو الضغن" توحي بأن عدوه الذي وشى به عند النعمان حاقد شديد الحقد، وكلمة "الليل" توحي بالرهبة ، فالحدث من شأنه أن يبعث الرعب ، وأن يملأ قلب الشاعر بالظلمة لغضب صاحبه عليه ، وكلمة "المنتأى" توحي بسعة المكان وبالفسحة التي قد تتاح لمن يريد النجاة[4]، ومع سعة الأماكن وتعددها لا مناص من إدراكه ، فالنعمان كالليل الذي يحيط ظلامه بكل شيء، والتعبير بإن في قوله: "إن خلت" يوحي بالندرة ، ويدل على أنه لم يفكر كثيرًا في الهرب من النعمان ، وإنما هو مجرد خاطر طرأ له، فمتى خطر بباله أن المنتأى واسع تذكر أن النعمان كالليل ، وأنه مدركه لا محالة.

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ، ص ٣٧، ٣٨.

(٢) ذو الضغن: صاحب العداوة والحقد.

(٣) المنتأى: المكان البعيد، والموضع الذي يتناءى فيه ، أي يتباعد فيه.

(٤) انظر: النابغة الذبياني ، د/ محمد زكي العشماوي ، ص ٢٠٠.

وقد تعلق بهذا المعنى جماعة من الشعراء، منهم سلم الخاسر[1] في اعتذاره إلى الخليفة المهدي، إذ يقول[2]:

وأَنتَ كالدَّهْرِ مَبْثُوثًا حبائِلُهُ والدَّهْرُ لا مَلْجَأٌ مِنه ولا هَرَبُ

ولَوْ مَلَكْتُ عنانَ الرِّيحِ أَصرفُه في كُلِّ ناحِيَةٍ ما فاتَكَ الطَّلَبُ

وفي هذين البيتين معنى الإحاطة التي في ليل النابغة الذي لا مفر من إدراكه وشموله العالمين، بيد أن معنى النابغة أوضح في الإدراك والتأثير.

واختار بعض النقاد قول علي بن جبلة[3] في هذا المعنى[4]:

وما لامرئٍ حاولتَهُ منك مَهربٌ ولو رفعَتْهُ في السماءِ المطالعُ

بلى هَاربٌ لا يهتَدِي لمكانِهِ ظلامٌ ولا ضوْءٌ من الصبحِ ساطعُ

وقالوا: إنه أجاد مع معارضته النابغة، وزاد عليه ذكر الصبح ، وكأنه اقتدى بقول الأصمعي: ليس الليل أولى بهذا المثل من النهار[5].

---

(١) هو : سلم بن عمرو، مولى بني تيم بن مرة، ثم مولى أبي بكر الصديق، شاعر عباسي، وهو راوية بشار وتلميذه. (انظر : الأغاني للأصفهاني ١٩/ ٢٧٦).

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ٢ / ١٧٨ .

(٣) هو : علي بن جبلة المعروف بالعكوك، شاعر عباسي ، مدح حميدًا الطوسي، وأبا دلف، وعبد الله ابن طاهر وغيرهم، وكان ضريرًا. (انظر في أخباره : الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/ ٨٥٢، والأغاني للأصفهاني ، ٢٠/ ٢٠ ، والبرصان والعرجان والعميان والحولان ، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، ص٤٣ ، ط دار الجيل، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ).

(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ٢ / ١٧٩ .

(٥) انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ٢/ ١٧٩ .

واعتذر ابن رشيق عن النابغة بقوله: "إنما قدم الليل في كلامه لأنه أهول ، ولأنه أول ، ولأن أكثر أعمالهم إنما كانت فيه لشدة حر بلادهم ، فصار ذلك عندهم متعارفًا[١].

فالنابغة يحاول ـ بما قدم ـ أن يسترضي النعمان ، وينال عطفه ورضاه ، ثم يستفهم في تضرع واستكانة [٢]:

أتوعِدُ عَبْدًا لم يَخُنْكَ أمانَةً وتَتْرُكَ عَبْدًا ظالِمًا وهو ضالِعُ[٣]

فعبر عن نفسه بكلمة " العبد" التي توحي بالذل والاستكانة ، وهذا العبد لا جناية له ، فهو لم يخن أمانة ، ولم ينقض عهدًا، فهل من العدل أن تأخذه بغير جرم في حين أنك تترك من هو أولى بالعقوبة، وهو ذلك الرجل الذي قام بالوشاية فأفسد ما بيننا؟ هذا لا يليق بمثلك.

ثم يقول مادحًا النعمان [٤]:

وأنتَ ربيعٌ يُنعِشُ النّاسَ سَيبُهُ وسيفٌ أَعِيرتْهُ المنيّةُ قاطِعُ[٥]

أبى اللهُ إلّا عدلَهُ ووفاءهُ فلا النكرُ معروفٌ ولا العرفُ ضائعُ

وتَسْقِي إذا ما شِئْتَ غيرَ مصردٍ بزَوْرَاءَ في حافاتِها المسكُ كانعُ[٦]

---

(١) انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ٢ / ٢٥١.

(٢) ديوان النابغة الذبياني ، ص ٣٨ .

(٣) ضالع: مائل عن الحق جائر، ويروى ظالع، وهو أيضًا: الجائر المذنب، وأصله من ظلع البعير والدابة، وهو أن يبطئ البعير في مشيته لداء يصيب يديه.

(٤) ديوان النابغة الذبياني ، ص ٣٨، ٣٩

(٥) وينعش : يجير ويرفع. السيب: العطاء. أعيرته: استعارته، والمراد أنه يهلك أعداءه.

(٦) غير مصرد : غير مقلل. الزوراء : كأس مستطيلة من فضة ، وقيل : هي كأس مزورة على =

وهكذا يختتم النابغة قصيدته بالمديح والدعاء لصاحبه عسى أن تطيب بذلك نفسه فيعفو عنه.

والقصيدة نهضت مكتملة بخدمة الغرض الذي قصد إليه الشاعر، وأحسن استخدامها وتوظيف أجزائها، وتعددت فيها رسائله، فتارة يتصاغر بنفسه، فيذكر أنه بات كالسليم الذي لدغته حية فتاكة، وتارة يصور عظمة صاحبه وقوته، وبقدر ما يتصاغر النابغة ويتضاءل يتعالى النعمان ويتعاظم ، وقد ألح النابغة على ذكر الوشاة وإحالة الأمر إلى الدس والوقيعة، كما لم يفته مديح صاحبه.

وقد برز من خلال ذلك كله بعض ملامح المدرسة الأوسية من الاعتماد على الصورة الحسية ، والدقة في اختيار العبارة وصياغتها.

* * *

= الشراب ، أي : مائلة عليهم، وقيل: هي دار بالحيرة للنعمان. في حافاتها: في جوانبها. الكانع : الداني بعضه من بعض.

المبحث الثالث

مدرسة الصعاليك

المبحث الثالث
مدرسة الصعاليك

الصعلوك في اللغة : الفقير الذي لا مال له ، زاد الأزهـري : وتصـعلك الرجل إذا كان كذلك، وعليه قول حاتم طيء[١]:

غنينَا زَمانًا بالتَّصَعْلُكِ والغِـــــنَى فَكُلًّا سقـانــاهُ بكَأْسَيهِما الدَّهْـرُ[٢]

فَمَا زادَنَـا بَغْيًـا على ذِي قَـــــــرابَةٍ غِنانـــــــا وَلا أَزْرَى بأَحْسابِنَا الفَقْرُ

والتصعلك الفقر، وصعاليك العرب: ذؤبانها، وكان عروة بن الورد[٣] يسمى عروة الصعاليك ؛ لأنه كان يجمع الفقراء فيقسم فيهم ما يغنمه[٤].

---

(١) هو: حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني ، يضرب المثل بجوده، كان من أهل نجد ، وزار الشام فتزوج ماوية بنت حجر الغسانية ، ومات في عوارض (جبل في بلاد طيء) وأخباره كثيرة متفرقة في كتب الأدب والتاريخ. وأرخوا وفاته سنة ٤٦ ق هـ في السنة الثامنة بعد مولد النبي (صلّى الله عليه وسلم). (انظر: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، ٦/ ١٣٨، تحقيق : روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م) .

(٢) غنينا: عشنا.

(٣) هو : عروة بن الورد بن زيد العبسيّ، من بني عبس من غطفان، من شعراء الجاهلية وفرسانها، كان يلقب بعروة الصعاليك؛ لأنه كان يغير على القبائل ليطعم الصعاليك الفقراء ويحسن إليهم، ولجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غاراتهم ولم يكن لهم معاش، وقال عبد الملك بن مروان: ما يسرني أن أحدًا من العرب ولدني إلا عروة بن الورد، وقال عنه أيضًا: من قال إن حاتمًا أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد، له ديوان شعر شرحه ابن السكيت بعنوان: فحول العرب في علم الأدب. (انظر: الشعر والشعراء ، ٢/ ٦٦٥، والأعلام للزركلي، ٤/ ٢٢٧).

(٤) لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، مادة : ص ع ل ك ١٠/ ٤٥٦، ط دار صادر ، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ .

وقد قسم بعض الكُتَّاب الصعاليكَ إلى ثلاث مجموعات[1]:

أ ـ مجموعة من الخلعاء الشذاذ الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائمهم، مثل: حاجز الأزدي، وقيس بن الحدادية، وأبي الطمحان القيسي.

ب ـ مجموعة من أبناء الحبشيات السود ممن نبذهم آباؤهم ولم يلحقوهم بهم لعار ولادتهم أو لسوادهم، مثل: السليك بن السلكة، وتأبط شرًّا، والشنفرى[2]، وكانوا يشبهون أمهاتهم في سوادهن، فسموا وأضرابهم باسم أغربة العرب.

ج ـ مجموعة لم تكن من الخلعاء ولا من أبناء الحبشيات، لكنها احترفت الصعلكة ، وأحيانًا تكون قبيلة كقبيلتي هذيل وفهم ، أو أفرادًا كعروة بن الورد وغيره.

وتتردد في أشعار الصعاليك صيحات الجوع والفقر، كما تموج أنفسهم وأشعارهم بثورة عارمة على الأغنياء وبخاصة الأشحاء منهم ، ويمتازون بالشجاعة والصبر ، وشدة المراس والمضاء ، وسرعة العدو ، وعرف كثير منهم بنحول الجسد ، وكان يضرب ببعضهم المثل في سرعة العدو، فيقال:

---

(١) انظر : تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ، ١/ ٣٧٥ .

(٢) هو: عمرو بن الإواس الأزدي، وقيل : ابن مالك ، من قحطان، شاعر جاهلي، يماني، من فحول الطبقة الثانية، كان من فتاك العرب وعدّائيهم حتى ضُرب به المثل، فقيل: أعدى من الشنفرى وهو بفتح الشين والفاء والراء وسكون النون وقصر الألف- على وزن فنعلى، وهو العظيم الشفتين، وقيل: الكثير الشعر، وهو صاحب " لامية العرب "، قتله بنو سلامان. (انظر : سلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة، ٢/ ١٦٨، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، ط ٢٠١٠ م ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ، ١/ ١٨٨، ط دار القلم – بيروت ، والأعلام، ٥/ ٨٥).

أعدى من السليك ، أو أعدى من الشنفرى[1].

ويتسم شعرهم بأن أكثره مقطوعات لا قصائد، ويرجع ذلك إلى طبيعة حياتهم القلقة التي لا تعرف الاستقرار.

ويتسم كذلك بطابع من الوحدة الموضوعية، وخلوه غالبًا من المقدمات الغزلية أو الطللية، حيث كان الشاعر الصعلوك غالبًا ما يدخل إلى غرضه مكافحة ويتناوله مصافحة، من غير تقديم بغزل أو بكاء طلل.

ويتميز شعرهم- أيضًا- بالواقعية ، حيث جاء ـ في جملته ـ صورة واضحة لحياتهم .

كما يتميز بالتحرر من العصبية القبلية، ونلمس في جانب كبير منه روح القصة الشعرية أو الأسلوب القصصي[2].

ومن أبرز شعرائهم عروة بن الورد العبسي، الذي يلقب بعروة الصعاليك، وكان عبد الملك بن مروان يقول: ما يسرني أن أحدًا من العرب ولدني ممن لم يلدني إلا عروة بن الورد لقوله[3]:

وإنِّي امرؤٌ عَافِي إنَائي شِركةٌ وأنتَ امرؤ عافِي إنائك واحدُ[4]

---

(١) تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ، ١ / ٣٧٥.

(٢) انظر: مدخل إلى دراسة الأدب الجاهلي ، أ.د/ رزق مرسي أبو العباس ، ص ١٠٦، ط المؤلف، سنة ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ٢/ ٦٦٥ ، والأغاني للأصفهاني، ٣/ ٧٣ .

(٤) رواية الديوان ص ٢٩ "إني" بدون واو، وعلى ذلك يكون البيت مخزومًا؛ إذ صارت " فعولن" في أول المصراع "عولن" بإسقاط أول الوتد المجموع، وأراد بقوله: "عافي إنائك واحد" أنه يأكل وحده.

أتهزأ منِّـي أن سَـمِنْتَ وأن تَـرَى بجسمي شُحوبَ الحقّ والحقُّ جاهـدُ[1]

أُفرِّقُ جِسْـمِي في جُسُـومٍ كثـيرةٍ وأحْسُو قـراحَ المـاءِ والمـاءُ بـاردُ[2]

ومـنهم الشـنفرى الأزدي، وحـول حياتـه وسـيرته كـلام كثـير، وأكثـر الروايات على أنه: الشنفرى بن الإواس (بكسر الهمزة وضمها) بـن الحجـر ابن الهنيء ، من قبيلة الأزد.

والشنفرى من أشهر صعاليك العرب وقطاع الطرق فيهم، ومـن أشـهر شعرائهم وأجودهم شعرًا، وهو ـ أيضًا ـ من أشهر عدائيهم[3].

وهو صاحب اللامية المعروفة بلامية العرب ، وفيها يقول[4]:

أقِيمـوا بنـي أُمِّـي صُـدورَ مَطِـيِّكم فـإنّي إلى قـوم سِـواكم لأَمْيَـلُ

فقد حُمَّـتِ الحاجـاتُ والليـلُ مُقمـرٌ وشُدَّت لِطيَّـاتٍ مطايـا وأرحُـلُ[5]

وفي الأرضِ منأَى للكريمِ عن الأذَى وفيهـا لمـن خَـافَ القِـلى مُتَعـزَّلُ[6]

---

(١) شحوب الجسم: هزاله وتغيره، وإضافة الشحوب إلى الحق من إضافة الشيء إلى سببه.

(٢) حسا الماء: شربه شيئًا بعد شيء. القراح : الخالص لا يخالطه لبن ولا غيره. ويروى "أقسم جسمي في جسوم.." (انظر : عيون الأخبار لابن قتيبة، ٣/ ٢٨٧، ط دار الكتب العلمية . بيروت ١٤١٨هـ).

(٣) انظر: لامية العرب للشنفرى ، شرح ودراسة : أ.د/ عبد الحليم حفني ، ص ٥١-٥٣ بتصرف ، ط مكتبة الآداب، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م .

(٤) المرجع السابق، ص ٩ وما بعدها.

(٥) حمت بالبناء للمجهول: قدرت ودبرت. والطيات: جمع طية بالكسر، وهي الحاجة أو النية المدبرة. والأرحل: جمع رحل، وهو ما يوضع على البعير.

(٦) المنأى: المكان البعيد. والقلى: البغض والكراهية. والمتعزل : مكان العزلة عن الناس، ويروى: "وفيها لمن خاف القلى متحول". (انظر : تفريج الكرب عن قلوب أهل الأرب في معرفة لامية العرب لمحمد بن قاسم الفاسي، ت: ١١٢٠هـ، ص ٣).

لعمرُك ما في الأرضِ ضِيقٌ على امرئٍ سَرى راغبًا أو راهبًا وهْوَ يَعْقِلُ
ولي دُونَكم أَهْلونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ وأَرْقَطُ زُهْلولٌ وعَرْفاءُ جَيْأَلُ[1]
هُمُ الأَهْلُ لا مستودعَ السّرِّ ذائعٌ لديهم وَلا الجُانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ
وكلُّ أَبِيٌّ باسلٌ غيرَ أنني إذا عرضتْ أولى الطرائدِ أبْسُلُ[2]
وإن مُدَّتِ الأَيدي إلى الزَّاد لم أكنْ بأعجَلِهِم إذ أجشَعُ القومِ أعجَلُ
وإني كفاني فقدُ مَنْ ليس جازيًا بحُسْنَى ولا في قربهِ متعلَّلُ
ثلاثةُ أصحابٍ فؤادٌ مشيَّعٌ وأبيضُ إصلِيتٌ وصفراءُ عَيْطَلُ[3]

وفيها يقول:

ولستُ بمحيارِ الظلامِ إذا انتحتْ هُدى الهَوجلِ العَسِيفِ يَهْماءُ هوجلُ[4]
إذا الأَمْعَزُ الصَّوَّانُ لاقَى مَنَاسِمِي تَطَايَرَ منهُ قَادِحٌ ومُفَلَّلُ[5]

---

(١) أهلون: جمع أهل. والسيد (بكسر السين): الذئب. والعملس: الذئب القوي السريع. والأرقط:=

= النمر الذي في جلده بياض وسواد. والزهلول: الأملس. والعرفاء: الضبع الطويلة العرف. وجيأل: اسم للضبع تقدمت عليه صفته.

(٢) الأبي: الذي يأبى الذل والظلم. والباسل: الشجاع البطل. والطرائد: جمع طريدة، وهي الفريسة التي تطارد.

(٣) مشيع: شجاع ، كأنه في شيعة وجماعة تنصره. أبيض إصليت: سيف صقيل أو مسلول من غمده. الصفراء: القوس. والعيطل: الطويلة العنق.

(٤) المحيار: المتحير الضال. وانتحت: اعترضت وأفسدت. والهدى (هنا): هداية الطريق في الصحراء. والهوجل: الرجل الأحمق. والعسيف: الضال عن الطريق. ويهماء: صحراء. وهوجل الثانية: مقفرة لا معالم فيها للاهتداء.

(٥) الأمعز: المكان الصلب الكثير الحصى. والصوان: الحجارة الملساء. والمنسم: خف البعير، شبه قدميه بأخفاف الإبل. والقادح: الذي تخرج من قدحه النار . والمفلل: المتكسر.

أُديـمُ مِطـالَ الجـوعِ حتَّـى أُمِيتَـهُ وأَضْرِبُ عنهُ الذِّكْرَ صَـفْحًا فَأَذْهَـلُ
وأَسْتَفُّ تُرْبَ الأرضِ كيْ لا يَرَى بهِ عـليَّ مـن الطَّـول امـرؤٌ متطـوِّلُ[1]
ولولا اجتِنابُ الذَّأمِ لم يُلفَ مشـربٌ يُعَـاشُ بـهِ إلَّا لَـدَيَّ ومَأْكَـلُ[2]
ولكـنَّ نفسًـا حُـرَّة مـا تُقـيم بي عـلى الـذَّأمِ إلَّا رَيْـثَما أتحـوَّلُ

وقد تضمنت هذه الأبيات كثيرًا من المعاني الحكيمة، والصور الرائعة، كما كشفت عن جانب واضح من حياة الشنفرى.

فعندما يئس الشنفرى من إعانة أخواله له على الأخذ بثأر أبيه قرر التحول عنهم ، لكنه ليس تحول الضعيف ، فعليهم أن يقيموا صدور مطيهم، وأن يتهيأوا للدفاع عن أنفسهم، فقد قرر التحول عنهم إلى غيرهم، "ففي الأرض منأى للكريم عن الأذى، وفيها لمن خاف القلى والبغض متحول" أو متعزل، غير أنه لم يتحول إلى قبيلة أخرى يستنصر بها، فقد يئس من بني البشر، إنما تحول إلى عالم آخر "لا السر ذائع بين أهله، ولا الجاني فيها بما جر يخذل"، فاتخذ الشاعر من عالم الذئاب والسباع والنسور أهلًا، حيث رآهم أكثر وفاءً من بني جلدته، وإنه ليفوق كل تلك السباع بسالة وشجاعة، وقد عوضه عن فراق أهله ثلاثة أصحاب: قلبه الشجاع، وسيفه البتَّار، وقوسه التي لا تخطئ.

---

(١) الطول: المن.

(٢) الذأم : العيب يهمز ولا يهمز ، يقال "ذأمه" من باب قطع إذا عابه وحقره فهو مذءوم . (انظر: مختار الصحاح، ٢ / ١١١ ، ط المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت).

وإنه لأبي عزيز النفس لدرجة أنـه يسـتف تـراب الأرض حتـى لا يـرى لأحد منة عليه، ولولا تجنب العيب والذم لكان من السهل عليه تحصـيل مـا يريد، ولكان في سعة من العيش، غير أن نفسه الأبية التـي لا تقبـل الـذل أو الهوان هي التي دفعته إلى خوض تلـك الأهـوال واقتحـام تلـك الصـعاب، مفضلة ذلك عـلى قبـول الضـيم أو الإقامـة عليـه، وإن كـان بعـض النقـاد يأخذون عليه في بيته الأخير من هذه الأبيات قوله "لا تقيم بي على الـذأم إلا ريثما أتحول"؛ إذ كان الأولى بهذه النفس الأبية ألا تلم بهذا الـذأم أو تقـترب منه.

غير أننا نحسب للشاعر أنه صور حالته النفسية دون تجمل، وأنـه كـان واقعيًّا في التعبير عن أحاسيسه وخلجات نفسه ، وفي تصوير البيئـة المحيطـة به تصويرًا يسمح بنقل بعض أبيات اللامية إلى لوحات فنية رائعة.

* * *

المبحث الرابع

مدرسة شعراء النقائض

المبحث الرابع

مدرسة شعراء النقائض

النقض في اللغة الهدم ، يقال : نقض الشيء أي أفسده بعد إحكامه ، ونقض البناء : هدمه ، ونقض الحبل أو الغزل : حل طاقاته ، ونقض ما أبرمه فلان : أبطله ، ويقال : ناقضني وناقضته : أي عمل على إبطال قولي ، وعملت على إبطال قوله ، والنقيضة جمعها نقائض ، ولذلك قالوا : نقائض جرير[1] والفرزدق[2].

والنقيضة في الاصطلاح هي القصيدة التي يعمد فيها الشاعر إلى معارضة قصيدة شاعر آخر ونقضها [3].

---

(١) هو: جرير بن عطية بن الخطفي ، واسمه حذيفة ، والخطفى لقبه، ابن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة التميمي الشاعر المشهور؛ كان من فحول شعراء الإسلام ، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض ، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن ، توفي ١١١هـ. (انظر: الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ٢/ ٢٩٧، والشعر والشعراء،١/ ٤٥٦- ٤٦١).

(٢) هو: أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارميّ، جعله الجمحي من أهل الطبقة الأولى من فحول الشعراء الإسلاميين، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، كان شريفًا في قومه، عزيز الجانب، يحمي من يستجير بقبر أبيه، وكان الفرزدق لا ينشد بين يدي الخلفاء والأمراء إلا قاعدًا ، ولقب بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظه، وتوفي في بادية البصرة وقد قارب المائة. (انظر: طبقات فحول الشعراء، ١/ ٦٥ و٢/ ٢٩٨، والشعر والشعراء، ١/ ٤٦٢- ٤٧٢، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٦/ ٨٦- ١٠٠).

(٣) انظر: المعجم الوسيط، مادة : ن ق ض، وتاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ، ٢ / ٢٤١، ٢٤٢.

والفرق بينها وبين المعارضة : أنَّ المعارضة تقوم على محاكاة شاعر لآخر أو مجاراته مع اتفاق القصيدتين في الوزن والقافية والغرض الشعري ، وأن النقيضتين وإن اتفقتا في الوزن والقافية فإن إحداهما إنما تقوم على نقض الأخرى وهدم بنائها .

وقد تطورت الحياة العقلية والفكرية والاجتماعية في العصر الأموي تطورًا كبيرًا هيأ لازدهار هذا الفن ، وكان لتشجيع خلفاء بني أمية وولاتهم أثر واضح في ازدهار هذا الفن .

اجتمع جرير والفرزدق والأخطل[1] في مجلس عبد الملك بن مروان، فأحضر عبد الملك كيسًا فيه خمسمائة دينار ، وقال : ليقل كل منكم بيتًا في مدح نفسه ، فأيكم غلب فله هذا الكيس ، فقال الفرزدق :

أنا القَطْرَانُ والشَّعرَاءُ جَرْبَى وفي القَطْرَانِ للجربَى شِفَاءُ

فقال الأخطل:

إِن تَكُ زِقّ زامِلَةٍ فإِني أَنا الطاعونُ لَيسَ لَهُ دَواءُ [2]

فقال جرير:

أَنَا المَوتُ الذي آتِي عَلَيْكُمُ فليسَ لهاربٍ منِّي نَجَاءُ

---

(١) هو: أبو مالك، غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، من بني تغلب، جعله الجمحي من أهل الطبقة الأولى من فحول الشعراء الإسلاميين، نشأ في أطراف الحيرة (بالعراق) واتصل بالأمويين، فكان شاعرهم، وأكثر من مدح ملوكهم، وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير، والفرزدق، وكانوا في عصر واحد، ويقال لهم : أثافي الشر يهجو بعضهم بعضًا. (انظر: طبقات فحول الشعراء ٢ /٢٩٩، والشعر والشعراء ١/ ٤٧٣- ٤٨٧، والأعلام ٥/ ١٢٣).

(٢) الزق : السقاء أو الوعاء من الجلد . الزاملة (مؤنث الزامل) : ما يحمل عليه من الإبل وغيرها ، والمراد هنا : الناقة .

فقال عبد الملك لجرير : خذ الكيس ، فلعمري إن الموت ليأتي على كل شيء[1].

وفي محاولة الثأر لنفسه انتفض الفرزدق يومًا وأخذته الحمية في مجلس عبد الملك بن مروان ، فقال : النوار بنت مجاشع[2] طالق ثلاثًا إن لم أقل شعرًا لا يستطيع هذا - وأشار إلى جرير - أن ينقضه أبدًا ، ولا يجد في الزيادة عليه مذهبًا ، فقال عبد الملك : وما هو ؟

فقال الفرزدق :

فإنِّي أنا المَوتُ الَّذِي هو واقعٌ بنفسِكَ فانظُرْ كيفَ أنتَ مُزَاولُه؟

ومَا أحَدٌ يا بن الأَتَانِ بوائلٍ مِنَ الموتِ إنِّ الموتَ لا شكَ نَائِلُه[3]

فأطرق جرير قليلًا ثم قال : أم حرزة[4] طالق ثلاثًا إن لم أكن نقضته وزدت عليه ، فقال عبد الملك : هات ، فوالله لقد طلق أحدكما لا محالة ، فأنشد جرير :

أَنَا البَدرُ يُغْشِي نورَ عَيْنَيك فالتمسْ بكَفيْكَ يا بنَ القَيْنِ هل أنتَ نائلُه ؟

أنا الدَّهرُ يُفْنِي الموتَ والدهرُ خالدٌ فَجِئْنِي بمثلِ الدَّهرِ شيءٌ يُطاولُه؟

فقال عبد الملك : فضلك ـ والله ـ يا أبا فراس وطلق عليك ، فبانت منه

---

(١) بدائع البدائه لجمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر بن حسين الأزدي الخزرجي (ت: ٦١٣هـ) ، ١/ ١١ ، ط مصر ، سنة ١٨٦١م .

(٢) النوار بنت مجاشع : زوج الفرزدق .

(٣) بوائل : بناج .

(٤) زوج جرير .

النوار، وندم على طلاقها ندمًا شديدًا [1] ، وفي ذلك يقول :

نَـدِمتُ ندامـةَ الكسـعِي لمـا غَـدتْ مِنِّـي مطلقـة نَـوارُ[2]

وكَانتْ جَنَّتي فخرجتُ منها كآدمَ حين لجَّ بهـا الضـرارُ[3]

فقد أراد الفرزدق التغلب على جرير من حيث انتصـر جرير عليه وعـلى الأخطل ، فشبه نفسه بالموت الذي ينال كل شيء ولا نجـاة منـه لأحـد مـن الخلق، لكن جريرًا قفز فوق ذلك ، فشبه نفسه بالدهر الذي يفني الموت[4].

وحضر الفرزدق مجلس سليمان بن عبد الملك يومًا ، فأُتِيَ لسليمان بـأسرى من الروم ، فقال للفرزدق : قم فاضرب أعناق هؤلاء ، فاسـتعفاه الفـرزدق من ذلك فلم يعفه ، ودفع إليه سيفًا كليلًا ، وقام الفرزدق فضرـب بـه عنـق رجل منهم اسمه مربع ، فنبا السيف بيده ، فضـحك سـليمان ومـن حولـه ، فقال الفرزدق :

---

(١) انظر : الأغاني للأصفهاني ١٠ / ٢٩٤ .

(٢) الكسعي : أعرابي رمى بالقوس ليلًا فظنها لم تصب ، فاغتاظ وكسرها ، فلما أصبح وجدها قد أصابت ، فعض يديه ندمًا ، وقال.

ندمت ندامة لو أن نفسي تطاوعني إذن لقطعت خمسي

تبين لي سفاه الرأي مني لعمر أبيك حين كسرت قوسي

(٣) ويروى: كآدم حين أخرجه الضرار . (انظر : الكامل في اللغة والأدب لمحمد بن يزيد المبرد أبي العباس (ت ٢٨٥هـ) ، ١/ ١٠٣ ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار الفكر العربي – القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م).

(٤) انظر: اتجاهات النقد الأدبي العربي لأستاذنا المرحوم أ.د/ محمد السعدي فرهود ، صـ ٦٩ ، ٧٠، ط دار الطباعة المحمدية، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .

ما يعجب الناس أنْ أضحكت خيرَهم خليفة الله يسْتَسقى به المطر
لم ينب سَيْفِي من رعبٍ ولا دهش عن الأسِيرِ ولكن أخَّر القدر
ولن يقدمَ نَفْسَه قَبْلَ ميتتها جمع اليَدينِ ولا الصمصامة الذكر

فعيره جرير بذلك حيث يقول :

بسيفِ أبي رغوانَ قين مجَاشع ضربت ولم تضربْ بسيف ابنِ ظَالم
ضربت به عِنْدَ الإمامِ فأرعشت يَداكَ وقَالُوا محدثٌ غَيْرُ صارم

فأجابه الفرزدق بقوله :

ولا نقتلُ الأسْرَى ولكن نفكُّهُم إذا أَثْقَلَ الأعْنَاقَ حَمْلُ المغَارِم
وهَل ضَربة الرُّومِي جَاعِلة لَكُم أبًا عَنْ كُلَيْبَ أو أخًا مِثْل دَارم

وقد احتدم الهجاء والمناقضة بين جرير والفرزدق فأرسى الحلبة في هذا الفن ، وإلى جوارهما كان الأخطل التغلبي ، وقد شاركهم في هذا الفن شعراء آخرون كالراعي النميري ، والبعيث المجاشعي ، وعمر بن لجأ التميمي وغيرهم، لكن أكثرهم لم يثبت أمام فحولة وعنفوان جرير أو الفرزدق أو الأخطل ، ويقال : إن جريرًا وحده أسقط في الهجاء ثلاثة وأربعين شاعرًا، وقيل : بل نيفًا وثمانين [1] ، ومرَّ الراعي النميري في سَفَرٍ برجل يتغنى على قعود له بقول جرير:

وعَاوٍ عَوى مِنْ غَيْرِ شَيءٍ رَمَيْته بقافيةٍ أنفاذها تَقْطُرُ الدَّمَا
خرُوج بأفواه الرُّواةِ كأنَّهَا قرى هنداوَنِي إذا هزَّ صمما

(١) انظر : تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ، ٢ / ٢٤٤ .

فقال : لمن هذا الشعر ؟ قيل : لجرير ، فقال : لعنة الله على من يلومني أن يغلبني مثل هذا [1].

وكان لهذه النقائض أثر واضح في ازدهار الحياة الأدبية والنقدية في العصر الأموي ، فإنها تقوم على مراجعة ما قيل من الشعر في معنى من المعاني، ثم نَقْضِه بشعر آخر أبلغ وأسير [2] ، مما يجعل الشاعر يفكر وينقح كثيرًا قبل أن يخرج شعره إلى الناس ؛ لئلا يتعرض للقدح أو النقض.

وقد أكثر النقاد من الحديث حول هذه النقائض التي شغلت الحياة الأدبية في العصر الأموي وكانت أحد أهم أعمدتها الصلبة ، وكان الشعراء أنفسهم يشاركون في هذا النقض، فكان جرير يقول: النصراني - يعني الأخطل التغلبي - أنعتنا للخمر والحُمر - يعني النساء - وأمدحنا للملوك، وأنا مدينة الشعر [3] .

وسئل الأخطل : أيكم أشعر ؟ فقال : أنا أمدحهم للملوك وأنعتهم للخمر والحمر ، وأما جرير فأنسبنا وأشبهنا ، وأما الفرزدق فأفخرنا [4] .

وسئل مسلمة بن عبد الملك : أي الشاعرين أفضل ؟ أجرير أو الفرزدق؟ فقال : إن الفرزدق يبني وجرير يهدم ، وليس يقوم مع الهدم شيء [5].

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ١/ ٤٥٨ .

(٢) انظر : محاضرات في النقد الأدبي ، ص ٤٢ .

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ١/ ٤٥٩ .

(٤) المرجع السابق ، ١/ ٤٦٠.

(٥) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، لأبي عبيد الله بن محمد المرزباني ، ص ١٥١وما بعدها ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، ط دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

وسئل مروان بن أبي حفصة[1] عن جرير والفرزدق فقال[2] :

ذَهَبَ الفَرَزْدَقُ بالفَخَارِ وإنَّما حلو القَرِيضِ ومره لِجَرِير

وطلب من الصلتان العبدي[3] أن يحكم بينهما فقال [4] :

أَنَا الصلتَانِي الَّذِي قَدْ عَلِمتُم مَتَى ما يحكمُ فهو بالحقِّ صَادِعُ

أَتَتني تَمِيم حِينَ هَابَت قضَاتها وإنِّي لبالفصلِ المبينِ قَاطِعُ

سَأَقْضي قَضَاء بَيْنهم غير جَائِر فهَلْ أَنْتَ للحكمِ المبينِ سَامِعُ

قضَاءَ امرئٍ لا يَتَّقِي الشَّتْمَ مِنْهُم ولَيْسَ لَهُ في المدحِ مِنْهُم منافعُ

فإنْ كنتُما حَكمتماني فأنصتَا ولا تجزعَا ولير ضَ بالحقِّ قَانِعُ

فإنْ تَرضيَا أو تَجزعَا لا أقلكما وللحقِّ بَينَ النَّاسِ راضٍ وجَازِع

فأقْسم لَا آلو عَن الحقِّ بَيْنَهم فإنْ أَنَا لم أعْدِل فَقُل أَنْتَ ضالع

---

(١) هو : مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة ، شاعر من أهل اليمامة ، ولد سنة ١٠٥هـ ، ومات سنة ١٨٢هـ . (انظر : معجم المؤلفين ، ١٢/ ٢٢٠، والأعلام، ٧/ ٢٠٨) .

(٢) الشعر والشعراء لا بن قتيبة، ١ / ٤٥٩ .

(٣) هو : أحد بني محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، قال أبو عبيدة: اسمه قثم، وهو شاعر من شعراء عبد القيس المبرزين، ولم تذكر المصادر شيئًا عن سنة ولادته ولا عن نشأته وحياته ووفاته، واكتفت بالإشارة إلى نسبه، بيد أن ما وصل إلينا من شعره يؤكد أنه أحد الشعراء الأمويين الذين عاصروا جريرًا والفرزدق، وقال فيه الآمدي: شاعر مشهور خبيث، واشتهر باحتكام الفرزدق وجرير إليه، فنظم قصيدة حكم فيها لجرير بالشعر وللفرزدق بالشرف، فثارت ثائرة جرير ورد عليه بشعر مشهور، وتوفي نحو ٨٠هـ- ٧٠٠م. (انظر المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، ص ١٨٦، تحقيق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، ط دار الجيل، بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م ، وسمط اللآلي في شرح أمالي القالي، لأبي عبيد البكري، ١/ ٧٦٦، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٣٥م).

(٤) الشعر والشعراء لا بن قتيبة، ١ / ٤٩١ .

فـإنْ يَـك بَحـر الحَنْظَليـين واحـدًا فـما تَسْـتَوي حِيتَانـه والضَـفَادِع
ومـا يَسْـتَوِي صَـدر القنـاةِ وزجهـا ومـا يَسْـتَوِي شـم الـذرَا والأكَـارِع
ولَـيْسَ الـذَّنَابى كالقـدَامى ورِيشـه وما تَسْتَوِي فِي الكَفِّ مِنْكَ الأصَـابِع
ألا إنَّـما تَحْظـى كليـب بِشـعرِهَا وبِالمجـدِ تَحْظـى دَارِم والأقَـارِع
أرَى الخطْفـي بـذ الفَـرَزْدَق شـعره ولكـن خَـيْرًا مِـنْ كليـب مجَاشِـع
فيَـا شـاعرًا لا شَـاعر اليَـوم مثلـهُ جريـر ولكـن فِي كليـب تَوَاضـع
جريـر أَشَـد الشَـاعرين شَـكِيمة ولَكِـن علتـه البَاذخَـات الفـوَارِع
ويَرْفَـع مِـنْ شـعْرِ الفَـرَزْدَق أنَّـه لَـهُ بَـاذِخ لِـذِي الخَسِيسـة رَافـع
وقد يَجْمد السَّيفُ الددان بِجِفْنِـه [1] وتلقـاه رثًّـا غمْـده وَهُـو قَـاطِع
يُنَاشِـدُني النَّصـر الفَـرَزْدَق بعـدما ألحـتْ عَلَيـه مِـنْ جريـر صَـوَاقع
فَقُلْـت لَـهُ : إنِّي ونَصْـرك كالَّـذي يثبـت أنفًـا كشـمته الجـوَادِع
وقَالَتْ كليب : قَـدْ شرفنَـا عَلَـيكم فَقُلْـتُ لَـهُ : سـدت عَليـكَ المطَـالِع

فالصلتان العبدي تنازعه عاملان : عامل التبريز في الشعر الـذي يعطفـه على جرير ويصده عن الفرزدق ، وعامل الجاه الاجتماعـي الـذي يرفـع مـن شعر الفرزدق ويقصي جريرًا .

أو قل : إن جريرًا نال مكانة اجتماعية بشعره في حين ارتفع شأن الفـرزدق في الشعر بمكانته الاجتماعية [2] .

---

(١) السيف الددان : الكل الذي لا يقطع .

(٢) انظر اتجاهات النقد الأدبي العربي، أ.د/ محمد السعدي فرهود ، ص ٩٨.

غير أن هذا الحكم لم يرق لجرير ، فقال للصلتان[1] :

أقــولُ ولم أملــكْ سَــوَابِق عــبرة مَتَى كـانَ حُكْـم اللهِ في كـرب النَّخـل

وقد أثمر التفنن في هذه النقائض أبياتًـا وأشعـــارًا من أروع ما قيل في الفخر ، وأقذع ما قيل في الهجاء ، فيرى بعـض النقـاد أن أفخـر بيـت قالتـه العرب قول جرير[2] :

إذا غَضِــبتْ عَلَيــكَ بَنُــو تمــيم حَسِــبت النَّــاس كُلهــم غِضَــابَا

وقال بعضهم : قول الفرزدق[3] :

تَرَى النَّاسَ ما سِرْنَا يَسِيرُون خَلفَنَا وإنْ نحنُ أَومَأْنَا إلى النَّاسِ وقفُـوا

ومن جيد الفخر قول الفرزدق في إحدى نقائضه :

إنَّ الَّذي سَـمكَ السـماءَ بنـى لنَـا بيتًـــا دَعَائِمُـــهُ أعَـــزُّ وأَطْـــوَلُ

حُلَــلُ المُلــوكِ لِباسُــنا في أَهلِنــا وَالسابِغاتِ إلى الـوَغى نَتَسـرَبَلُ[4]

أَحْلَامُنــا تَــزِنُ الجبــالَ رَزَانــةً وتَخَالُنَــا جنًّــا إذا مــا نَجْهَــلُ[5]

فَــادفعْ بِكفِّــكَ إنْ أردتَ بِنَاءنَــا ثهلان ذا الهضباتِ هَلْ يتحلحـلُ[6]

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ص ٣٣٩.

(٢) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ، ص ٧٦ ، تحقيق : أحمد حسن بسج ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

(٣) المرجع السابق، ص ٧٨.

(٤) شرح نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، ١/ ٣٦٠، تحقيق: محمد إبراهيم حور، ط المجمع الثقافي ، أبو ظبي- الإمارات ، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م .

(٥) سمط اللآلي ، ١/ ٣١٨.

(٦) شرح نقائض جرير والفرزدق ، ١ / ٣٦٠ .

أما الهجاء فقد أنتجت النقائض أقذع ما جاء فيه ، فقد سأل عبد الملك بن مروان جلساءه : هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعر ودوا لو أنهم افتدوا منه بأموالهم ؟ فقال هانئ بن قبيصة : أولئك نحن يا أمير المؤمنين ، قال : فما قيل فيكم ؟ قال : قول جرير[1] :

فَغُضِ الطرفَ إنَّك مِنْ نُميرٍ فَلَا كَعبًا بَلَغتَ ولا كِلابَا

وذكر أن جريرًا لما قال :

والتَّغْلبيُّ إذا تنَحْنحَ للقِرَى حَكَّ اسْتَه وتَمَثَّلَ الأمْثَالَا

قال : قد قلت فيهم بيتًا لو طعن أحدهم في استه لم يحكها[2] .

وقيل : إن أهجى ما قالته العرب قول الفرزدق[3] :

ولَو ترمي بِلؤمِ بني كُلَيبٍ نجُوم اللَّيلِ ما وضحتْ لسَاري

ولَوْ لبسَ النَّهار بنُو كُليبٍ لدنس لؤمُهم وضحَ النهارِ

وما يَغْدُو عزيزُ بني كُليبٍ لِيَطلبَ حاجةً إلَّا بجَارِ

وقيل : إن أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل لجرير :

مَا زالَ فِينَا رِبَاط الخَيْل مُعلمة وفي كُليبٍ ربَاط اللؤمِ والعَارِ

قومٌ إذا استنبحَ الأضْيَاف كلبهم قالوا لأُمِّهم بولي عَلى النَّارِ[4]

قال بنو تميم : ما هجينا بشيء هو أشد علينا من هذا البيت .

---

(١) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ، ص ١٧٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص١٧٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧١ ، وانظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ١/ ٤٨٢ .

(٤) ديوان المعاني ، ١ / ١٧٥ .

ومن جيد هذه النقائض قصيدة الفرزدق التي افتتح بها صاحب جمهرة أشعار العرب ملحماته السبع ، وفيها يقول الفرزدق[1] :

فإنَّك إنْ تسعى لِتدركَ دَارمًا ... لأنْتَ المعنَّى يا جَريرُ المكلفُ
أتَطْلبُ مِنْ عندِ النُّجومِ وفوقها ... بريق وعِيْر ظَهْرُهُ متقرفُ [2]
عَطَفت عَليكَ الحرب إنِّي إذا ونى ... أخو الحَربِ كرار عَلَى القرنِ معطفُ[3]
أبى لجريرٍ رَهْطُ سُوء أذلة ... وعرض لَئيمٍ للمخازي مَوقِفُ
وَجَدت الثَرَى فينا إذَا التمس الثَرَى ... ومَنْ هو يرجُو فَضْله المتضيفُ
وتَمْنَع مَوْلَانا وإنْ كان نائيًا ... بنا دَاره مما يَخَافُ ويَأنفُ
تَرَى جَارنا فِينَا يخير وإنْ جَنَى ... ولا هُو مما ينطفُ الجَار ينطفُ[4]
وكنَّا إذا نامتْ قريشٌ عن القرى ... إلى الضَيفِ نمشي مُسْرِعِينَ ونلحفُ
وَجَدنَا أعز النَّاس أكثَرهم حَصَى ... وأَكْرَمُهُم مَن المَكارِمِ يعرفُ
وكِلتَاهُما فِينَا لنَا حينَ تلتقي ... عَصَائب لَاقَى بينَهُنَّ المعرفُ
مَنَازيل عَنْ ظَهرِ الكَثير قليلنا ... إذَا ما دَعَا ذُو الثؤرةِ المتردفُ[5]
قَلَفنا الحصى عَنْه الَّذي فوقَ ظهرِهِ ... بأحلامِ جهال إذَا مَا تغضفُوا[6]

---

(١) جمهرة أشعار العرب ، ص ٧٠٤ .

(٢) الريق : حبل يشد به . العير : الحمار . يتقرف : يتقرح .

(٣) ونى : تأخر .

(٤) ينطف : يهلك .

(٥) الثورة : العداوة . المتردف : المترادف الكثير ، وهو الذي يركب خلف الراكب .

(٦) قلفنا : ألقينا . بأحلام جهال: بعقول عقلاء يجهلون إذا جهل عليهم. تغضفوا: مالوا عليه بالنظر.

وَجَهـل بحِلْـمٍ قَـدْ دفعنـا جنونـه وَمَـا كَـانَ لَـولَا عِزُّنـا يتزحلـفُ[1]
فَـمَا أَحَـد فِي النَّـاسِ يعـدل دارمـا بعـزٍّ ، ولا عـز لـه حِـينَ يخنـفُ[2]

* * *

(١) يتزحلف : يتباعد.
(٢) يخنف : يشمخ بأنفه كبرًا .

المبحث الخامس

مدرسة الغزل العذري

المبحث الخامس
مدرسة الغزل العذري

يقسم الغزل – بصفة عامة – إلى ثلاثة أقسام :

أ ـ الغزل العذري :

وهو غزل عفيف يدور في الغالب حول أثر الحب في النفس، ودلائل الصبابة والشوق ، وما يكابده أو يعانيه الشاعر من الصد والهجر ، أو البعد والحرمان ، وهذا اللون من الغزل ينأى غالبًا عما يخدش الحياء ويثير الغرائز، كما يترفع عن تجسيد مفاتن المرأة الجسدية ، أو الإفصاح عن التطلعات الجنسية نحوها.

ب ـ الغزل الصريح :

ويسميه بعض الكتاب الماجن أو المكشوف ، ويعتمد هذا اللون في الغالب على تصوير مفاتن المرأة ، واللهفة نحوها ، وربما النيل منها ، أو حتى تصويرها هائمة بمعشوقها على نحو ما صور عمر بن أبي ربيعة بعض من شببّ بهنّ .

ج ـ الغزل التقليدي :

يسميه بعض الكتاب الغزل الصناعي[1] ، وهذا الغزل في الغالب لا يصدر عن تجربة شعورية صادقة عاشها الشاعر وكابد آلامها ، إنما يصدر

---

(١) انظر: الغزل للدكتور/ محمد سامي الدهان ١/ ٣٧ ، سلسلة فنون الأدب العربي ، ط دار المعارف، سنة ١٩٨١م .

عن حسٍّ تقليدي ، أو رغبة إظهار القدرة على مجاراة أهـل الفـن ، أو يكـون ناشئًا عن الالتزام بنمط القصيدة القديمة التي كان الشاعر يحرص على بدئها بالغزل ، أو الوقوف على الطلل ، أو بكـاء الـديار والـدِّمَن[1] ، وربـما كـان كلف شعراء هذا اللون من الغزل بالفن الشـعري والإجـادة فيـه أشـد مـن كلفهم باللذة لأنها لذة ، أو بالعفة لأنها عفة[2] .

ولم نجد عصـرًا من عصور الأدب القـديم اسـتوعب فنـون الغـزل مـثلما استوعبها العصر الأموي.

وقفة مع الغزل العذري :

ومع أن معاني الغزل العذري وما تنطوي عليه مـن مشـاعر وعواطـف تكاد تكون جزءًا من طبيعة النفس البشرية فإن هذا الغزل قـد نـما وترعـرع وصار فنًّا شعريًّا له سماته وخصائصه في رحاب العصر الأموي ، وسـاعدت الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية على ازدهار هذا اللون من الغزل .

فقد تطورت الحياة الاجتماعية في هذا العصر تطورًا واضـحًا نتيجـة هذا الثراء وتدفق الأموال على خزائن بني أميـة ، فتحـول أكثـر النـاس مـن حياة البداوة وسكنى الخيام إلى حياة الحضـر وسكنى المدن ، واختلط العرب بالأجناس الأخرى من أبناء الأمم المفتوحة ، فامتزجت الثقافات ، وبـدأت بعض عادات وتقاليد هذه الأمم تدب في المجتمع العربي .

لكن قـرب الناس في هذا العصـر من عصـر النبـوة ، واحتفـاظ أكثـر

---

(١) الدمن جمع دمنه، وهي ما بقي من آثار الدار. (انظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢ / ١٤٩).

(٢) انظر: حديث الأربعاء لطه حسين ، ٢ / ١٧ ، ط : دار المعارف .

الناس بعاداتهم وتقاليدهم وشيمهم العربية الأصيلة قد شكَّل إلى حدٍّ كبير حاجزًا بينهم وبين المجون والخلاعة ، وجعل تقبل هذا المجتمع للغزل المكشوف موضوع أخذٍ وردٍّ، فكان الغزل العذري هو ذلك الفن الذي يمكن لهذا المجتمع أن يتلقاه بالقبول والاستحسان بدون أن يجد حرجًا في الإفصاح عن مشاعره وعواطفه في ضوء الضوابط والقيم التي تُشَكِّلُ هذا اللون من الغزل في رحابها ، حتى رأينا بعض الزهاد والنساك يُدْرَجُون في عداد شعراء هذا الغزل من أمثال عبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي ، وعروة بن أذينة ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة[1] .

ومن أبرز شعراء هذا اللون جميل بن عبد الله بن معمر العذري المعروف بجميل بثينة [2]، وعلى الرغم من كثرة الأخبار والروايات التي تتعلق بحياته وقصة حبه لبثينة واختلاف هذه الروايات وتضاربها أحيانًا فإن قصته تتلخص في أنه أحب فتاة من أبناء عمومته ، وهي بثينة بنت حبأ بن حن بن ربيعة العذري ، أحبها وهو لا يزال غلامًا صغيرًا ، وهي لا تزال جويرية لم تدرك بعد ، وفي ذلك يقول [3] :

---

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ٢/ ٣٤٩ .

(٢) هو : جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي، أبو عمرو، شاعر، من عشاق العرب، افتتن ببثينة من فتيات قومه، فتناقل الناس أخبارهما، ويعدّ في الطبقة السادسة من شعراء الإسلام، كان فصيحًا مقدمًا جامعًا للشعر والرواية، وكان في أول أمره راويًا لشعر هدبة بن خشرم، توفي ٨٢ هـ. (انظر المقفى الكبير، المقريزي، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٦م، ٣/ ٤٢، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ٨/ ١٢٥، ١٢٦).

(٣) ديوان جميل بثينة لأبي عمرو، جميل بن عبد الله بن مَعْمَر العُذْري القُضاعي ، ص ٤١ ، ط دار صادر، بيروت .

علقتُ الهوى مِنْهَا وليدًا فَلَمْ يزلْ إلى اليومِ يَنْمِي حُبُّهَا ويَزِيدُ
وأَفنيتُ عُمري بانتظارِ نوالها وأبليتُ فيها الدهرَ وهُوَ جَديدُ

وتغزل جميل بثينة فسار شعره في القبيلة والناس ، فلما جاء ليطلبها من أبيها رده خائبا وضن عليه بها ، لأن عادتهم كانت تقضي بألا يزوجوا بناتهم من تغزل بهن حتى لا يلحقهم عارها ، فقد رفض والدها أن يزوجها جميلًا وزوجها رجلًا آخر من بني عذرة ـ أيضًا ـ يقال له : نبيه بني الأسود ، وفي ذلك يقول جميل[1] :

لقد فَرِحَ الوَاشُون أنْ صَرمت حَبْلِي بُثَيْنَةُ أو أبدتْ لنَا جَانِبَ البُخْلِ
يقُولُونَ مَهلًا يا جَمِيلُ وإنني لأُقْسم مَالي عَنْ بُثَيْنَة مِن مهلِ
أَحلمًا ، فَقَبْلَ اليومِ كَانَ أَوَانُه أم أخشَى؟ فَقَبْلَ اليومِ أوعدتُ بالقتلِ
لَقَد أَنْكَحُوا جَهلًا نبيهًا ظَعينةً لَطِيفَة طَيّ الكَشْحِ ذات شَوًى خَدلِ[2]
وكَمْ قَدْ رأينَا سَاعيًا بنميمةٍ لآخرَ لم يَعْمدْ بكفٍّ ولا رجلِ
إذَا مَا تَراجَعنا الَّذي كانَ بيننَا جَرَى الدَّمعُ مِن عَينَي بُثَيْنَةَ بالكُحلِ
ولَو تَرَكتْ عَقلي مَعِي مَا طلبتُها ولكنْ طلبتُها لما فاتَ مِنْ عَقلي
فَيَاويحَ نَفْسي حَسْبُ نَفسي الَّذي بهَا ويَاويحَ أهلي مَا أُصيبَ بِهِ أَهلي

وقد حاز شعر جميل ثناء النقاد وأسر قلوب العشاق ، ومما استجاده النقاد قوله :

---

(١) ديوانه ص ٩٨، وانظر مقدمة ديوانه ، ص ٥ وما بعدها.

(٢) الشوى : المراد به هنا الأطراف . الخدل : الممتلئ.

وإنِّي لأَرضَى مِـــنْ بُثَيْنَـــة بالَّـــذي لَو أَبْصَـرَه الواشِي لقَرت بَلَابلُه[1]

بِــلا ، وبــأنْ لا أســتَطِيع ، وبِــالمُنى وبالأملِ المَرْجـو قَـدْ خَـابَ آملُـه

وبِالنَّظْرةِ العَجْلَى، وبالحولِ تَنقَضِــي أواخـــرُهُ لَا نَلتقِـــي وأوائلُـــه

وقالوا هذا هو المحب الذي يقنع بالقليل ، ولو كان نظرة خاطفـة ، أو طيفًـا زائلًا ، أو وعدًا ممطولًا ، أو أملًا مبددًا ، لا هذا الذي يقول :

وَلَسْتُ براضٍ مِـنْ خَلِيـل بِنائـل قَلِيــل وَلَا أرضَى لَــهُ بقَلِيــلِ

لأن هذا كلام مكافئ وليس بعاشق[2].

وبعثت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله إلى كثير[3] ، فقالت له : ابـن أبي جمعة ما الذي يدعوك إلى ما تقول في عـزة وليسـت عـلى مـا تصـف مـن الحسن والجمال ؟ ولو شئت صرفت ذلك إلى من هـو أولى بـه منهـا ، أنـا أو مثلي ، فأنا أشرف من عزة وأوصل ، وكانت عائشة قد أرادت أن تختبر مدى

---

(١) قرت بلابله : هدأت وساوسه وسكنت .

(٢) انظر: الموشح للمرزباني ، ص ١٩٧، ١٩٨، واتجاهات النقد الأدبي العربي للدكتور / محمد السعدي فرهود، ص ١٦٧، والبيت لكثير عزة.

(٣) هو: كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر، شاعر متيم مشهور، من أهل المدينة، أكثر إقامته بمصر، اشتهر بكثير عزة نسبة إلى محبوبته عزة بنت جميل بن حفص بن إياس الغفارية الكنانية، قال عنه المرزباني إنه: كان شاعر أهل الحجاز في الإسلام، لا يقدمون عليه أحدًا، توفي بالمدينة ١٠٥هـ. (انظر قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ، أبو محمـد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة ، ٢/ ٢٣، عُني به: بو جمعة مكري، وخالد زواري، ط دار المنهاج، جدة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م، والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، للسخاوي ، ٢/ ٢٩٣، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م).

حبه لعزة وتمسكه بها دون سواها ، فقال كثير[1] :

إذَا مَـا أَرادَت خلَّـةٌ أن تُزيلَنـا أَبَيْنَـا وقُلْنَـا الحاجبيّـة أَولُ[2]

سنُوليكِ عُرفًا إن أردتِ وصالَنا ونَحنُ لتلكَ الحاجبيّةِ أوصلُ

لهـا مهـلٌ لا يُسـتطَاعُ دراكُـهُ وسَابقة في الحبِّ مـا تتحـولُ

فقالت عائشة : والله لقد سميتني لك خلة وما أنا لك بخلـة ، وعرضـت على وصلك وما أريد ذلك وإن أردت ، ألا قلت كما قال جميل[3] :

ويَقُلن إنَّـك قـد رضـيتَ بباطـلٍ منها فهلْ لكَ في اجتنَـابِ الباطـلِ

ولَباطـلٌ ممـن أُحـبُّ حديثَـه أَشْـهى إليَّ مـن البغـيضِ البـاذلِ

ولَـرُبَّ عارضـةٍ علينَـا وصـلَها بالجـدِ تخلطـهُ بقـولِ الهـازلِ

فَأَجبتهـا في الحـبِّ بعـدَ تسـترٍ حبي بثينـةَ عَـن وصـالِك شـاغِلِي

لـو كـانَ في قَلبـي كقـدرِ قُلَامـةٍ فَضلًا وَصَلتُك أو أتتـكِ رسـائلِي

فقد أدركت عائشة بحاستها الأنثوية أن جميلًا أصدق في حبه من كثـير ، فقد شغله حب صاحبته ، وملك عليه قلبه فلم يبق فيه مقدار قلامة لغيرها ، أما كثير فقد ضعف أمام أول اختبار وأسرع بعـرض وصـاله عـلى أول مـن أومأت له، ولم يزد على جعل صاحبته أولى من غيرهـا لمـا لهـا مـن سـابقة في الحب ، وليس هذا بصنيع المحب الصادق ، ومـن ثمـة استحسـنت عائشـة أبيات جميل وقدمتها على أبيات كثير .

---

(١) الشعر والشعراء لا بن قتيبة ، ١/ ٥٠٠ .

(٢) تزيلنا : تفرقنا .

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ١/ ٥٠٠ .

ومما يستجاد لجميل في هذا اللون من الغزل قوله في بثينة[1] :

لَهَا فِي سَوَاد القلـبِ بالحـبِّ مَيعـةٌ هي الموتُ أو كَادت على الموتِ تشرفُ
وما ذكرتكِ الـنفسُ يَـا بـثنَ مـرةً مِـن الـدهرِ إلا كـادت الـنفسُ تتلَـفُ
وإلَّا اعتَرتنـــي زفـــرةٌ واســـتكانةٌ وجادَ لها سَجْلٌ مِـن الـدمعِ يـذرفُ[2]
وما استَطْرفَتْ نفسِـي حَدِيثًا لخلةٍ أُسَرُّ بِـــــه إلَّا حَـــــديثُك أطـــــرفُ
وبَينَ الصَـفَا والمَـروتَيْن ذَ كـرتُكم بمختَلَفٍ ، والنَّاسُ سـاعٍ وموجِـفُ[3]
وعنـدَ طَـوافي قَـدْ ذكرتُـكِ مـرةً هي الموتُ بل كَادتْ على الموتِ تضْعفُ

وقوله حين حجبوها عنه [4]:

فـإنْ يحجبُوهَـا أو يحُـل دونَ وَصْـلِهَا مَقالَـــةُ واشٍ أو وَعِيـــدُ أَمِـــيرِ
فَلَـمْ يحجبُـوا عَيْنـي عَـنْ دَائِـمِ البُكـا ولن يَمْلكُوا ما قَدْ يجنُّ ضَمِيري [5]
إِلَى اللهِ أَشـكُو مَـا أُلَاقِـي مِـن الهَـوَى ومِـــن حُـــرَقٍ تَعتَـــادُنِي وزَفِـــيرِ
ومِـنْ كُـرَبٍ للحُـبِّ فِي بَـاطِنِ الحَشَـا ولَيـلٍ طَويـلِ الحُـزنِ غَـيرِ قَصـيرِ
سَـأَبكِي عَـلَى نَفْسِـي بِعَـينٍ غزيـرةٍ بُكَـاءَ حَـزِينٍ فِي الوثـاقِ أَسِـيرِ
وكُنَّـا جَميعًـا قبـلَ أنْ يظهـرَ النَّـوَى بـــأنعَمِ حَـــالَيْ غِبطَـــةٍ وسُرورِ

---

(١) ديوانه، ص ٨١ ، وانظر: العشاق الثلاثة ، د/ زكي مبارك، ص ٥٢ وما بعدها ، ط مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة .

(٢) السجل (بفتح السين وسكون الجيم) : الدلو العظيمة مملوءة .

(٣) موجف : مسرع .

(٤) ديوانه ص ٦١ ، والأبيات موجودة كذلك في ديوان قيس بن ذريح ص٢٥ .

(٥) يجن : يستر .

فَـما بَـرِحَ الوَاشُـونَ حَتـى بَـدَتْ لنَـا بُطُـونُ الهَـوَى مَقْلُوبَـةً بِظُهُـورِ
لَقدْ كُنتُ حَسبَ النفسِ لو دَامَ وَصْلُنَا ولكـنَّما الـدُّنيَا مَتَـاعُ غُـرورِ
ولو أَنَّ امرَأً أَخْفَى الهَوَى عَـنْ ضَـمِيرِه لَـتُّ ولَمْ يَعْلَـمْ بِـذَاكَ ضَـمِيرِي

على أن شعراء هذا اللون الغزلي كثيرًا ما تتشابه تجاربهم العاطفية ، فتتوارد خواطرهم ، وتتلاقى أفكارهم ومعانيهم ، فيقع الخلط في نسبة الأشعار إليهم والانتحال أحيانًا .

وتتميز أشعارهم بالسهولة ، والوضوح ، وقرب المعاني ، وهو ما يتناسب وطبيعة هذا اللون من الغزل ، ولا نجد في أشعارهم تكلفًا ولا ميلًا إلى استخدام المحسنات اللفظية أو البديعية إلا ما أتى عفو الخاطر غير متكلّف ، ولا نلمس فيها غموضًا ، ولا غوصًا وراء المعاني ، أو جريًا وراء التصوير والخيال إلا في مواضع محددة تنبثق من واقع التجربة ، ولا تفتعل لإثرائها .

وتغلب على أشعارهم المباشرة ، وسهولة العبارة ، وقربها من اللهجة الشعبية أحيانًا ، ونلمس في أشعار كثير منهم خيطًا قصصيًّا .

وربما لعب الخيال دورًا كبيرًا في نسج مغامراتهم وقصص حياتهم ، وربما صنع بعض الرواة قصصًا لتفسير بعض أشعارهم ، فقد تتشابه هذه القصص واقعًا أو خيالًا ، فعلى شاكلة قصة جميل مع بثينة تقع أو تنسج قصة قيس بن الملوح[1] مع صاحبته ليلى ، فهي - أيضًا- من أبناء عمومته ، وقد

(١) هو: قيس بن الملّوح بن مزاحم العامري، شاعر غزل، من أهل نجد، لم يكن مجنونًا وإنما لقب بذلك لهيامه في حب "ليلى بنت سعد"، قيل في قصته: نشأ معها إلى أن كبرت وحجبها أبوها،=

تعلق بها قيس وهما صغيران يرعيان إبلهم كما تعلق جميل بصاحبته بثينة منذ نعومة أظافرهما ، وفي هذا يقول قيس[1] :

تعَلَّقتُ لَيْلَى وهْـيَ غِـرٌّ صَـغِيرَةٌ ولم يَبْدُ لِلأترابِ من ثَدْيها حَجْـمُ

صَغِيرَيْنِ نَرْعى البَهْمَ ياليتَ أَنَّنَا إلى اليومِ لَمْ نكْبُرْ ولم تكْـبُرْ الـبَهـمُ

واشتد حبه لها ، وهيامه وتغزله بها ، حتى فشا أمرهما ، فحجبها أبوها عنه، فلما تقدم لخطبتها رفضه والدها للعادات والتقاليـد التـي حالـت دون زواج جميل ببثينة ، وهو أنهم لا يزوجون بناتهم من يشبب بهن حتى لا يقـال إنهـم زوجوه درءًا للعار أو سترًا للفضيحة ، ثم رفع والدها أمر قيس إلى السلطان الذي أهدر دمه إن هو تردد على دارها أو تعرض لهـا ، وهـو عـين مـا فعلـه الوالي مع جميل حين شكاه أهل بثينة إليه.

وأيما كان الأمر في قصص هؤلاء العشاق ، وما نسـب إلـيهم أو نسـجه الخيال حول مغامراتهم العاطفية ، فإنهم قد أثروا المكتبة الأدبيـة بكـمٍّ هائـل

= فهام على وجهه ينشد الأشعار ويأنس بالوحوش، فيُرى حينًا في الشام وحينًا في نجد وحينًا في الحجاز، إلى أن وُجد ملقى بين أحجار وهو ميت ، فحُمل إلى أهله ٦٨هـ، وقد جمع بعض شعره في "ديوان"، وصنف ابن طولون كتابًا في أخباره سماه " بسط سامع المسامر في أخبار مجنون بني عامر" . (انظر الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، ٢٤/ ٢٢٣-٢٢٧، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م ، وتاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين الذهبي، ٢/ ٧٠٠ ، تحقيق: الدكتور/ بشار عوّاد معروف، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م).

(١) ديوان مجنون ليلى لقيس بن الملوح ، ص ١٨٦، جمع وتحقيق وشرح: عبد الستار أحمد فراج، ط : دار مصر للطباعة .

من الأشعار الرقيقة المعبرة عن المشاعر الجياشة، والحب العذري الخالص ، مع صدق التجربة ورقة العبارة .

فقد استطاع الشاعر العذري أن يضفي على محبوبته شمائل تميزها عن سائر بنات جنسها، فالمرأة عند الشاعر العذري مثال رائع ، لا تحدده الأوهام ولا الظنون ، هي جنية لبست ثياب المرأة لتخبله وتستبيه بلا ترفّق ولا استبقاء .

والحب العذري هو معركة عنيفة تقع في ميدانين : الأول ميدان الصراع بين الشاعر وهواه ، والثاني ميدان القتال بين الشاعر ومن يهواه ، وكأنما يطارد ظبية عصماء لا تنال إلا باقتحام الأهوال فوق قمم الجبال .

وهل كان يمكن أن يفتخر العذريون بالعفاف ـ وهو في عرف الفحول من الخيبة ـ لو لم يكن ذلك العفاف علامة قوة عارمة تمثل السيطرة على أهواء النفس .

ذلك هو الحب العذري ، وأولئك هم المحبون العذريون ، وما أقول بأن أصحاب تلك العواطف كانوا على درجة واحدة من الطهر والسمو والعفاف ، ولكن من المؤكد أنهم أسهموا في إمداد الشعر العربي بصفة عامة وفن الغزل بصفة خاصة بشمائل رفيعة جعلت من شعرهم أغاريد يترنم بها العاشقون ، ويتناقلها الناس جيلًا بعد جيل[1]، وهذا طرف من ترنيمات هؤلاء العاشقين.

---

(١) العشاق الثلاثة للدكتور/ زكي مبارك ، ص ٢٠ – ٢٥ بتصرف .

يقول قيس بن الملوح[1] :

رُعَـاةَ اللَّيْـلِ مـا فعـلَ الصَّـباحُ ... ومـا فَعَلَـتْ أوَائِلُـهُ المِـلاَحُ
ومـا بـالُ الَّـذِينَ سَـبَوْا فُـؤادِي ... أقـاموا أم أَجَـدَّ بهـم رَوَاحُ
ومـا بَـالُ النُّجُـومِ معَلَّقَـاتٌ ... بِقلْـبِ الصَّـبِّ لـيس لهـا بَـرَاحُ
كـأنَّ القلـبَ ليلـةَ قِيـلَ يُغْـدَى ... بِلَـيْلَى العامريَّـةِ أو يُـرَاحُ
قطـاةٌ عزَّهـا شَرَكٌ فباتَـتْ ... تُجَاذِبُـه وقَـدْ عَلِـقَ الجَنَـاحُ
لَهـا فَرْخَـان قَـدْ تُرِكَـا بِقَفْـرٍ ... وعُشُّـهُمَا تَصْـفُقُه الرِيَـاحُ
إذَا سَـمِعَا هُبُـوبَ الـرِّيحِ هبَّـا ... وقَـالَا أُمَّنَـا تَـأتِي الـرُّواحُ
فَـلا باللَّيـلِ نالـتْ مَـا تُرجِّـي ... ولا في الصُّـبحِ كَـانَ لَهَـا بَـرَاحُ
رُعـاةَ اللَّيـلِ كُونُـوا كيـفَ شِـئْتُمْ ... فَقَـد أَوْدَى بِيَ الحُـبُّ المُتَـاحُ

فقلبه في خفقانه واضطرابه وحركته الدائبة القلقة المتوترة أشبه ما يكون بقطاة وقعت في شرك ، وعلق جناحها بخيوطه ، وزاد من قلقها واضطرابها وعنف حركتها ما خلفته وراءها ، وهما فرخان لها قد تركتهما بقفر في مهب الرياح وهما في انتظار عودتها ، ومع ذلك ما كان لها إلى السلامة سبيلًا لا بالليل ولا بالنهار .

ومن جيد شعره أيضًا قوله[2] :

خَلِـيلَيَّ إنْ لَا تَبْكِيَـاني ألـتَمس ... خَلـيلًا إذَا أَنْزفـتُ دَمْعـي بَكَـى لِيَـا

---

(١) ديوان مجنون ليلى ، ص ٧٣ .

(٢) ديوان مجنون ليلى، ص ١٣٩ .

فَـــما أُشرفُ الأبْقَـــاعَ إلَّا صَـــبَابَة ولا أُنشِـــدُ الأشـــعَارَ إلَّا تَـــدَاويَا
وقَـــدْ يَجْمَـــعُ اللهُ الشَّـــتِيتَين بَعْـــدَمَا يَظُنَّـــانِ كُـــلَّ الظَّـــنِّ ألَّا تَلَاقِيَـــا
لَحَـــى اللهُ أقوامًـــا يقولُـــونَ إنَّنَـــا وَجَدْنَا طَـوالَ الـدهرِ للحـبِّ شَـافيًا
وَعَهْـدِي بِلَـيلَى وهِـي ذَاتُ مُؤصِّـدٍ تَـــردُّ عَلَينَـــا بِالعشِّـــي المَوَاشِـــيَا
فَشَـــبَّ بَنـو لَـيلى وَشَـبَّ بَنـو ابنِهـا وَأَعـلاقُ لَـيلى في فُـؤادِي كَـما هِيَـا
خَلـــيلَيَّ لا وَاللهِ لا أَملِـــكُ الَّـــذي قَضَـى اللهُ في لَيْلَى ولَا مـا قَضَـى لِيَـا
قَضـــاها لِغَـــيري وَابـــتَلاني بِحُبِّهـــا فهـــلَّا بِشَـــيءٍ غَـــيرِ لَـــيْلَى ابتَلَانِيَـــا
وَخَبَّرتُمـــاني أَنَّ تَـــيماءَ مَنـــزِلٌ لِلَـــيلى إذا مـــا الصَّـــيفُ أَلقـــى المَراسِـــيا
فَهَذي شُهورُ الصَّيفِ عَنّا قَدِ انقَضَت فَـــما لِلنَّـــوى تَرمـــي بِلَـــيلى المَرامِيـــا
فَلَـــــو أَنَّ واشٍ بِاليَمامَـــــةِ دارُهُ ودَارِي بِأعْلَى حَضْرَ مَوت اهتَدَى ليَـا
فَـــإِن تَمنَعـــوا لَـــيلى وَتَحمـــوا بِلادَهـــا عَـــلَيَّ فَلَـــن تَحمـــوا عَـــلَيَّ القَوافِيـــا
فَأَشـــهَدُ عِنـــدَ اللهِ أَنّي أُحِبُّهـــا فَهَـذا لَهَـا عِنـدي فَـما عِنـدَها لِيـا
قَضَـــى اللهُ بِـالمعرُوفِ مِنْهَـا لِغَيْرِنَـا وبِالشَّـوقِ منِّـي والغـرامِ قَضَـى ليَـا
وَإِنَّ الَّـــذي أَمَّلـــتُ يـــا أُمَّ مالِـــكٍ أَشـــابَ فُوَيـــدي وَاســـتَهامَ فُؤادَيـــا
أَعُـــدُّ الليـــالي لَيلَـــةً بَعـــدَ لَيلَـــةٍ وَقَـد عِشـتُ دَهـرًا لا أَعُـدُّ اللَّيالِيـا
وَأَخـرُجُ مِـن بَـينِ البُيـوتِ لَعَلَّنـي أُحَدِّثُ عَنـكِ الـنَّفسَ بِاللَيـلِ خالِيـا
أَراني إِذا صَـــلَّيتُ يَمَّمـــتُ نَحوَهـــا بِـــوَجهي وَإِن كـــانَ المُصَـــلّى وَرائِيـــا
وَمـــا بِيَ إِشراكٌ وَلَكِـــنَّ حُبَّهـــا وَعُظمَ الجَوى أَعيـا الطَّبيـبَ المُـداوِيا
أُحِبُّ مِنَ الأَسـماءِ مـا وافَـقَ اِسـمَها أَوَ اِشـــبَهَهُ أَو كـــانَ مِنـــهُ مُـــدانِيا

وإِني لَأستَغْشِـــي ومَـــا بي نَعْسَـــةٌ لعَـــلَّ خَيـــالًا مِنْـــكِ يَلقَـــى خَيَالِيَـــا
هِـــيَ السِّـــحرُ إلَّا أنَّ للسِّـــحر رقيـــةً وإني لا أُلفِـــي لَهَـــا الـــدَّهرَ رَاقيَـــا
لَـــئِن ظَعَـــنَ الأحبـــابُ يـــا أمَّ مالـــكٍ فَـــمَا ظَعَـــن الحُـــبُّ الَّـــذي في فُؤَادِيَـــا
فَيَـــا رَبُ إذ صَـــيَّرتَ لَـــيلَى هِـــيَ المُنَـــى فـــزنِّي بِعينَيهـــا كَـــمَا زِنتَهَـــا ليَـــا
وإلَّا فَبغِّضْـــــها إليَّ وأهلَهَـــــا فـــإنِّي بلـــيلى قَـــدْ لَقِيـــتُ الـــدَّواهِيَا
عَـــلى مِثْـــلِ لَـــيلَى يَقْتُـــلُ المـــرءُ نفسَـــهُ وإنْ كُنْتُ من لَيلَى عَلى اليـأسِ طَاوِيَـا
خَلِـــيليَّ إنْ ضَـــنُّوا بِلـــيلَى فَقَرِّبَـــا لِيَ الـــنَّعْشَ والأكْفَـــانَ واسْـــتَغفرَا ليَـــا

ومع تدفق المعاني وعمق التجربة وصدق الشعور فيبدو أن ألم الجوى ومكابدة الشوق كان فوق طاقته؛ مما جعله ينفس عن هذه اللوعة بقوله: "وإلا فبغضها إلي وأهلها " وإن كان الأولى به ألا يطلب تبغيضها إليه ، بل كان عليه أن يلح في طلب الرضا والنوال ، ولكنه استدرك الأمر في بيته الأخير حين قرر أن نسيانها أو تناسيها أمر غير وارد ولا دواء له إلا نعشه وأكفانه .

وإن كان الشاعر قد وقع كثيرًا في الإيطاء – ومع أننا لا نلتمس الأعذار للشاعر ونطلب منه دائمًا مراعاة أصول الصنعة والالتزام بضوابطها اللغوية والإيقاعية – فإني أؤكد أن رقة العبارة وحلاوتها ، وتدفق المعنى ، واستغراق الشاعر في تجربته ، يكاد ينسي المتلقي هذه الهنات الإيقاعية .

الغزل التقليدي:

وهذا الغزل لم يخل منه عصر من العصور ، بل إن ابن قتيبة ليؤكد أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدِّمن والآثار ، فبكى وشكا ،

وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببًا لذكر أهلها الظاعنين عنها ، إذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر، لانتقالهم عن ماء إلى ماء ، وانتجاعهم الكلأ ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ، ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد ، وألم الفراق ، وفرط الصبابة والشوق ، ليميل نحوه القلوب ، ويصرف إليه الوجوه ، ثم ينتقل إلى وصف رحلته أو ناقته ، ثم إلى غرضه ، ويرى أن الشاعر المجيد من سلك هذا السبيل فلم يعدل عنه[1].

ومع تأكيدنا على أن الشاعر لا ينبغي أن يوضع في قوالب أو أطر ثابتة ، وإنه حر في بناء قصيدته ، واختيار قالبها وإطارها ، ما دام يعبر عن تجربة شعورية صادقة ، بل عليه ألا يفتعل الغزل أو بكاء الطلل إن لم يكن له إليه سبيل ، فإننا نؤكد أيضًا أن نمط القصيدة الجاهلية الذي دعا إليه ابن قتيبة ومن تابعه من النقاد قد ظل مسيطرًا على عقلية كثير من الشعراء عبر عصور الأدب المختلفة ، حتى لو كان ذلك من قبيل إظهار القدرة على التصرف في شتى فنون الشعر.

وبما أن دولة بني أمية كانت عربية أعرابية تتعصب لتاريخها وتراثها فإن نمط القصيدة الجاهلية ظل مسيطرًا على شعر هذا العصر ، فاستهل أكثر الشعراء قصائدهم بالغزل أو بكاء الطلل ، ومن ذلك قول جرير في مطلع قصيدة يهجو بها الأخطل وقومه بني تغلب[2] :

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ص ٧٥، ٧٦.

(٢) جمهرة أشعار العرب ، ص ٧١٢.

حَـــيّ الغَـــدَاةَ برَامَـــةَ الأطْـــلالا ... رَسْـــمًا تَحَمّـــلَ أهْلُـــهُ ، فَأحَـــالَا

إنّ السّـــوَارِيَ وَالغَـــوَادِيَ غـــادَرَتْ ... للـــرّيحِ مُخْتَرَقًـــا بِـــهِ وَمَجَـــالَا

أصْـبَحْتَ بَعْـدَ جَميـعِ أهِلـكَ دِمنَـةً ... قفْـراً ، وَكُنْـتَ مَرَبّـةً مِحـلالَا

لم يُلـفَ مِثْلُـك بَعـدَ أهلِـكَ مَنـزلًا ... فَسُقِيَت مِـن نَـوءِ السَّـماءِ سِـجَالَا

وَلَقَـدْ عَجِبْـتُ مِـنْ الـدّيارِ وَأهْلِهـا ... و الـدهرِ كَيـفَ يُبـدِّلُ الأَبـدالَا

ورَأيتُ راحلَةَ الصِّـبَا قَـد أقْصَـرت ... بعدَ الـذَميلِ ومَلَّـتْ التِرحَـالَا[1]

إنَّ الظعـــائنَ يـــومَ برقـــةِ عَاقِـــلٍ ... قَـدْ هِجـنَ ذا سَـقمٍ فَـزدنَ خبـالَا

طربَ الفؤادُ لـذكرهنَّ وقـدْ مضـتْ ... بِاللَّيـلِ أجنحـةُ النجـومِ فَـمَالَا

يَجْعَلْـــنَ مَـــدْفَعَ عَـــاقِلينِ أيَامنـــا ... وَجَعَلْـنَ أمْعَـزَ رَامَتَـينِ شِـمَالَا

يـا ليـتَ شِـعري يـومَ دارةِ صُلصُـلٍ ... أتُرِيـدُ صُرْمـي ، أمْ تُرِيـدُ دَلالَا

لَـــوْ أنّ عُصْـــمَ عَمَايَتَـــينِ وَيَـــذْبُلٍ ... سَمِعَتْ حَـدِيثَكِ أنْـزَلَ الأوْعَـالَا

لا يَتصـــلِن إذَا افتخـــرنَ بتغلـــبٍ ... ولَبِسْـنَ زُخـرفَ زِينـةٍ وجَمَـالَا

وهي التي يقول فيها :

لا تَطلـــبُنَّ خؤولـــةً في تغلـــبٍ ... فـالزنجُ أكـــرمُ مِـنْهُمُ أخـــوالَا

* * *

(١) الذميل : ضرب من السير سريع .

المبحث السادس

مدرسة الشعراء الشعوبيين

المبحث السادس
المدرسة الشعوبية

الشعوبية مأخوذة من الشعوب جمع شعب ، والشعب ما تشعب من قبائل العرب والعجم ، ثم غلبت الشعوب بلفظ الجمع على جيل العجم حتى قيل لمحتقر أمر العرب : شعوبي [1].

ويعرف بعض اللغويين الشعوبية بأنها نزعة أعجمية في العصر العباسي تنكر تفضيل العرب على غيرهم ، وتحاول الحط منهم [2].

وأرى أن قولهم : " في العصر العباسي " قيد في غير موضعه؛ لأن النزعة الشعوبية وإن بدت بارزة واضحة في العصر العباسي فإنها لم تكن وليدة هذا العصر ، فقد كان الموالي الشعوبيون في صراع مع الأمويين ، ولا سيما الموالي الفرس الذين كانوا ينضمون إلى كل ثائر يهب في وجه الدولة الأموية ، محاولين إضعاف السيادة العربية ، والعمل على استعادة ملكهم البائد .

فالأولى أن تعرف الشعوبية بأنها نزعة أعجمية تنكر تفضيل العرب على غيرهم ، وتعمل على النيل منهم أو الحط من شأنهم دون ذكر للقيد السابق .

وتطلق الشعوبية على أصحاب هذه النزعة ، وهم " قوم متعصبون على العرب لا يرون لهم فضلًا على غيرهم من الأمم ، إن لم يكونوا أقل منهم

---

(١) لسان العرب ، مادة : ش ع ب .

(٢) المعجم الوسيط ، مادة : ش ع ب .

شـأنًـا ومنـزلـة [1].

وقد بدأ رواد الشعوبية دعوتهم مستندين إلى تعاليم الإسلام يدعون إلى المساواة التي نادى بها الإسلام ، فلا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى والعمل الصالح، { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ }[2] ، ثم تدرجوا في دعوتهم حتى دعوا إلى تحقير العرب والحط من شأنهم وتفضيل غيرهم عليهم ، وأخذوا يفاخرون بما لهم من حضارة زاهية وملك عريض .

وقد جهر بعضهم بشعوبيته في غير مداراة أو مواربة ، وعرفت بعض الأسر بتعصبها الشديد للفرس ، كأسرة يسار النسائي ، ومنها ابنه إسماعيل ابن يسار [3] الذي علا صوته الشعوبي حتى في حضرة الخلفاء الأمويين المتعصبين لعروبتهم ، فقد دخل إسماعيل بن يسار يومًا على هشام بن عبد الملك ، فاستنشده هشام ، وهو يرى أنه سينشده مديحًا ، لكنه أنشده قوله

---

(١) انظر: مظاهر الشعوبية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، د/ محمد نبيه حجاب ، ص٢، ط نهضة مصر، سنة ١٩٩٦م .

(٢) الحجرات: جزء من الآية (١٣) .

(٣) هو : إسماعيل بن يسار النسائي مولى بني التيم من قريش ، كان منقطعًا لآل الزبير ، فلما استتب الأمر لعبد الملك بن مروان تحول إلى بني أمية ، لكنه كان شعوبيًّا متعصبًا لشعوبيته ؛ مما جعل هشام بن عبد الملك ينكل به وينفيه إلى الحجاز . (انظر: في أخباره : الأغاني للأصفهاني ، ٤/ ٤٠٠، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ١/ ٢٣٩ ، تحقيق : عبد الحليم النجار ، رمضان عبد التواب ، ط دار المعارف ، القاهرة، وشعراء فرس في أدب العرب ، د/ يوسف حسين يسار ، ص ١٦٦، وتاريخ الأدب العربي لعمر فروخ ١/ ٦٤٣ ، ط دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١م).

مفتخـرًا [١]:

أَصْلِي كَـريم ومجـدِي لا يُقـاسُ بـه ... ولي لِسَانٌ كحدِ السَّيفِ مَسْمُومِ [٢]

أَحْمِـي بِـه مجـدَ أقـوامٍ ذَوي حَسَـبٍ ... مِنْ كُـلِّ قِـرْمٍ بتـاجِ الملـكِ مَعمُـومِ

جَحَـاجِح سـادةٍ بُلْـجٍ مَرَازِبـةٍ ... جُـرْدٍ عِتَـاقٍ مسَـامِيح مَطَـاعيمِ [٣]

مَنْ مثلُ كِسْرَى وسابور الجنودِ معًا ... والهُرْمُـزانِ لفخـرٍ أو لتَعظـيمِ [٤]

أُسْدُ الكتائبِ يومَ الرَّوعِ إن زَحَفُـوا ... وهـمْ أذلُّـوا ملـوكَ الـتُّرْكِ والـرُّومِ

يمشُـون في حَلَـق المـادِيِّ سـابغةً ... مَشْيَ الضَّرَاغِمةِ الأُسدِ اللهـاميمِ [٥]

هُنـاك إنْ تسـألي تُنْبـيْ بـأنّ لنَـا ... جُرثُومـةً قَهَـرتْ عِـزَّ الجـرَاثيمِ [٦]

فلما انتهى من إنشاده قال له هشام : أعلي تفخر وإياي تنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج قومك ، وأمر هشام بإخراجه ، ونفاه من وقته إلى الحجاز[٧].

---

(١) الأغاني للأصفهاني ٤/ ٤١٤ .

(٢) في البيت إما أن يقع الشاعر في الإقواء أو الخطأ اللغوي ؛ لأن القافية مجرورة ، ولا وجه لجر كلمة "مسموم" لأن المعرفة لا توصف بالنكرة ، فإما أن ترفع على أنها صفة للسان أو تنصب على أنها حال من حد السيف .

(٣) الجحاجح: جمع جحجح ، وهو السيد السمح الكريم . المرازبة : جمع مرزبان وهو رئيس الفرس. جرد : جمع أجرد ، يقال : فرس أجرد ؛ أي سباق . عتاق : كرماء نجباء ، والمراد وصفهم بأنهم سادة سباقون كرماء نجباء .

(٤) الهرمزان : الكبير من ملوك العجم .

(٥) اللهموم: الكثير الخير .

(٦) تنبي : تخبر . الجرثومة : الأصل .

(٧) الأغاني للأصفهاني ٤/ ٤١٥ ، وتاريخ الشعر السياسي للأستاذ / أحمد الشايب ، ص ٢٧٨ ، ط الهيئة العامة للكتاب .

ولم يقف الأمر بإسماعيل بن يسار عند هذا الحد ، بل إنه أخذ يمزج فخره بتهجم صريح على العرب ، حيث يقول [1]:

رُبَّ خـــالٍ مُتـــوَّجٍ لِي وعَـــمٍّ ماجـدٍ مُجْتَـدىً كَـرِيمِ النِّصَـابِ[2]
إنّـما سُـمِّي الفـوارِسُ بـالفُرْسِ مُضـــاهاةَ رِفْعـــةِ الأنســـابِ
فـاتْرُكي الفخـرَ يَـا أُمـامُ عَلَينـا واترُكِي الجَوْرَ وانْطِقِي بالصَّـوابِ
واسـألي إنْ جَهِلْـتِ عنَّـا وعَـنْكُم كيـفَ كُنَّـا فِي سَـالفِ الأحقَـابِ
إذ نُـــرَبِّي بَنَاتنـــا وتَدَسُّـــونَ سَـــفَاهًا بَنَـــاتكُم فِي الـــتُّرابِ

فابن يسار يفخر بأخواله وأعمامه أصحاب التيجان ، كرام الأصول ، ويرى أنهم سموا بالفرس مضاهاة لرفعة أنسابهم ، ويطلب من العرب الرجوع إلى التاريخ والاحتكام إليه، أو النظر فيه للمقارنة بين ما كان عليه حال العرب وحال الفرس ، حيث كان الفرس أرباب حضارة ومدنية يربون بناتهم ولا يئدونهن ، في حين كان العرب بدوًا رعاة يئدون بناتهم في التراب سفهًا وجهلًا .

وكان إبراهيم بن يسار أخو إسماعيل شعوبيًّا مبتلى بالعصبية للفرس مثل إسماعيل ، ويذكر أبو الفرج الأصفهاني أن له قصيدة طويلة في الافتخار بالعجم[3]، غير أني لم أعثر عليها في أيّ من المصادر الأدبية التي راجعتها ، ولعلها ضاعت فيما ضاع عبر الزمن .

---

(١) الأغاني ، ٤/ ١١٩ .

(٢) كريم النصاب : كريم الأصل .

(٣) انظر : الأغاني للأصفهاني، ٤/ ٤١٦ وما بعدها .

ويبدو أن أسرة يسار النسائي كانت قد اشتهرت بنزعتها الشعوبية وعصبيتها الفارسية ؛ مما جعل بعض الرواة ينسبون إلى أحد أبنائها ما ليس له سهوًا أو خلطًا أو نحلًا ، فإلى محمد بن إسماعيل بن يسار ينسب [١]:

رَاحَ الشَّقِيُّ عَلى رَبْعٍ يُسَائِلُه ... ورحتُ أسألُ عَنْ خمَّارةِ البلدِ

تَبْكي عَلى طَلَلِ الماضِينَ مِنْ أَسَدٍ ... ثَكِلْتَ أمَّكَ قُلْ لِي مَنْ بَنُو أَسَدِ

ومَنْ تَمِيمُ ومَنْ عُكلٌ ومَنْ يَمنٌ ... ليس الأعَارِيْبُ عِنَد الله مِنْ أَحَدِ

وهذه الأبيات مع تغيير طفيف في بعض الألفاظ رويت في أكثر من مصدر لأبي نواس[٢] ، وهي في ديوانه[٣].

وكان يزيد بن ضبة مولى ثقيف [٤] منقطعًا إلى الوليد بن يزيد بن

---

(١) انظر : معجم الشعراء ، ص ٤١٤ .

(٢) هو: الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكميّ بالولاء ، أبو نواس: شاعر العراق في عصره ، ولد في الأهواز ١٤٦هـ (من بلاد خوزستان)، ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها الخصيب، وعاد إلى بغداد فأقام إلى أن توفي فيها ١٩٨ هـ، قال الجاحظ: ما رأيت رجلًا أعلم باللغة ولا أفصح لهجة من أبي نواس، وقال أبو عبيدة : كان أبو نواس للمحدثين كامرئ القيس للمتقدمين. (انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان البرمكي الإربلي، ٢/ ٩٥-١٠٣، والأعلام، الزركلي، ٢/ ٢٢٥).

(٣) انظر: ديوان أبي نواس ، ص ٤٦ ، تحقيق: الأستاذ / أحمد عبد المجيد الغزالي ، ط: دار الكتاب العربي، بيروت ، وكذا ص ١٠٨ من هذا الكتاب.

(٤) هو : يزيد بن مقسم مولى ثقيف ، وضبة أمه ، وقد غلبت على نسبه لأن أباه مات وخلفه صغيرًا ، فاحتضنته أمه ، فنسب إليها ، وهو شاعر مكثر ، كان يطلب القوافي المعتاصة ، والحوشي من الشعر ، وله شعر في الطرد يكثر فيه الغريب ، وتوفي نحو سنة ١٣٠ هـ بالطائف . (انظر في =

عبد الملك يمدحه في حياة أبيه يزيد ، وكان هشام بن عبد الملك ينقم عليه انقطاعه إلى الوليد ، فلما آلت الخلافة إلى هشام دخل عليه يزيد واستأذنه في الإنشاد فلم يأذن له ، وأمر بإخراجه ، فقال يزيد قصيدة يعتب فيها على هشام ، ثم تعدَّى حدود العتاب إلى التعريض بهشام والفخر بقومه من الفرس ، ومطلعها [1]:

أَرَى سَلْمَى تَصُدُّ وَمَا صَدَدْنَا ... وغَيْرَ صُدُودِها كنَّا أَرَدْنَا

لَقَدْ بَخِلَتْ بِنَائِلِها عَلَينَا ... ولَو جَادَتْ بِنَائِلِهَا لجُدْنَا

وفيها يقول [2]:

إِذَا هَابَ الكَرِيهَةَ مَنْ يَلِيهَا ... وأَعْظَمَهَا الهَيُوبُ لَهَا عَمَدْنَا [3]

وجبّارٍ تَرَكْنَاه كَلِيلًا ... وَقَائِدِ فِتْنَةٍ بَاغٍ أَزَلْنَا [4]

فَلا تَنْسَوْا مواطِنَنا فإنّا ... إِذَا مَا عَادَ أَهْلُ الجُرْمِ عُدْنَا

وَمَا هِيضَتْ مَكَاسِرُ مَنْ جَبَرْنَا ... وَلَا جُبِرتْ مُصِيْبَةُ مَنْ هَدَدْنا [5]

وقَدْ كَانَ المُلُوكُ يَرَونَ حَقًّا ... لِوَافِدِنَا فنُكْرَمُ إِنْ وَفَدْنَا

= أخباره : الأغاني للأصفهاني، ٧/ ١٠٩ ، ومن نسب على أمه من الشعراء لمحمد بن حبيب ، ص ٣١١ ، تحقيق : عبد السلام هارون) .

(١) الأغاني للأصفهاني ٧/ ١١٠ .

(٢) المرجع السابق ٧ / ١١٠ ، ١١١.

(٣) الكريهة: الحرب . الهيوب: الجبان الخائف .

(٤) كليلًا: ضعيفًا عاجزًا .

(٥) هيضت: كسرت ، ويقال: هاض العظم إذا كسره بعد الجبر أو بعد ما كاد ينجبر .

وليْنَــا النَّــاسَ أَزْمَانًــا طِــوَالَا وَسُسْــنَاهُم وَدُسْــنَاهُم وَقُــدْنَا[1]

أَلم تَــرَ مَــنْ وَلَــدْنَا كَيْـفَ أَشْـبَى وَأَشْــبَيْنَا وَمَــا بِهِــمُ قَعَــدْنَا[2]

نَكُــونُ لمــن ولَــدْنَاه سَــماءً إذا شِــيمتْ مَخَايِلُنــا رَعَــدْنَا[3]

ونَكْــوِي بِالعَــدَاوةِ مَــنْ بَغَانَــا ونُسْــعِدُ بِــالمودّةِ مَــنْ وَدِدْنَــا

ومَــا نَعْتَــدّ دُونَ المَجْــدِ مَــالًا إِذَا يُغْــلَى بِمَكرُمَــةٍ أَفَــدْنَا

وَأَتْلَــدُ مَجْــدِنَا أَنَّــا كِــرَامٌ بِحَــدِّ المَشْــرَفِيَّةِ عَنْــهُ ذُدْنَــا

فابن ضبة يفخر بأنه من قوم شجعان لا يهابون الحرب الضروس التي يعظمها الهيوب ويحجم عنها الأبطال ، فكم من جبار تركوه ذليلًا ، وكم من قائد فتنة طاغ أذلوه وأزالوا طغيانه ، ومن نصروه فلا يستطيع أحد النيل منه، ومن طلبوه فلا يقوى أحد على منعه أو نصره ، وقد كان الملوك يعرفون لهم أقدارهم فيكرمون وافدهم .

وإنهم لأهل ملك وسيادة ، فقد ساسوا الناس وسادوهم ، باللين تارة وبالقوة أخرى ، فمن عاداهم اكتوى بنار عداوتهم ، ومن أخلص لهم المودة أسعد بمودتهم ، فهم قوم كرام ، لهم مجد تليد يذودون عنه بسيوفهم ، بل يبذلون في سبيل الحفاظ عليه أنفس ما يملكون .

---

(١) سسناهم : حكمناهم باللين . دسناهم: حكمناهم بالقوة .

(٢) أشبى : أشبل ، وولد له ولد كيّس .

(٣) شيمت: الشيم النظر إلى الشيء في تطلع وانتظار . المخايل : جمع مخيل ومخيلة ، والمخيلة: السحابة التي إذا رأيتها حسبتها ماطرة .

وقد أخذت هذه النزعة الفارسية تعلو وترتفع حتى رأينا بعض الشعراء كابن ميادة [1] يحاول أن يدَّعي لنفسه نسبًا فارسيًّا ، ولو من جهة أمه ، يقول[2]:

أَنَا ابْنُ أبي سَلْمى وَجَدِّي ظالمٌ وأُمِّي حَصَانٌ أَخلصتْها الأعاجمُ

أَليسَ غُلامٌ بَينَ كِسرَى وظَالمٍ بِأَكْرَم مَنْ نِيطَتْ عَلَيهِ التَمَائِمُ

مع أن الراجح أن أمه صقلية ، ولعل في هذا ما يدل على المدى الذي وصلت إليه النزعة الفارسية حتى أصبح بعض الناس يرون أن الانتساب إلى الفرس يعد مكرمة وفخرًا في المجتمع العربي .

ولكن العرب لم يكونوا ليصمتوا إزاء هذا التباهي السافر والعصبية الحمقاء للفرس ، فقد أدركوا مرامي هذه النزعة ، وفطنوا إلى أن الفرس يحاولون بشتى السبل استعادة سطوتهم ونفوذهم وملكهم البائد ، فهذا نصر بن سيَّار يخاطب عرب خراسان ، ويحثهم على ترك الخلاف والفرقة والتناحر فيما بينهم ، وجمع الكلمة في مواجهة أعدائهم المتربصين بهم ، فيقول[3]:

---

(١) هو : الرّماح بن يزيد، من بني ظالم بن أبي الحارث بن ظالم المريّ ، وميادة أمه ، وكانت أم ولد ، وإليها ينسب ، وكان شاعرًا هجَّاء ، وكان يضرب جنبي أمه ويقول لها: " اعْرَنْزِمي ميّاد للقوافي"، أي: استعدي لها . (انظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة، ٢/ ٧٥٩).

(٢) شعر ابن ميادة ، جمع وتقديم: د/ حنا جميل حداد ، ص ١٩، ط مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٢م ، وانظر: الأغاني ٢/ ٨٥ .

(٣) العقد الفريد ٥/ ٢٢١ .

أَبْلِــغْ رَبِيعــةَ فِي مَــرْوٍ وإِخْــوَتِهم فَلْيَغضَبُوا قَبْـلَ أَلَّا يَنْفـعَ الغَضَـبُ
وَلْيَنْصِبُوا الحَربَ إِنَّ القَومَ قَدْ نَصَبُوا حَرْبًـا يُحَـرَّقُ فِي حَافاتِهـا الحَطَـبُ
مَـا بَـالُكُم تَلقحُـونَ الحَـربَ بَيْـنَكُم كَأَنَّ أَهلَ الحِجَا عَنْ فِعْلِكُم غُيَّـبُ
وَتَتْرُكُــونَ عَــدُوًّا قَــدْ أَظلَّكُــم مِمْنْ تَأَشَّبَ لَا دِيـنٌ وَلَا حَسـبُ[1]
قِـدمًا يَـدِينُون دِينًـا مَـا سَـمعتُ بِـه عَنْ الرسُـولِ ولَمْ تَنْـزِلْ بِـه الكُتُـبُ
فَمَن يَكُن سَائِلًا عَـنْ أَصْـلِ دِيـنِهِم فَــإِنَّ دِيــنَهم أَنْ تُقْتَــلَ العَــرَبُ

وحاولت عرب خراسان أن تتوادع على وضع الحـرب بينهـا ، والاجـتماع على قتال أبي مسلم الخراساني ، ولكنه احتال وأفسد ما بيـنهم حتـى بلـغ مـا أراد [2] .

وإذا كـان شـعراء الفـرس قـد فـاخروا العـرب في العصـر الأمـوي ، وجهروا لهم بالقول دون خجل أو مواربة ، فـإن صـوت الشـعراء السـود لم يكن أخفـت مـن صـوتهم، فقـد تعالـت الصـيحات الشـعوبية السـوداء ، ويطالعنا الجاحظ في رسائله بثلاثة مـن الشـعراء السـود الشـعوبيين الـذين دافعوا عن السود والسواد بعنـف وغضـب شـديدين ، وهـم : الحيقطـان ، وسنيح ، وعكيم[3].

---

(١) التأشب: التجمع من هنا وهناك ، والأشابة: الأخلاط من الناس تجتمع من كل صوب .

(٢) انظر: تاريخ الشعر السياسي للأستاذ/ أحمد الشايب ، ص ٢٧٢ .

(٣) انظر: رسائل الجاحظ لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) ١/ ١٨٢، ١٩٠، ١٩٩، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، ط: مكتبة الخانجي ، القاهرة ، سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م . وعكيم : هو: عكيم الحبشي ، =

فقد تفجر سنيح[1] غضبًا حين توجهت الإساءة إلى بني جلدته من الزنج حين هجا جرير بني تغلب بقوله :

لَا تَطْلُبَنَّ خؤُولَةً فِي تَغْلِبٍ فَالزِّنجُ أَكرمُ مِنْهُم أَخْوَالَا

فقال سنيح يرد على جرير ، ويشيد بأمجاد قومه من الزنج [2]:

ما بَالُ كَلب بَنِي كُلَيبٍ سَبَّنَا أَنْ لَمْ يُوَازِنْ حَاجِبًا وَعِقَالَا[3]

الزِّنْجُ لَو لَاقيتَهُم فِي صَفّهِم لَاقَيتَ ثَمَّ جَحاجِحًا أَبْطَالَا

فَسَلْ ابْنَ عَمرٍو حِينَ رَامَ نِزَالَهم أَرأى رِمَاحَ الزِّنجِ ثَمَّ طِوَالا

فَجعُوا زِيَادًا بابنِهِ وتَنَازَلُوا لَمّا دُعُوا لِنِزَالٍ ثم نِزَالَا

وَمُرَبِّطِينَ خُيُولَهم بِفِنَائِهم وَرَبَطتَ حَولَكَ شُيَّهًا وسِخَالَا[4]

كَانَ ابْنُ نُدبَةَ فِيكُم مِنْ نَجْلِنَا وَخفاف المُتَحَمِّلُ الأَثْقَالَا[5]

= لم تفصح المصادر عن شيء أكثر من اسمه ونسبته إلى أهل الحبشة ، وأنه كان أفصح من العجاج وأن أهل الشام كانوا يأخذون عنه كما أخذ أهل العراق عن المنتجع بن نبهان. (انظر: رسائل الجاحظ ١/ ١٩٨، والشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، د/ عبده بدوي ، ص ١٥٦).

(١) هو: سنيح بن رباح شار الزنجي، مولى بني ناجية ، شاعر أموي أسود زنجي. (انظر : الكامل في اللغة والأدب ٢ / ٢١٨ ، والحيوان لعمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، ١/ ٢٧٠، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، ط دار الجيل ، سنة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ ، لبنان- بيروت، ورسائل الجاحظ، ١/ ١٩٠) .

(٢) رسائل الجاحظ ١ / ١٩٠ .

(٣) حاجب : هو حاجب بن زرارة من رهط الفرزدق ، وكثيرًا ما افتخر به الفرزدق ، وعقال : أحد أجداد الفرزدق .

(٤) السخال : الصغار من الغنم والمعز ، وقيل : ولد الضأن والمعز حين يولد .

(٥) ابن ندبة : هو خفاف بن ندبة شاعر من أغربة العرب. (انظر في ترجمته : الشعر والشعراء لابن قتيبة، ١/ ٣٤٢).

وَابْنَـــا زَبِيبَـــةَ عَنْـــتَرٌ وهراســـةُ مَـا إِنْ نَـرَى فِـيكُم لَهُـمْ أَمْثَـالَا[1]
وَسَل ابْنَ جَيْفَـرَ حِـينَ رَامَ بِلادَنَـا فَـرَأَى بِغَـزْوَتِهِمْ عَلَيـهِ خَبَـالَا [2]
وَسـلَيكُ اللَّليـثُ الهِزَبْـرُ إِذَا عَـدَا والقِـرْمُ عَبـاسٌ عَلَـوكَ فِعَـالَا [3]
هَـذَا ابـنُ خَـازِمٍ نِ عَجْـلَى مِـنْهُم غَلَـبَ القَبائِـلَ نَجْـدةً ونَـوَالَا[4]
أَبْنَـــاءُ كُـــلِّ نَجِيبَـــةٍ لِنَجِيبَـــة أَسْـــدٌ تُربِّـــبُ عِنْـــدَهَا الأَشْـــبَالَا
فَلَنَحْنُ أَنْجَب مِنْ كُلَيْـبَ خؤولَـةً وَلَأنـــتَ أَلْأَمُ مِـــنْهُم أَخْـــوَالَا
وَبَنُـو الحبـابِ مَطَـاعِنُ ومَطَـاعِمُ عِنْـــدَ الشِّـــتَاءِ إِذَا تهـــبُّ شـــمَالَا

ونلاحظ أن سنيح بن رباح لم يغضب لهجاء شخصي على نحو ما كان من الحيقطان ، إنما غضب لقومه وبني جلدته من الزنج حين هجاهم جرير، فانتصر لهم ، وذكر مآثرهم ، والمواقع والأيام التي كانت لهم على العرب ، وعد بعض رجالهم، وذكر أنهم أهل حرب وقتال، يربطون خيولهم في أفنيتهم ، في حين يربط جرير وقومه حول ديارهم الشياه والسخال .

---

(١) ابنا زبيبة : هما عنترة بن شداد وأخوه هراس .

(٢) ابن جيفر: هو النعمان بن جيفر بن عباد بن جيفر بن الجلندي ، وكان قد غزا بلاد الزنج فقتلوه وغنموا عسكره .

(٣) سليك : هو سليك بن السلكة وكان من أغربة العرب ، وعباس : هو عباس بن مرداس السلمي، وقد اختلف في سواده .

(٤) ابن خازم: هو عبد الله بن خازم السلمي ، وكانت لبني خازم آثار بخراسان . (انظر : رسائل الجاحظ ١/ ١٩٢، وجمهرة أنساب العرب لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) ، ص ٢١٩ ، تحقيق: لجنة من العلماء ، ط دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٣-١٩٨٣م).

وفي معرض الفخر بالسود ذكر سنيح عددًا من السود الخالصي السواد من العرب، ثم ذكر أبناء السوداوات اللاتي سماهن نجيبات لينال من العرب الذين يسمون حرائرهم نجيبات ، ثم ذكر أن خؤولته أكرم وأنجب من خؤولة كليب [١] .

وأما عكيم فقد انبرى للدفاع عن قومه والتهكم بالعرب ، وذلك عندما عرض بهم حكيم بن عياش الكلبي حين هجا بني أسد بقوله [٢] :

لَا تَفْخَرَنَّ بِخَالٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فَإِنَّ أَكْرَمَ مِنهَا الزِّنْجُ والنُّوبُ

فقال عكيم :

وَيَومَ غُمْدَانَ كنَّا الأَسْدَ قَدْ عَلِمُوا وَيَومَ يَثْرِبَ كُنَّا فِحْلَةَ العَرَبِ[٣]

وَلَيْلَةَ الفِيلِ إِذْ طَارَتْ قُلُوبُهم وَكُلُّهُم هَارِبٌ مُوفٍ عَلى قَتَبِ

منَّا النَّجَاشِي وذُو العُقْصَينِ صِهْرُكُم وَجَدُّ أَبْرهَةَ الحَامِي أَبِي طَلَبِ[٤]

هَبْنِي غَفَرتُ لِعَدْنَانَ تَهَكُّمَهُم فَمَا لِحِمْيَرَ وَالمِقْوال فِي النَّسَبِ[٥]

---

(١) انظر: الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي ، د/ عبده بدوي ، ص ١٥٥، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٨م .

(٢) رسائل الجاحظ ١/ ١٩٩ .

(٣) غمدان: حصن من حصون اليمن كانت تنزله ملوكهم ، فلما ملكت الحبشة خربته إلا بقايا هدمها عثمان بن عفان (رضي الله عنه) . ويوم يثرب يعني به موقعة الحرة حين استباح مسرف بن عقبة المري المدينة ، زعموا أنه كان هناك أمر قبيح من السود .

(٤) ذو العقصين : يعني به الإسكندر المقدوني الملقب بذي القرنين ، كان له في رأسه شبه قرنين ، والعقص: ضرب من ضفر الشعر ، وكان الروم أصهارًا للعرب، وهذا ما يعنيه بقوله : "صهركم".

(٥) المقوال : المراد به الملك من ملوك حمير .

جَمَّــارةٌ جُمِعَــت مِــنْ كُــلِّ مَحْرِيّــةٍ جَمْعَ الشُّبَيْكة فَوقَ الزَّاخِرِ اللَّجَـبِ[1]

وهكذا ارتفعت أصوات الشعراء السود والزنوج ، وعلت صيحاتهم ، وأخذوا يثأرون لأنفسهم ولبني جلدتهم ، وقد قالوا ما قالوا بقوة وعنف ، ولم تكن عصبيتهم لجنسهم أقل من عصبية الشعراء الفرس في العصر الأموي لجنسهم .

ولكن صوت الشعراء السود وهن بعد ذلك لأسباب، أهمها :

أن السود لم يكن لهم دور كالفرس في المجتمع الجديد ، ولأن الفتوحات لم توجه إليهم مثلما توجهت إلى الفرس والروم، ثم إنهم حوصروا في المجتمع الجديد في وظائف معينة ، وأنهم بعد انفجارهم فيما عرف بثورة الزنج رضوا بأن يتصالحوا على مضض مع المجتمع الذي عاشوا في إطاره[2].

أما الفرس في العصر العباسي فقد علا نجمهم وقويت شوكتهم ، ذلك أن دولة بني العباس قامت على أكتاف الفرس ، وبتأييدهم ومساندتهم ، فكان طبعيًّا أن يكافئ العباسيون الفرس بتولي بعض المناصب والأمور الهامة في الدولة كإمارة الأقاليم وقيادة الجيوش والحجابة والقضاء ونحو ذلك .

وظل الفرس يعملون بمكر ودهاء ، ويتسللون إلى المناصب العامة في الدولة حتى صار نفوذهم قويًّا وبأسهم مخشيًّا ، وأحس الخليفة الرشيد بخطرهم فعجل بهم ، ونكَّل برءوسهم فيما عرف بنكبة البرامكة [3] .

---

(١) محرية : المراد من كل جانب وناحية ، وأصلها من الحرا بمعنى الجانب أو الناحية .

(٢) انظر : الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي ، ص ١٥٨ .

(٣) راجع في نكبة البرامكة : تاريخ الطبري أو تاريخ الرسل والملوك ، لمحمد بن جرير بن يزيد بن=

ثم عاد نجمهم للظهور بعد أن ناصروا المأمون ووقفوا إلى جانبه في محاربة أخيه الأمين حتى تحقق لهم ما أرادوا ، ولكن المأمون كان ذكيًا فطنًا أريبًا ، فتحول بعد مقتل أخيه عن مرو ، وعاد إلى بغداد سنة ٢٠٤ هـ ، غير أن النفوذ الفارسي في الدولة والجيش لم يضعف .

ومن المحقق أن رجال الفرس البارزين من أمثال البرامكة وآل سهل وآل طاهر بن الحسين كانوا يذكون نار الشعوبية فيمن حولهم من الفرس[١].

ويُعد بشار بن برد[٢] من أبرز الشعراء الذين أوقدوا نار الشعوبية وشنوا حربًا ضروسًا على الثقافة والحضارة العربية ، فمضى يحقر من شأن العرب ، ويقارن بين بداوتهم الجافية وحضارة آبائه وأجداده من الفرس الذين ينتسب إليهم من جهة أبيه ، والروم الذين كان يزعم أنه ينتمي إليهم من

= كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ) ، ٨ / ٢٨٧، ط دار التراث – بيروت ، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ

(١) انظر : تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف، ٣/ ٧٦ .

(٢) هو: بشار بن برد العُقيلي، بالولاء، أبو معاذ: أشعر المولدين على الإطلاق، أصله من طخارستان (غربيّ نهر جيحون) ونسبته إلى امرأة (عُقيلية) قيل: إنها أعتقته من الرق، وكان ضريرًا، نشأ في البصرة وقدم بغداد، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية، وشعره كثير متفرق من الطبقة الأولى، واتهم بالزندقة، ودفن بالبصرة ٩٥هـ . (انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ١/ ٢٧١-٢٧٣، وقلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، ٢/ ٢٣٠، ٢٣٢، تحقيق : بوجمعة مكري ، وخالد وزاري ، ط دار المنهاج ، جدة ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م).

جهة أمه [١]، وذلك حيث يقول[٢]:

وَقَيْصَـــرُ خَـــالِي إِذَا عَـدَدتُ يَومًـــا نَسَـــبِي

ومن نماذج شعوبيته الصارخة قوله [٣]:

أحين كُسِيتَ بَعْـدَ العُـرْيِ خَـزًّا ونادَمْـتَ الكِـرَامَ عـلَى العُقَـارِ[٤]

تُفَـــاخِرُ يـــا بـــنَ راعيـــةٍ وراعٍ بَنِي الأَحْـرَارِ حَسْـبُكَ مِـنْ خَسَـارِ

تُرِيـــعُ بِخَطْبِـــهِ كِسَـــرَ المَـــوَالِي وَيُنْسِـــيكَ المكَـــارمَ صَـــيدُ فَـــارِ[٥]

وَكُنْـــتَ إِذَا ظَمِئْـــتَ إِلَى قَـــرَاحٍ شَرِكْتَ الكَلْبَ فِي وَلَـغِ الإِطَـارِ[٦]

وقد تنكر بشار لمواليه من قيس ، حيث يقول :

أَصْبحتَ مَولَى ذِي الجَلَالِ وَبَعْضُهُم مَولَى العُرَيبِ فَخُذْ بِدَائِكَ فَافْخَرِ

أما أبو نواس فقد شن ثورته على الأطلال شعوبيةً صارخة صب من

---

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ، ٣/ ٢٠١ .

(٢) ديوان بشار بن برد لأبي معاذ، بشار بن برد بن يرجوخ العُقيلي (٩٦ هـ - ١٦٨ هـ) جمعه وشرحه وكمله وعلق عليه: فضيلة الإمام الشيخ (محمد الطاهر ابن عاشور)، الجزء الثاني : علق عليه: محمد رفعت فتح الله و محمد شوقي أمين (١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م) ، الجزء الثالث والرابع: حققه وراجعه: محمد شوقي أمين ، ١/ ٣٧٧ ، ط الجزء (١): (صدر هذا الكتاب من وزارة الثقافة) بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٧، والأجزاء (٢، ٣، ٤): مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة).

(٣) الأغاني للأصفهاني ٣/ ١٦٠، وانظر: أدب السياسة في العصر الأموي للدكتور/ أحمد محمد الحوفي ، ص ٤٩١ ، ط دار القلم، بيروت .

(٤) العقار: الخمر .

(٥) تريغ : تريد .

(٦) القراح : الماء الخالص الذي لا يخالطه شيء .

خلالها جام غضبه على الحضارة والثقافة العربية ، وعبر عما يكنه من حقد دفين لكل ما هو عربي ، وعن تعصبه الصارخ لبني جلدته ، وذلك حيث يقول [1]:

دَعِ الأَطْلَالَ تَسْفِيهَا الجَنُوبُ ... وَتُبْلِي عَهْدَ جدَّتِهَا الخُطُوبُ
وَخَلِّ لِرَاكِبِ الوَجْنَاءِ أَرْضًا ... تَحُبُّ بِهَا النَّجِيبَةُ والنَّجِيبُ
وَلاَ تَأْخُذْ عِنْ الأَعْرَابِ لَهْوًا ... وَلا عَيشًا فَعَيشُهُم جَدِيبُ
دَعِ الأَلْبَانَ يَشْرَبُهَا رجالٌ ... رَقِيقُ العَيشِ بَينَهُم غَرِيبُ
بِأَرضٍ نَبتُهَا عُشَرٌ وَطَلحٌ ... وَأكثَرُ صَيْدِهَا كَلْبٌ وَذِيبُ
إِذَا رَابَ الحَلِيبُ فَبُلْ عَلَيْه ... وَلَا تُحْرَج فَمَا فِي ذَاكَ حُوبُ
فَأَطْيَبُ مِنْه صَافِيةٌ شَمُولٌ ... يَطُوفُ بِكَأَسِها سَاقٍ لَبِيبُ
أَعَاذِلَتِي خَلا رُشْدِي قَدِيمًا ... فَرَاجِي تَوبَتِي عِنْدِي يَخِيبُ
فَهَذا العَيشُ لَا خِيمُ البَوَادِي ... وَهذَا العيشُ لا اللَّبنُ الحلِيبُ
فَأينَ البَدُو مِن إِيوانِ كِسْرَى ... وَأينَ مِن المَيادِينِ الزُّرُوبُ
تَعِيّبِينَ الذُّنُوبَ وَأيُّ حُرٍ ... مِنْ الفِتْيَانِ لَيسَ لَهُ ذُنُوبُ

ويقول في قصيدة أخرى :

عَاجَ الشقِيّ عَلى دارٍ يُسائِلُها ... وعُجتُ أسأَلُ عَن خَمّارَةِ البلدِ
قالوا ذكَرْتَ ديارَ الحيّ من أَسَدٍ ... لا دَرَّ دَرّكَ قُلْ لي مَن بَنُو أَسَدِ؟

(١) طبقات الشعراء لعبد الله بن محمد بن المعتز العباسي ، ص ٢٠٠ ، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج ، ط : دار المعارف – القاهرة ، الطبعة الثالثة .

و مَن تميمٌ ، ومَـنْ قَـيسٌ وإِخْـوَتُهُمْ لَيسَ الأَعَارِيبُ عِنـدَ الله مِـن أحَـدِ
كَمْ بَيْنَ مَـنْ يَشْـتَري خَمـراً يلَـذّ بهَـا وَبَـينَ بَـاكٍ عَـلى نؤيـا ، ومُنْتَضَـدِ
دعْ ذا عَـدمتُكَ ، واشرَبْهـا مثعَتَّقَـةً صَـفْرَاءَ تُعْنِـقُ بـينَ المـاءِ والزّبَـدِ

وكثيرًا ما امتزجت الشعوبية بروح اللهو والمجون أو الزندقة على نحو ما نرى في قول أبي نواس :

وإنْ قالوا : حرامٌ ؟ قـلْ : حـرامٌ ! ولكِـــنّ اللّـــذاذَةَ في الحُـــرامِ

وقوله :

ألا فاسقِني خمراً وقل لي : هيَ الخمرُ ولا تسـقني سرّاً إذا أمكـن الجهـرُ
فَبُحْ باسْمِ مَنْ تَهوَى وَدَعْنِي مِنَ الكُنَى فَلَا خَيْرَ فِي اللذّاتِ من دُونِهَـا سِـتْرُ

وعلى نحو ما نرى في قول بشار:

الأَرْضُ مُظْلِمـةٌ والنَّـارُ مُشْـرِقَةٌ والنَّـارُ مَعبُـودةٌ مذ كانت النَّـارُ

وقوله :

إِبْلِـيسُ أَفْضَـلُ مِـن أَبِـيكُم آدم فَتَنَبَّهُـوا يَـا مَعْشَـرَ الفُجَّـارِ
النَّـارُ عُنْصُـرُهُ وَآدمُ طِينَـةٌ وَالطِّـينُ لَا يَسـمُو سُـموَّ النَّـارِ

وقد جرَّت هذه الشعوبية والزندقة على أربابها وبالًا كبيرًا حيث تعرضوا للسجن أو الطرد والنفي ، فقد تصدى واصل بن عطاء لبشار في البصرة ، وقال في إحدى خطبه محرضًا عليه : أما لهذا الأعمى الملحد المشنف المكنى بأبي معاذ من يقتله ؟ وتعاون واصل وأتباعه من معتزلة البصرة على تعقب بشارٍ وطرده ، وفي خلافة المهدي شهد جماعة من الثقات بأن بشارًا زنديق ،

فأمر المهدي بضربه حتى الموت ، فضرب سبعين سوطًا كانت وفاته في إثرها سنة ١٦٨ هـ[١].

وقد تعرض أبو نواس- أيضًا - للسجن بسبب مجونه ، ذلك أن الخليفة المأمون كان قد اتخذ من تقريب الأمين له وسيلة للتشهير بالأمين ، وأشاع على المنابر أن الأمين استخلص رجلًا شاعرًا ماجنًا كافرًا يقال له : الحسن بن هانئ ليشرب معه الخمر ويرتكب المآثم ويهتك الأعراض ، فبلغ ذلك الأمين فنهى أبا نواس وزجره فلم ينته ، فألقى به الأمين في السجن ، فما زال يستعطف من سجنه مرات ومرات والأمين لا يلتفت إليه ، حتى رق له الفضل بن الربيع وزير الأمين ، فشفع له ، وتلطف عند الأمين حتى أطلق سراحه [٢].

وقد تصدى بعض شعراء المعتزلة وغيرهم لهؤلاء الزنادقة ، وعملوا على تفنيد حججهم وإبطالها ، على شاكلة ما كان من صفوان الأنصاري[٣] تلميذ واصل بن عطاء في تصديه لبشار والرد عليه في ادعائه تفضيل النار على الطين ، فيقول صفوان[٤]:

---

(١) راجع : تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف، ٣/ ٢٠٦ وما بعدها .

(٢) انظر: المرجع السابق ، ٣/ ٢٢٠ وما بعدها .

(٣) هو : صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى النجيبي أبو بحرٍ، كان أديبًا كاتبًا شاعرًا سريع الخاطر، أخذ عن أبيه والقاضي ابن إدريس وابن غليون وأبي الوليد، وهو أحد أفاضل الأدباء بالأندلس، ولد سنة ستين وخمسمائةٍ، وتوفي بمرسية سنة ثمانٍ وتسعين وخمسمائةٍ ولم يبلغ الأربعين، وله تصانيف، منها: كتاب زاد المسافر وراحلته، وكتاب العجالة، مجلدان يتضمنان طرفًا من نثره ونظمه. (انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ٤/ ١٤٤٨).

(٤) البيان والتبيين للجاحظ ، ١ / ٢٧ ، (انظر: تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف، ٣/ ٤١٦).

زَعَمْتَ بِأَنَّ النَّارَ أَكْرَمُ عُنصُرًا وَفِي الأَرْضِ تَحْيَا بِالحِجَارَةِ وَالزَّنْدِ
وَتُخْلَقُ فِي أَرْحَامِهَا وَأَرومِهَا أَعَاجِيبُ لَا تُحصَى بِخَطٍ وَلَا عَقدِ(١)
وَفِي القَعْرِ مِن لُجِّ البِحَارِ مَنَافِعُ مِنَ اللُّؤلُؤِ المَكْنُونِ وَالعَنْبَرِ الوَردِ
وفي قُلَلِ الأَجْبَالِ خَلفَ مُقَطَّم زَبَرْجَدُ أَمْلَاكِ الوَرَى سَاعَة الحَشْدِ
وَفِي الحَرَةِ الرَجْلَاءِ تَلْفِي مَعَادِنَ لَهُنَّ مَغَارَاتٌ تَبْجِسُ بِالنَقْدِ(٢)
مِنْ الذَّهَبِ الإِبْرِيزِ والفِضَّةِ الَّتِي تَرُوقُ وَتُصْبِي ذَا القَنَاعَةِ والزُهْدِ
وَكُلُ فِلِزٍّ مِنْ نُحَاس وَآنُكٍ وَمِن زِئْبَقٍ حَيٍّ وَنُوشَادر يُسْدِي (٣)
وَكُلُ يَواَقِيتِ الأَنَامِ وَحُلِيِّهَا مِن الأَرْضِ وَالأَحْجَارِ فَاخِرةِ المَدِّ
وَفِيْها مُقَامُ الخِلِ والرُكنُ والصَّفَا ومُسْتَلَمُ الحُجَّاجِ مِنْ جَنَّةِ الخُلْدِ
فَيَا ابنَ حَلِيفِ الطِّينِ واللُّؤمِ والعَمَى وَأَبْعَد خَلْقِ الله مِنْ طُرُقِ الرَّشَدِ(٤)
أَتَهْجُو أَبَا بَكْرٍ وتَخْلَعُ بَعْدَه عَلِيًّا وتَعْزُو كُلَّ ذَاكَ إِلى بُردِ
كَأَنَّك غَضْبان عَلى الدِّينِ كُلِه وَطَالِبُ ذَحْلٍ لَا يَبِيتُ عَلى حِقْدِ (٥)
أَتَجْعَلُ لَيْلَى النَّاعِطِيَّةَ نِحْلَةً وَكُلَّ عَرِيقٍ فِي التَّنَاسُخِ والرَّدِ (٦)

* * *

(١) العقد : الحساب والعد .

(٢) الحرة : أرض بركانية سوداء الحجارة . الرجلاء : الوعرة الخشنة . تبجس : تتفجر .

(٣) آنك : رصاص . النوشادر : حجر أبيض صاف كالبللور .

(٤) يشير بقوله : حليف الطين إلى حرفة برد والد بشار ، فإنه كان طيانًا يضرب اللبن .

(٥) ذحل (بفتح فسكون) : ثأر . لا يبيت على حقد : المراد أنه يسارع إلى الأخذ بثأره .

(٦) ليلى الناعطية : امرأة من غلاة الشيعة .

المبحث السابع

مدرسة الصنعة البديعية

المبحث السابع
مدرسة الصنعة البديعية

كانت العرب تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب، وشبه فقارب، وبَدَه فأغزر، ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته، ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة، ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القصيد [1].

وربما قرأت من شعر أحدهم قصائد من غير أن تجد فيها بيتًا بديعًا، فإذا وقع ذلك في قصائدهم، واتفق لهم في البيت بعد البيت جاء موافقًا للطبع على غير تعمد وقصد، وكان يستحسن ذلك منهم إذا كان نادرًا[2].

فلما أفضى الأمر إلى المحدثين ، ورأوا مواقع تلك الأبيات ـ أبيات البديع ـ من الغرابة والحسن، وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللطف، تكلفوا الاحتذاء عليها، فسموه البديع، فمن محسن ومسيء، ومحمود ومذموم، ومقتصد ومفرط[3].

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه لأبي الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (المتوفى: ٣٩٢هـ) ، ص ٣٣ ، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي ، ط مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .

(٢) انظر: البديع في البديع لأبي العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي (المتوفى: ٢٩٦هـ) ، ص ١ وما بعدها ، ط دار الجيل ، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، والوساطة، ص٣٤.

(٣) الوساطة، ص٣٤.

وأصبح البديع صنعة لهـا روادهـا من أمثـال: بشار بن برد ، ومسلم بن الوليد، والعتابي، ومنصور النمري، وأبي نواس، وأبي تمام[1]، وابـن المعتـز، وكان الواحد من هؤلاء يقصد إلى البديع ، ويكثر منـه في شـعره ، لكـنهم لم يكونوا سواء في تلـك الصـنعة مـن حيـث الإقـلال والإكثـار ، والسـهولة والتوعر ، والطابع والاتجاه[2].

وأدى هيام بعض الشعراء بهذه الألوان وإفراطهم في تناولهـا إلى طغيـان الاهتمام باللفظ عـلى الاهـتمام بجانـب المعنـى، كـما أدى ببعضـهم إلى عـدم الاكتراث بجزالة الألفاظ واستقامتها إيثارًا للمحسنات البديعيـة، ممـا حـدا بكثير من علماء اللغة والأدب إلى أن ينتصـروا للقـديم ويتعصـبوا لـه ، وأن يقفوا في وجه كل جديد موقفًا متشددًا مقللين من شأن ما يأتي به المحدثون ، منكرين عليهم إكثارهم من ألوان البديع وكلفهم بها وإفراطهم فيها.

وإلى جانب هذه الطائفة التي تعصبت للقديم كانت هناك طائفة أخرى من

---

(١) هو: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، أَبو تَمَّام ، شاعر وأديب وأحد أمراء البيان ، ولد في جاسم ، من قرى حوران بسورية ١٨٨هـ، ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد ، فأجازه وقدمه على شعراء وقته ، فأقام في العراق ، ثم ولي بريد الموصل ، فلم يتم سنتين حتى توفي بها ٢٣١هـ. (انظر: تاريخ دمشق، ١٢/ ١٦-٣٤، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) ، وبيت الشعر في : شرح ديوان أبي تمام للخطيب أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، ٢ / ١٥٦ ، تحقيق: راجي الأسمر، ط دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ، سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢) الفنون البديعية في دائرة البحث البلاغي، أ.د/ فوزي السيد عبد ربه عيد، ص٢١، ط مطبعة الحسين الإسلامية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

الشعراء والنقاد تتعصب للمحدثين، وتنتصر للبديع، وتعد الإكثار منه في الشعر تفننًا في ضروب القول، ودليلًا على شاعرية الشاعر[١] ، منهم :

ابن المعتز:

كان الخليفة العباسي عبد الله بن المعتز (المتوفى ٢٩٦هـ) أحد أنصار المدرسة البديعية، فألف كتاب "البديع"، ليعلم الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من ألوان البديع ، و" أن بشارًا ، ومسلمًا، وأبا نواس، ومن تقيلهم[٢] وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم، فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم، فأعرب عنه ودل عليه.

ثم إن حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شغف به حتى غلب عليه، وتفرع فيه، وأكثر منه، فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض، وتلك عُقبى الإفراط وثمرة الإسراف [٣].

ويُعد هذا الكتاب أول مؤلف يتجه بالنقد الأدبي صوب البلاغة، ويذهب بعض الكتاب إلى القول بأنه أول كتاب في البلاغة العربية بالمعنى الصحيح، حيث لم يجاوز في موضوعاته وفنونه دائرة البحث البلاغي[٤].

---

(١) الفنون البديعية في دائرة البحث البلاغي ، ص٢٢، ٢٣.

(٢) تقيلهم: أشبههم وسلك طريقهم، يقال: تقيل الولد أباه، إذا نزع إليه في الشبه والعمل.

(٣) البديع لابن المعتز، ص١ وما بعدها .

(٤) انظر: البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية ، د/ بدوي طبانة، ص ١٢٧وما بعدها ، ط مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية، ١٩٥٨م ، والفنون البديعية في دائرة البحث البلاغي ، ص٢٤.

وقد جمع ابن المعتز في كتابه ثمانية عشر لونًا، أطلق على خمسة منها اسم البديع، وهي : الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، ورد الأعجاز على الصدور، والمذهب الكلامي، ثم قرر أنه اقتصر على هذه الفنون الخمسة اختيارًا من غير جهل بمحاسن الكلام، ولا ضيق في المعرفة، فمن أحب أن يقتدي به ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئًا على البديع فله اختياره[1].

أما الثلاثة عشر فنًّا الباقية فقد أطلق عليها ابن المعتز محاسن الكلام، وهي: الالتفات ، والاعتراض ، والرجوع ، وحسن الخروج ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل العارف، والهزل يراد به الجد ، وحسن التضمين، والتعريض، والكناية ، والإفراط في الصفة ، وحسن التشبيه ، وإعنات الشاعر نفسه في القوافي ، وحسن الابتداء[2].

قدامة بن جعفر:

جمع قدامة بن جعفر (المتوفى ٣٣٧هـ) في كتابه "نقد الشعر" عشرين لونًا من ألوان البديع، وقد توارد مع ابن المعتز على سبعة منها، وانفرد بثلاثة عشر لونًا، فتكامل لهما ثلاثون نوعًا [3].

ومن الألوان التي ذكرها قدامة :

---

(١) انظر: البديع لابن المعتز ، ص ٥٨.

(٢) انظر: المرجع السابق ، ص٥٨ ـ ٧٥.

(٣) الفنون البديعية في دائرة البحث البلاغي، ص٢٥.

١ـ صحة التقسيم:

وهي أن يبتدئ الشاعر فيضع أقسامًا فيستوفيها، ولا يغادر قسمًا منها، كقول نصيب:

فَقَال فَرِيقُ القَومِ لَا وَفَرِيقُهُم نَعَمْ وَفَرِيقٌ قَالَ وَيْحَكَ مَا نَدْرِي

فليس في أقسام الإجابة عن مطلوب إذا سئل عنه غير هذه الأقسام[١].

٢ـ التتميم:

وهو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل معها جودته شيئًا إلا أتى به؛ مثل قول نافع بن خليفة الغنوي[٢]:

رِجَالٌ إِذَا لَمْ يُقْبَلِ الحَقُّ مِنْهُمُ وَيُعْطَوْهُ عَاذُوا بِالسُّيُوفِ القَوَاطِعِ

فما تمت جودة المعنى إلا بقوله "يعطوه"ـ بالبناء للمجهول ـ وإلا لكان المعنى منقوص الصحة ، وكقول طرفة[٣]:

فَسَقَى دِيَارَكِ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي[٤]

فقوله: "غير مفسدها " إتمام لجودة ما قاله ؛ لأنه لو لم يقل : غير مفسدها لعيب كما عيب ذو الرمة في قوله:

---

(١) نقد الشعر لقدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (المتوفى: ٣٣٧هـ) ، ص ٤٦، ط مطبعة الجوائب – قسطنطينية ، الطبعة الأولى، ١٣٠٢هـ .

(٢) نقد الشعر لقدامة بن جعفر البغدادي ، ص ٤٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(٤) الصوب: المطر بقدر ما ينفع ولا يؤذي . والديمة : المطر الدائم . تهمي : تسيل . وقوله : غير مفسدها تتميم واحتراس للديار من الهدم .

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارَ مَيّ عَلَى البِلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًّا بِجَرْعَائِكِ القَطْرُ

عابوه في هذا القول ؛ لأن فيه إفسادًا للدار التي دعا لها ، وهو أن تغرق بكثرة المطر [1].

وامتزج النقد بالبديع عند بعض الكتاب ، فصاروا لا يفصلون بينهما، ومن هذا القبيل كتاب (البديع في نقد الشعر) لأسامة بن منقذ ، ففي المقدمة يقول أسامة : "هذا كتاب جمعت فيه ما تفرق في كتب العلماء المتقدمين المصنفة في نقد الشعر ، وذكر محاسنه وعيوبه ، فلهم فضيلة الابتداع ، ولي فضيلة الاتِّباع"[2].

ومن يطالع الموضوعات التي تناولها هذا الكتاب يجد أنها – في جملتها – تندرج تحت علوم البلاغة ، ومعظمها داخل في عداد الفنون البديعة ، ومن ذلك على سبيل المثال:

١ – باب طبقات التطبيق[3].

وفيه يقول : اعلم أن التطبيق هو أن تكون الكلمة ضد الأخرى ، كما قال الله تعالى : { وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا } [4].

---

(١) نقد الشعر لقدامة ، ص٤٩، ٥٠ ، وقد اعتذر بعضهم عن ذي الرمة بأنه قدم الدعاء لها بالسلامة في قوله: "اسلمي".

(٢) البديع في نقد الشعر لأبي المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر ابن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (المتوفى: ٥٨٤هـ) ، ص ٨ ، تحقيق: الدكتور أحمد أحمد بدوي، والدكتور حامد عبد المجيد ، ط الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ط مصطفى الحلبي، سنة ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م .

(٣) البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ، ص ٣٦.

(٤) سورة النجم: الآيتان ٤٣، ٤٤.

وقوله تعالى : { لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ }[1].

وأخفى تطبيق في القرآن: { مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللهِ أَنصَارًا } [2].

وقال الحسن البصري في دعائه :" اللهم إِنْ تَبْتَلِنِي بِنِعْمَةٍ فَأَشْكُر ، خَيْر مِنْ أَنْ تَبْتَلِينِي بِنِقْمَةٍ فَأَصْبر "[3].

وللفرزدق مما يستحسنه المتقدمون :

والشَّيبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ[4]

وقال أبو تمام:

قَدْ يُنْعِمُ اللهُ بِالبَلْوى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَبْتَلِي اللهُ بَعضَ القَومِ بِالنِّعَمِ

وقال المنصور: لَا تَخْرجُوا مِن عِزِّ الطاعَةِ إِلَى ذُلِّ المَعْصِية.

٢ـ باب التذييل:

وفيه يقول: اعلم أن التذييل هو أن تأتي في الكلام جملة تحقق ما قبلها، كقوله تعالى: { إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ } ، ثم حقق الكلام بقوله: { وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ }[5].

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٣.

(٢) سورة نوح: الآية ٢٥.

(٣) البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ ، ص٦٥.

(٤) ديوان الفرزدق ، ص ٣٢٣ ، تحقيق علي فاعور ، ط دار الكتب العلمية . بيروت .

(٥) التوبة: الآية ١١١.

٣- باب الاعتراض [١]:

وفيه يقول: اعلم أن الاعتراض هو أن تـذكر في البيـت جملـة معترضـة لا تكون زائدة ، بل يكون فيها فائدة ، مثل قول الشاعر[٢]:

إِنَّ الثَّمَانِـــــينَ وَبُلِّغْتَهَـــــا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلى تُرْجُمَانِ

ومن نماذج شعر هذه المدرسة قول أبي تمام في فتح عمورية :

السَّيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِن الكُتُبِ فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَينَ الجِدِّ واللَّعِبِ

وقد عرض الآمدي في موازنته جانبًا كبيرًا من الجدال والحجـاج الـذي دار بين أنصار أبي تمـام رائـد مدرسـة الصنعة في العصـر العبـاسي وأنصـار البحتري رائد مدرسة الطبع في العصر العباسي ، ومما ذكره الآمدي في ذلك : "احتج أصحاب أبي تمام بأنه انفرد بمذهبٍ اخترعه، وصار فيه أولًا وإمامًا متبوعًا ، وشهر به حتى قيل: هذا مذهب أبي تمام ، وطريقة أبي تمام ، وسلك الناس نهجه ، واقتفوا أثره ، وهذه فضيلة عري عن مثلها البحتري[٣] .

فأجابهم أصحاب البحتري بقولهم: ليس الأمر في اختراع أبي تمام لهذا المذهب على ما وصفتم، ولا هو بأول فيه، ولا سابق إليه، بل سلك في ذلك

---

(١) البديع في نقد الشعر، ص ١٣٠.

(٢) نسبه البعض إلى عوف بن محلّم الشيباني. (انظر: الإعجاز والإيجاز للثعالبي، ص ١٧٢٠).

(٣) هو: أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي، أحد أشهر الشعراء العرب في العصر العباسي، وكان شاعرًا في بلاط الخلفاء (المتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز بن المتوكل) ، خلّف ديوانًا ضخمًا أكثر ما فيه المديح وأقله في الرثاء والهجاء ، وله قصائد في الفخر والعتاب والاعتذار والحكمة والوصف والغزل . (انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٣/ ٤٨٧ ، وأعلام الشعراء العباسيين ، سلمان هادي الطعمة ، بيروت ١٩٨٧م ، والبحتري : د/ أحمد محمد بدوي ، دار المعارف ، مصر، طبعة ٣ ، ١٩٦٩م).

سبيل مسلم بن الوليد ، واحتذى حذوه، وأفرط وأسرف ، وزال عن النهج المعروف ، والسنن المألوف ، وعلى أن مسلمًا أيضًا غير مبتدع لهذا المذهب ، ولا هو أولٌ فيه ، ولكنه رأى هذه الأنواع التي وقع عليها اسم البديع ـ وهي: الاستعارة ، والطباق ، والتجنيس ـ منشورة متفرقة في أشعار المتقدمين، فقصدها، وأكثر في شعره منها .

ثم ذكر الآمدي نماذج لذلك من الشعراء المتقدمين زمنًا على أبي تمام ، منها قول القطامي[1] :

فَلَمَّا رَدَّهَا فِي الشَّـــــولِ شَالَـت بِذَيَّالٍ يَكُـــــونُ لَهَـــــا لَفَاعَـا

وقوله أيضًا :

كَنِيَّةِ الحَيّ مِنْ ذِي القَيظِ فَاحتملُوا مُسْتَحقِبِيـنَ فـُؤادًا مَـا لَـه فادي

وقول جرير:

فَمَا زَالَ مَعْقُولًا عقالٌ عَن العُلى وَمازَالَ مَحبُوسًا عنِ المجدِ حابِسُ

وقول ذي الرمة :

كَأَنَّ الْبُرَى وَالْعَاجَ عِيجَتْ مُتُونُهَا عَلَى عُشَرٍ نَهَّى بِهِ السَّيْلَ أَبْطَحُ

وقول امرئ القيس:

لقد طَمَحَ الطَّمَّاحُ من بُعْدِ أرْضِهِ لِيُلْبِسَني من دائِهِ ما تلبّسا

وقول الفرزدق:

---

(١) هو : عمير بن شييم بن عمرو بن عباد ، من بني جشم بن بكر ، أبو سعيد التغلبي ، الملقب بالقطامي، شاعر الغزل فحل ، مات ١٣٠هـ . (انظر : معجم المؤلفين ٨/ ١٣، والأعلام ٥/ ٨٨) .

خِفَاف أَخَفَّ اللهُ عَنْه سَحَابه وأوسَعه مِن كُلِّ سَافٍ وحَاصب

وقول زهير :

لَيْثٌ بعَثَّرَ يَصطادُ الرّجالَ إذا ما كَذَّبَ اللَّيْثُ عَنْ أقرانِهِ صَدقَا

فطابق بين الصدق والكذب.

وقول طفيل الغنوي:

بِساهِمِ الوَجهِ لم تُقطعْ أَبَاجِلُهُ يُصَانُ وهو لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْذُولُ

فطابق بين قوله " يصان " وقوله " مبذول ".

ثم يمضي الآمدي في حديثه ، فيقول : فتتبع مسلم بن الوليد هذه الأنواع ، واعتدها ، ووشح شعره بها، ووضعها في موضعها، ثم لم يسلم مع ذلك من الطعن، حتى قيل: إنه أول من أفسد الشعر، روى ذلك أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح، قال: وحدثني محمد بن قاسم بن مهرويه، قال: سمعت أبي يقول: أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد، ثم اتبعه أبو تمام، واستحسن مذهبه، وأحب أن يجعل كل بيت من شعره غير خالٍ من بعض هذه الأصناف، فسلك طريقًا وعرًا، واستكره الألفاظ والمعاني، ففسد شعره، وذهبت طلاوته، ونشف ماؤه .

ثم نقل الآمدي قول ابن المعتز : وإنما كان الشاعر يقول من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة، وربما قرئ في شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيتٌ واحدٌ بديعٌ، وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى قدرًا، ويزداد حظوة بين الكلام المرسل، وقد كان بعضهم يشبه الطائي في البديع

بصالح بن عبد القدوس[1] في الأمثال، ويقول: لو كان صالحٌ نثر أمثاله في تضاعيف شعره وجعل منها فصولًا في أبياته لسبق أهل زمانه، وغلب على ميدانه. قال ابن المعتز: وهذا أعدل كلامٍ سمعته"[2].

* * *

(١) هو: صالح بن عبد القدّوس بن عبد الله الأزدي الجذامي ، شاعر حكيم من الشعراء الفلاسفة، كان متكلمًا ، يعظ الناس في البصرة ، وشعره كله أمثال وحكم وآداب، مات سنة سبع وستين ومائة. (انظر: طبقات الشعراء لابن المعتز العباسي ١/ ٨٩، ٩٠ ، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان البرمكي الإربلي ٢/ ٤٩٢).

(٢) البديع لابن المعتز، ص ٧٤ ، والموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الحسن ابن بشر الآمدي (ت ٣٧٠ هـ) ، ١ /١٨ ، المجلد الأول والثاني: تحقيق: السيد أحمد صقر ، ط دار المعارف – الطبعة الرابعة سلسلة ذخائر العرب (٢٥) ، المجلد الثالث: تحقيق : د. عبد الله المحارب (رسالة دكتوراه) [قال المحقق في آخره: الكتاب لا يزال ناقصا .. ولعل الله يمن بالعثور على نسخة كاملة لهذا الكتاب النفيس ..]، ط مكتبة الخانجي – الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م .

المبحث الثامن

مدرسة الطبع

المبحث الثامن
مدرسة الطبع

إن شعراء العرب لم يكونوا جميعًا على شاكلة زهير وتلاميذه ممن عرفوا بشعراء مدرسة الصنعة، ولا على شاكلة أبي تمام ومن سار على دربه في العناية بفن البديع أو الإسهاب فيه ، فقد كان هناك اتجاه مقابل يتمثل في مدرسة المطبوعين الذين يقولون الشعر عن بديهة وسرعة خاطر، وقيل : إنما سمي الأعشى صناجة العرب لقوة طبعه وحلية شعره، يخيل إليك إذا أنشدته أن آخر ينشد معك[١]، وعن هذا الاتجاه يعبر مزرد أخو الشماخ[٢] في رده على كعب بن زهير فيقول [٣] :

فَلَستَ كحَسّانَ الحُسَامِ ابنِ ثابتٍ وَلَستَ كَشمّاخٍ ولا كالمُخَبَّلِ [٤]

ثم يقول الكميت [٥]:

---

(١) انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ١/ ١٣١ .

(٢) هو: مزرد بن ضرار الغطفاني، اسمه يزيد، ويكنى أبا ضرار، وقيل : أبو الحسن، وهو الأخ الأكبر للشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبيانيّ الغطفانيّ، كان هجّاء في الجاهلية، خبيث اللسان، حلف لا ينزل به ضيف إلا هجاه، ولا يتنكب بيته إلا هجاه. (انظر: طبقات فحول الشعراء، ١/ ١٣٢، والشعر والشعراء، ١/ ٣٠٤، ومعجم الشعراء، ص ٤٩٦، والأعلام، ٧/ ٢١٢).

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة، ١/ ١٥٥ .

(٤) هو : ربيع بن مالك بن ربيعة بن عوف السعدي أبو يزيد ، من بني أنف الناقة من تميم ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام . (انظر : الأعلام، ٣/ ١٥) .

(٥) هو: الْكُمَيْت بن ثَعْلَبَة بن نَوْفَل بن نَضْلَة بن الأشتر بن حجوان بن فقعس الْأَسدي، شاعر مخضرم عاش في الجاهلية، وأسلم في زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ولم يجتمع به، وَقد أوردهُ الإمام ابْن حجر فِي قسم المخضرمين من الْإِصَابَة ، وعرف بالكميت الأكبر ، وكان الكميت =

فَـــدُونَكَ مَقْرَبَـــةٌ لَا تُسَـــا طُ كَرهًـا بِسَـوطٍ وَلَا تُرْكَـلُ
مُهَذَّبَـــةٌ لَا كَقَـــولِ الهُـــذَا ءِ مِّمَـن يُسِـــيءُ وَمَـن يَعْمَـلُ
وَمَـا ضَرَّهَـا أَنَّ كَعبًـا ثـوى وَفـوَّز مِـن بَعْـدِه جَـرْوَلُ

وذلك ردًّا على من يقول :

فَمَنْ لِلقَوافِي شَانَهَا مَنْ يَحُوكُهـا إِذَا مَا ثَـوى كَعـبٌ وَفَـوَّزَ جَـرْوَلُ

وعلى نسق الأعشى والكميت وغيرهما سار العديد من شعراء مدرسة الطبع ، هذه المدرسة التي يعد البحتري من أبرز شعرائها ، حتى عرف بأنه رائدها .

وقد برز مصطلح الطبع كمقابل لمصطلح الصنعة ، ويعني الاتكاء على الملكة والموهبة أكثر من أي شيء آخر ، في مقابل من تفننوا في بعض فنون البديع في شعرهم ، وكان الآمدي في موازنته من أكثر النقاد وضوحًا في جعل الطبع في مقابل الصنعة ، حيث انتصف به للبحتري على حساب أبي تمام ، حيث يرى أن البحتري قد اعتمد في شعره على طبيعته وسجيته وملكته البيانية في حين غاص أبو تمام في عباب فن البديع يفتن من خلاله في القول افتنانًا على حد قوله في قصيدته الشهيرة في فتح عمورية [1] :

= الأكبر هجاء مقذعًا، وفي بني أسد ثلاثة شعراء باسم الكميت وهو أولهم. (انظر: معجم الشعراء ، ص ٣٤٧، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، ٧/ ٥٢٣- ٥٢٤) ، والأبيات في : الشعر والشعراء لابن قتيبة، ١/ ١٥٥ .

(١) ديوان أبي تمام ، وهو: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام الشاعر، والأديب (ت ٢٣١ هـ)، ص ١٧ .

السَّـيْفُ أَصْـدَقُ أَنْبَـاءً مِـنَ الكُتُـبِ فِي حَدِّهِ الحَـدُّ بَـيْنَ الجِـدِّ واللَّعِـبِ
بِيْضُ الصَّفَائِحِ لاَ سُـودُ الصَّـحَائِفِ فِي مُتُـونِهِنَّ جَـلاءُ الشَّـكِّ والرِّيَـبِ

أما شعـر البحتري فيرى الآمـدي أنه تـدفق تدفقًـا عظيمًـا وانسـاب انسيابًا سلسًا ، حيث اعتمد على لطيـف المعـاني لا عـلى صـنعة البـديع كـما ارتكز أبو تمام.

وعقب الآمدي منحازًا إلى جانب البحتري على حساب أبي تمام فيقول : ولولا لطيف المعاني واجتهاد امرئ القيس فيها وإقباله عليها لما تقدم على غيره، ولكان كسائر الشعراء من أهل زمانه؛ إذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على فصاحتهم، ولا لألفاظه من القوة والجزالة ما ليس لألفاظهم، وبهذه الخلة ـ دون سواها ـ فضل امرؤ القيس[1] .

وقد جارى الآمدي أنصار البحتري في قولهم : إن أبا تمام حكيم، وإنما الشاعر البحتري ، حيث يقول إثر حديثه عن طريقة البحتري ومسلكه في الشعر : وإذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة ، وكانت عبارته مقصرة عنها، ولسانه غير مدرك لها ، حتى يعتمد دقيق المعاني من فلسفة يونان أو حكمة الهند أو أدب الفرس ، ويكون أكثر ما يورده منها بألفاظ متعسفة ونسج مضطرب ، وإن اتفق في تضاعيف ذلك شيء من صحيح الوصف وسليم النظر – قلنا له : قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة، فإن شئت دعوناك حكيمًا ، أو سميناك فيلسوفًا ، ولكن لا نسميك شاعرًا ، ولا

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، ١ / ٤٢٠.

ندعوك بليغًا؛ لأن طريقتك ليست على طريقة العرب ، ولا على مذاهبهم ، فإن سميناك بذلك لم نلحقك بدرجة البلغاء ولا المحسنين الفصحاء [1].

وينبغي أن تعلم أن سوء التأليف ورداءة اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ، ويفسده ويعميه حتى يحوج مستمعه إلى طول التأمل ، وهذا مذهب أبي تمام في معظم شعره.

وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاءً وحسنًا ورونقًا حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن ، وزيادة لم تعهد ، وذلك مذهب البحتري ، ولهذا قال الناس: لشعره ديباجة ، ولم يقولوا ذلك في شعر أبي تمام[2].

ولا شك أن الطبع والموهبة هما عماد عملية الإبداع، ليس في الشعر وحده وإنما في سائر الفنون ، مع أنه لا حرج على صاحب الطبع والذوق الرفيع أن يصقله بالدربة والوقوف على دقائق وأسرار العلوم والفنون ليزيد طبعه صقلًا وموهبته تألقًا ، بل عليه أن يعمل على صقل ذوقه الفطري من خلال ذلك .

والصنعة ليست مذمومة على كل حال ، إنما يذم منها ما يأتي تكلفًا على حساب المعنى ، أما ما يأتي منها عفو الخاطر أو سلسًا غير متكلف، حتى لو كان مقصودًا لذاته، فلا حرج فيه ، بل إن ذلك قد يعد إضافة معتبرة تسهم

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ١/ ٤٢٥ .

(٢) المرجع السابق ١ / ٤٢٥.

في شعرية النص ، ومن ذا الذي ينكر على أوس بن حجر ، وزهير بن أبي سلمى ، وكعب بن زهير ، والحطيئة ، ومسلم بن الوليد ، وأبي تمام وغيرهم شاعرية أي منهم .

وليست العبرة في المسلك إنما في الفن المُبدَّع ومدى قيمته وشاعريته ، وهنا تأتي قيمة الدراسات النصية المعاصرة في إبراز قيمة النص وما يحمله من شاعرية وقيم إبداعية .

ومنه قول البحتري يعتذر إلى الفتح بن خاقان[١] ويقول في مطلعها [٢]:

يَهُـــونُ عَلَيْهَـــا أنْ أبِيـــتَ مُتَـــيَّمًا ... أُعَـــالِجُ وَجْـــدًا في الضّـــمِيرِ مُكَـــتَّمًا

وَقد جاوَرتْ أرْضَ الأَعادِي وأصبَحَتْ ... حِمى وَصْلها مذ جاوَرَت أبـرَقَ الحِمـى [٣]

بكَتْ حرْقَةً ، عندَ الوَدَاعِ ، وأرْدفـتْ ... سُلُوًّا نَهَـى الأحْشَـاءَ أنْ تَتَضَـرَّما

فلَمْ يَبـقَ مِـنْ مَعْرُوفِهـا غَـيرُ طـائِفٍ ... مُلِمٍّ بِنَـا، وَهْنًـا، إذا الرّكـبُ هَوّمـا[٤]

---

(١) هو: الفتح بن خاقان بن أحمد ، وقيل : ابن خاقان بن غرطوج ، كان من سلالة ملوك الفرس، وكان أديبًا شاعرًا معروفًا بالفطنة والذكاء، وكان غاية في الجود، وقد اتخذه المتوكل أخًا ووزيرًا ، وكان يقدمه حتى على أبنائه، وكانت وفاته سنة ٢٤٧هـ . (انظر في أخباره : معجم الأدباء، ١٦ / ١٧٤ ، والأعلام، ٥/ ١٣٣).

(٢) ديوان البحتري، ٣ / ١٩٨١ .

(٣) الأبرق : المكان الغليظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة ، والحمى (في الأصل) : موضع فيه ملأ يحمي من الناس ، وهو الموضع الذي يدافع عنه . (انظر لسان العرب ، مادة : ب ر ق ، ومادة : ح م ر).

(٤) الوهن (من الليل) : نحو منتصفه أو بعد ساعة منه . هوّم : نام نومًا خفيفًا أو غفا وهز رأسه من النعاس .

يَكادُ وَمِيضُ البَرْقِ عندَ اعترَاضِهِ يُضِيءُ خَيَالًا جَاءَ مِنْهَا مُسَلّمَا
وَلمْ أنْسَهَا عِندَ الوَداعِ وَنَثرها سَوَابقَ دَمعٍ أعجَلَتْ أن تُنَظَّمَا
وَقالتْ هلِ الفَتحُ بنُ خَاقَانَ مُعقِبٌ رِضًا فيَعُودُ الشّملُ منّا مُلاءمَا[1]
خَليلَيّ كُفّا اللّوْمَ في فَيْضِ عَبرَةٍ أَبَى الوَجْدُ إلّا أنْ تَفيضَ وَتَسجُمَا[2]
وَلاَ تَعْجَبَا مِنْ فَجعَةِ البَينِ إنّني وَجَدتُ الهَوَى طَعمَينِ شهدًا وَعَلقَمَا

وقد استهل البحتري قصيدته بمطلع غزلي ، وواضح أنه ليس من ذلك الغزل المقصود لذاته ، إنما هو من هذا اللون الذي يتخذ منه الشاعر توطئة لموضوعه وقد ارتكز البحتري فيه على الحديث عن الفراق والوداع ، والإعراض والسلوان ، وإسبال العبرات ، وتلك هي المعاني التي كانت تجول بخاطره وتسيطر عليه بعد أن أعرض الفتح عنه ، وكأنه يومئ بحديثه عن تلك المرأة إلى حاله مع الفتح.

واستفتح البحتري مطلعه باستفهام رقيق يتودد فيه إلى صاحبته التي تيمته مستعطفًا ، ومستبعدًا أن تتركه في أرقٍ شديد يعالج الوجد أو يكابد الشوق.

وهذا الاستفهام إنما ينم عن التساؤلات التي كانت تختلج في صدره ، فانتهى إلى صبها في هذا القالب الرقيق ، مستبعدًا أن يتركه الفتح يكابد آلام الصدّ والهجر .

---

(١) ملاءمًا : ملتئمًا موصولًا مجمعًا .

(٢) تسجم : تسيل ، يقال : سجمت العين الدمع إذا أسالته .

والذي دفعه إلى هذا الاستفهام هو أن صاحبته قد صدت وجاورت أرض الأعادي ، معبرًا في ذلك عن حال الفتح معه ، وكان البحتري موفقًا غاية التوفيق في عباراته واختيار ألفاظه ، حيث جعل صاحبه مجاورًا لأرض أعدائه مجرد جوار ، لكنه غير داخل في عداد هؤلاء الأعداء ، فالأمر بين الشاعر وممدوحه لم يصل حد العداء ، إنما هو مجرد عتب جعل صاحبته بل صاحبه ينزل إلى جوار أرض الأعادي، وإن كان هذا الجوار غير مرغوب فيه .

وقد بكت صاحبته حرقة عند وداعه ، ولعله أراد أن يومئ بذلك إلى أن الصدَّ الذي كان من جانب الفتح لم يكن سهلًا على نفسه ؛ مما جعله مترددًا بين العتب والرضا، وقد صور البحتري ذلك في المقطع التالي من القصيدة .

لقد انعكست الحالة الشعورية عند البحتري على مطلعه الغزلي وأثرت فيه، وجعلته يعلق رضا صاحبته على رضا الفتح ، متخذًا من ذلك وسيلة لاستعطافه .

ثم يوجه البحتري الخطاب إلى خليليه جريًا على الأسلوب العربي ، فيلتمس منهما أن يكفَّا عن لومه ، وأن يعذراه في فيض عبراته ، وألا يعجبا من أمره أو فجيعته ، فقد ذاق طعم الهوى في حالي القرب والبعد ، فوجده شهدًا حال القرب والوصال ، علقمًا مرًّا حال الصدِّ والهجر .

ثم يطلب من يعذره من تلك الأيام النحسات التي كدرت صفوه ، وأحالت أيام سعده بؤسًا لا يطاق ، فحين غضب عليه الفتح أظلمت الدنيا في وجهه ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وبات مؤرقًا بين ظلمتين :

ظلمة الليل الذي طال عليه، وظلمة الخوف الذي يحيط به ، وفي ذلك يقول[1]:

عَـذيرِي مِـنَ الأيّـامِ رَنّقْـنَ مَشْـرَبِي ... وَلقَّيْنَنِي نَحْسًـا مـنَ الطّـيرِ أشْـأمَا
وأكْسَبْنَنِي سُخطَ امـرِئٍ بـتُّ موهِنًـا ... أرَى سُخطَهُ لَيلًا مـعَ اللّيـلِ مُظلِـمَا
تَبَلّجَ عن بَعضِ الرّضَا وانطَوَى عـلى ... بَقِيّـةِ عَتْـبٍ شَـارَفَتْ أنْ تَصَـرّما
إذا قُلْـتُ يَوْمًـا قَـدْ تَجـاوَزَ حَـدَّهَا ... تَلَبَّـثَ فِي أَعْقَابِهـا وتَلَوَّمـا[2]
وأصْـيَدَ إنْ نازَعْتُـهُ اللّحـظَ رَدّهُ ... كَليلًا وإنْ راجَعتُهُ القَوْلَ جَمجَمَا[3]
ثَنـاهُ العِـدى عَنّـي فأصْـبحَ مُعْرِضًـا ... وأوْهَمَـهُ الوَاشُـونَ حَتّـى تَوَهّمـا
وَقَد كَانَ سَـهلًا واضِـحًا، فتَـوَعّرَتْ ... رُبَـاهُ ، وَطَلْقًـا ضـاحِكًا فَـتَجَهّما
أمُتّخِـذٌ عِنـدي الإسَـاءَةَ مُحسِـنٌ ... وَمُنْـتَقِمٌ مِنّـي امـرُؤٌ كَـانَ مُـنعما
وَمُكتَسِـبٌ في المَلامَـةَ ماجِـدٌ ... يَرَى الحَمـدَ غُـنْمًا والمَلاَمَـةَ مَغرَمَـا
يُخَـوّفُني مـن سُـوءِ رأيِـكَ مَعشَـرٌ ... وَلاَ خَـوْفَ إلاّ أنْ تَجُـورَ وَتَظْلِـمَا
أُعِيذُكَ أنْ أخشاكَ مـن غَـيرِ حـادِثٍ ... تَبَـيّنَ أوْ جُـرْمٍ إلَيـكَ تَقَـدَّمَا

فبعد أن طلب من يعذره من الأيام التي رنّقت مشربه أخذ يصور تردد الفتح بين العتب والرضا، فقد أوشك ما في نفسه من وجد أن يزول ، وقد أبدى شيئًا من الرضا، ولم يبق بنفسه سوى بقية من عتاب أوشكت هي

---

(١) ديوانه، ٣ / ١٩٨٢ - ١٩٨٤.

(٢) تلوم : تمهل وانتظر.

(٣) الأصيد: الذي يرفع رأسه كبرًا وزهوًا، ومنه قيل للملك : أصيد ، ويطلق على كل ذي حول وطول من السلطان . جمجما: لم يبن كلامه، والمراد أنه حييٌّ شديد الحياء .

الأخرى أن تنصرم ، ولكن الأمل لم يكد يراود الشاعر في أن صاحبه قد تجاوز حالة العتب إلى حالة الرضا حتى يراه قد عاد إلى لومه وعتبه ، فقد بذل أعداء الشاعر كل ما في وسعهم حتى أوهموا الفتح أمرًا لا حقيقة له ؛ فتغير عما كان عليه ، وأصبح صعبًا قاسيًا بعد أن كان سهــلًا واضحًا ، وعبوسًا متجهمًــا بعد أن كان طلقًــا ضاحكًا.

وهنا يتألق حب الشاعر للطبيعة ، وتظهر ملكته التصويرية حين يلتقط بعض المظاهر الطبيعية ليعبر بها عن تغير أحوال الفتح معه [1] .

إنه يوازن بين حالي الفتح قبل العتب وبعده عن طريق الطباق والمقابلة، فقد تحولت السهولة إلى وعورة ، والطلاقة إلى تجهم ، وإنه ليعجب أو يستبعد أن يتحول الإحسان إساءة، والإنعام انتقامًا ، فيتحول الحمد إلى ملام ، وفي هذا ما يشبه العتاب والتهديد من طرف خفي.

ورغم تتابع الطباق والمقابلة فإن المتلقي لا يشعر بشيء من الكلفة أو التصنع ، بل يحس أن الشاعر كان ينطلق على سجيته، فإن جاءه البديع سمحًا وضعه في موضعه ، وإن لم يكن كذلك فلا يتكلفه، ولا يتهجم عليه.

غير أنه وقع في المحظور حين أسند سوء الرأي إلى صاحبه بقوله : "يخوفني من سـوء رأيك معشر" ؛ فهذا مما ينبغي الاحتراز منه في مخاطبة المعتذر إليه إذا كان ملكًـا أو وزيرًا أو نحو ذلك .

وقد حاول البحتري أن يتخلص من ذلك أو يخفف من حدَّته في الشطر

---

(١) انظر : البحتري بين ناقديه قديمًا وحديثًا ، د/ صالح حسن اليظي ، ص ١١٣ .

الثاني إلا أنـه وقع فيما هو شر من الأول ، فأسند إلى الفتح الجور والظلم ، وتخوَّف منهما ، وكان الأولى به أن يصرفهما عنه ، ويعمد إلى وصفه بضدهما .

ويشعر البحتري بقيمته كشاعر فنان وبقيمة المدائح التي نظمها في الفتح ؛ فيذكِّره بها ، ويتوسل إليه عن طريقها ، فيقول [1] :

أَلَسْـتُ المُـوَالِي فيـكَ نَظْـمَ قَصَـائِدٍ ... هيَ الأنجُمُ اقتَادَتْ معَ اللّيـلِ أنجُـمَا

ثَنَـاءٌ كـأنّ الـرّوْضَ مِنْـهُ مُنَـوِّر ... ضُحًى وكأنّ الـوَشيَ فيـهِ مُسَـهَّمَا[2]

فلَـوْ أنّنـي وَقّـرْتُ شِـعرِي وَقَـارَهُ ... وأجلَلْتُ مَدحي فيكَ أنْ يتَهَضّمَا[3]

لأكـبَرْتُ أنْ أُومـي إلَيـكَ بإصْـبَعٍ ... تَضَـــرّع أوْ أُدْني لَمعـــذِرَةٍ فَـــمَا

وَكَـانَ الـذي يـأتي بـهِ الـدّهرُ هَيّنًـا ... عَـليّ وَلَـوْ كَـانَ الحِـمَامَ المُقَـدَّمَا

وَلَكِنّنـــي أُعْـــلي مَحَلّـــكَ أنْ أُرَى ... مُـــدِلًّا ، وأســـتَحيِيكَ أنْ أتَعَظّـــما

أعِدْ نَظَرًا فيما تَسَـخّطتَ هـل تَـرَى ... مَقَـــالًا دَنِيًّـــا أوْ فَعَـــالًا مُـــذَمَّمَا

رأيتُ العِـرَاقَ أَنْكَرَتنْـي وأقسَـمَتْ ... عَـــليّ صُرُوفُ الـــدّهرِ أنْ أتَشَـــأمَا

وَكَـــانَ رَجَـــائي أنْ أؤوبَ مُمَلَّكًـــا ... فَصَـــارَ رَجَـــائي أنْ أؤوبَ مُسَـــلَّمَا

ولا مـــانعٌ مِمّـــا تَوَهّمـــتُ غَـــيرَ أنْ ... تَـــذَكّرَ بَعـــضَ الأُنْـــسِ أو تتَـــذمّمَا

وأكـبَرُ ظَنّـي أَنَّـكَ المَـرْءُ لمْ تَكُـنْ ... تُحَلّـــلُ بـــالظَّنِّ الـــذّمامَ المُحَرَّمـــا

حَيَاءٌ فَلَـمْ يَـذْهَبْ بيَ الغَـيُّ مَـذْهَبًا ... بَعيدًا، ولم أرْكَبْ مـن الأمـرِ مُعظَّـمَا

وَلم أعرِفِ الذّنْبَ الذي سُـؤتَني لـهُ ... فأقتُـلَ نَفســـي حَســـرَةً وَتَنَـدُّما

---

(١) ديوان البحتري ، ٣/ ١٩٨٤ -١٩٨٦ .

(٢) مسهمًا : مخططًا .

(٣) يتهضما : ينتقص .

وَلَـوْ كَـانَ مـا خُبِّرْتُـهُ أو ظَنَنْتُـهُ ... لَـا كَـانَ غَـرْوًا أنْ أَلُـومَ وَتكرمَـا

أُذَكِّرُكَ العَهْـدَ الـذي لَـيسَ سُـؤدَدًا ... تَناسِـيهِ والـوُدَّ الصّـحيحَ المُسَـلَّما

وَمَـا حَمّـلَ الرّكبـانُ شَرْقًـا وَمَغرِبًـا ... وأنْجَـدَ في أعْـلَى الـبِلادِ وأتْهَـمَا (١)

أُقِـرُّ بِـما لَمْ أجْنِـهِ مُتَنَصِّـلًا ... إلَيْـكَ عـلى أنّي إخالُـكَ ألْوَمَـا

لِيَ الذّنْبُ مَعْرُوفًا وإن كنتُ جاهلًا ... بـهِ وَلَـكَ العُتْبَـى عَـلَيّ وأنْعـمَا (٢)

وَمِثْلُـكَ إنْ أبْـدَى الفَعَـالَ أعـادَهُ ... وإنْ صَـنَعَ المَعـرُوفَ زَادَ وَتَمّـمَا

وَمَـا النّـاسُ إلا عُصْـبَتَانِ فَهَـذِهِ ... قَرَنْـت بهـا بُـؤسي وَهَاتيـكَ أنْعُـمَا

وَحِلَّـة أعْـدَاءٍ رَمَيْـتَ بِعَزْمَـةٍ ... فأضْرَمْتَهـا نـارًا وأجْرَيْتَهَـا دَمَـا (٣)

لقد عزَّت على البحتري نفسه فلم تهن عليه ، وهو الشاعر الفنان الذي سارت الركبان بشعره ، فأطلق لها العنان في التعبير عن انفعالاتها حتى كاد ينسى أنه يخاطب الفتح، وأنه يعتذر إليه ، فجاء قوله: "ولو أنني وقرت شعري وقاره"، مشعرًا بأنه مقدمٌ على ما يشبه الهجاء ، ولولا أنه تدارك الأمر فقال : " وأجللت مدحي فيك أن يتهضما "؛ لوقع في حرج عظيم .

وهنا تهدأ ثورته ، فيعرف للفتح قدره ، وينزله في منزلته ، ويستحي أن يتعظم أمامه أو عليه ، ويطلب منه إعادة النظر في سبب هذا السخط الذي لا يعرف الشاعر له سببًا ، فلم يأت من القول أو الفعل ما يستحق

---

(١) أنجد : أتى نجدًا وخرج إليها . وأتهم : أتى تهامة أو نزل بها . والمراد أن مدائحه في الفتح قد انتشرت وسار بها الركبان في كل مكان .

(٢) العتبى: الرضا .

(٣) الحلة : البلدة أو المحلة .

عليه اللوم أو الذم ، وإذا انتفى الـذم من هاتين الجهتين فلن يتأتى من أي جهة أخرى .

ويبدي هـواجـس نفسه من مصيره بالعراق ، وكأنه لا يزال يَشْعـر ـ برغم طول إقامته ـ أنه غريب ، وهـو يبدي خيبة أمله ، ولعله يهدد من طرف خفي باحتمال رحيلــه إلى الشام[1].

ثم يدهش ، ويستبعد أن يأخذه الفتح بمجرد الظنون ، فإنه لم يرتكب إثمًا ، ولـم يعرف لنفسه ذنبًا ، ولو أنها ارتكبته لقتلها حسرة وتندمًا .

ويذكره بأيام المصافاة ، وبالعهد الذي ليس سهلا تناسيه ، والود الذي لم تشبـه شائبة ، والشعر الذي حمله الركبان يفوح عطرًا بمديح الفتح ، ولأجل هذه الأيـام الجميلة فإنه يعترف بما لم يجنه ، ويقر بما لم يأته ، يحمل نفسه الذنب، ويرى أن صاحبه أولى باللوم منه لتناسيه هذا العهد الذي لا يزال الشاعر محافظًا عليه .

وقد عايشت هذه القصيدة بنفسية الشاعر والصديق المخلص الأبي ، الذي كـادت الأيام تفسد ما بينه وبين أخيه حتى انتهيت إلى قوله [2]:

وَمِثْلُــكَ إنْ أَبْــدَى الفعَــالَ أعــادَهُ وإنْ صَـــنَعَ المَعـــرُوفَ زَادَ وَتَمَّـــمَا

فإذا الدموع تذرف من عيني مشاركة لهذا الشاعر الذي تقطَّعت حبال المودة بينه وبين صديقه ، وإنه ليريد جاهدًا أن يعمل على وصله دون أن يفقد ماء

---

(١) البحتري بين ناقديه قديمًا وحديثًا ، د / صالح حسن اليظي ، ص ١١٤، ١١٥ .

(٢) ديوانه، ٣/ ١٩٨٦ .

وجهه ، فوقع بين أمرين أحلاهما مرٌّ - كما يقولون - وقع بين محاولة إرضاء صديقه ومحاولة الحفاظ على إبائه وماء وجهه ، وقد نجح في ذلك كله ، وتلك مشقة لا يعرفها إلا شاعر أبيٌّ يعايشها .

ومن ذلك قول أبي فراس الحمداني حين بلغه خبر موت أمه وهو أسير في بلاد الروم فرثاها بقصيدة ، نذكر منها [1] :

أَيَــا أُمَّ الأَسِــيرِ سَــقَاكِ غَيــثٌ ... بِكُرْهٍ مِنْـكِ ، مَـا لَقِـيَ الأَسِـيرُ !

أَيَــا أُمَّ الأَسِــيرِ لِمَــنْ تُــرَبِي ... وقدْ مِتِّ ، الذوائبُ والشعورُ ؟

إِذا ابنُــكِ ســارَ في بَــرٍّ وَبَحــرٍ ... فَمَــن يَــدعُو لَــهُ أَو يَســتَجيرُ

حَــرامٌ أَن يَبيــتَ قَريــرَ عَــينٍ ... وَلُــؤمٌ أَن يُلِــمّ بِــهِ الســرُورُ

وَقَــد ذُقــتِ الرَزايــا وَالمَنايــا ... وَلا وَلَــدٌ لَــدَيكِ وَلا عَشــيرُ

وَغابَ حَبيبُ قَلبِـكِ عَـن مَكـانٍ ... مَلائِكَــةُ السَّــماءِ بِــهِ حُضُــورُ

لِيَبْكِـكِ كُـلُّ يَـوْمٍ صُـمتِ فيـهِ ... مُصَــابِرَةً وَقَــد حَمــيَ الهَجِــير

لِيَبْكِـكِ كُـلُّ لَيـلٍ قُمْـتِ فيـهِ ... إلى أنْ يبتــدي الفجــرُ المنــيرُ !

لِيَبْكِـكِ كُـلُّ مُضْـطَهَدٍ مَخُـوفٍ ... أجرتيــهِ ، وقــدْ قــلَّ المجــيرُ !

لِيَبْكِــكِ كُــلُّ مِســكِينٍ فَقِــيرٍ ... أغَثْتِيــهِ ، وَمَـا في العَظْـمِ زِيـر [2]

أيــا أمــاهُ ، كــمْ هــمٍّ طويــلٍ ... مضى بكِ لمْ يكنْ منـهُ نصـيرُ ! ؟

إِلى مَـنْ أَشْـتكِي ؟ ولمـنْ أُنَـاجي ... إِذَا ضَاقتْ بـما فِيهـا الصُـدورُ ؟

---

(١) ديوان أبي فراس ، ص ١٦٢ ، ط : دار صادر ، بيروت

(٢) المقصود بقوله : "وما في العظم زير" أنه لم يبق لعظمه قوام يقوم به .

بِـــأيّ دُعَـــاءِ دَاعِيَـــةٍ أُوَقّـــى ؟ بِـــأيِّ ضِـــياءِ وجْـــهٍ أسْـــتَنيرُ ؟
بِمَـــن يُســـتَدفَع القَـــدرُ المـــوقَّى بِمَـــن يُسْـــتفتح الأمـــرُ العَسِـــيرُ؟
نُسَـــلَّى عَنْـــك أنَّـــا عَـــن قَريـــبٍ إلى مَا صِرتِ فِي الأُخـرَى نَصِـيرُ

هذا النص في فن الرثاء ، وهو شعر العواطف الأليمة ؛ لأنه يصدر – غالبًا– عن نفوس جريحة مكلومة ، وقد سئل أحد الأعراب : لماذا تعدون الرثاء أصدق أشعاركم ؟ فقال : لأننا نقوله وقلوبنا محترقة (١).

فأبو فراس يبكي أمه وحاله معًا ، وعنده ما يعينه على هذا البكاء ، وهو أسـره ، وغيابه القهري عن شهود جنازتها وتقبل عزائها ، ولم ينس أبدًا ذكرياته معها ، وهي التي قامت على أمره ، وانقطعت لتربيته بعد مقتل والده.

ويكفي أن نشير إلى أن ذكره لفظ الأسير بقوله : "أيا أم الأسير" ، يؤكد على امتزاج هموم أسره بحزنه لوفاة أمه ، وهي التي كانت تنتظر بحرقة يوم فدائه ، أما وقد لقيت ربها فمن ذا الذي يفرح بهذا الفداء ؟ "إلى من بالفدا يأتي البشير؟" .

وَلاَ خَـيرَ فِي الـدُّنيَا إِذَا لم يَكُـنْ بهَـا صَـديقٌ يُسـرّ أو عَـدُّو يحـزن

ويزيد من ألمه أن ماتت دون أن يُسرَّ قلبها برؤيته حرًّا طليقًا ، لقد عاشت لهذا الأمل ، لكن الأجل القصير حال بينها وبين هذا الأمل الذي عاشت له. ولقد ماتت وخلفته في وقت هو أحوج ما يكون فيه إلى دعائها ، وقد كانت

(١) انظر : الرثاء في الشعر العربي ، د/ محمود حسن أبو ناجي ، ص١١ .

متنفسه الوحيد إذا ضاقت بما فيها الصدور ، كما كانت مستودع سره ، وموطن بثه للشكوى ، كما أن دعاءها كان الأمل الذي بقي له أن يتشبث به وقد تخلى عنه القريب والبعيد ، ولا عزاء ولا سلوى له إلا يقينه في أن الجميع صائر إلى ما

صارت إليه ، وأنه القضاء الذي لا راد ولا مؤخر له .

لم يقف أمر مدرسة الطبع عند الشعراء العباسيين ، بل تجاوزها إلى مختلف العصور التي لم يخل عصر منها من شاعر مطبوع يقول الشعر على فطرته وسجيته وسليقته ، دون تكلف أو اعتمال ، أو مجموعة شعراء مطبوعين لا نرى في أشعارهم أثر صنعة أو تكلف ، فإن جاء في أشعارهم شيء من البديع أو غيره جاء سمحًا سهلًا عفو الخاطر غير متكلف ، ومن ذلك قصيدة حافظ إبراهيم[1] الرائعة في حريق ميت غمر، وفيها يقول :

سائِلوا اللَيلَ عَنهُمُ وَالنَهارا ... كَيفَ باتَت نِسائُهُم وَالعَذارى

كَيفَ أَمسى رَضيعُهُم فَقَدَ الأُمْ ... مَ وَكَيفَ اِصطَلى مَعَ القَومِ نارا

كَيفَ طاحَ العَجوزُ تَحتَ جِدارٍ ... يَتَداعى وَأَسقُفٍ تَتَجارى

(١) هو: حافِظ إبراهيم ، شاعر مصر القومي ومدون أحداثها، ولد في ذهبية بالنيل كانت راسية أمام ديروط ١٨٧١م ، وتوفي أبوه بعد عامين من ولادته ، ثم ماتت أمّه بعد قليل ، وقد جاءت به إلى القاهرة ، فنشأ يتيمًا ، التحق بالمدرسة الحربية، وتخرج سنة ١٨٩١م ، وعندما أحيل إلى المعاش اشتغل محررًا في جريدة الأهرام ، ولُقِّب بشاعر النيل ، توفي ١٩٣٢م. (انظر : وحي القلم ، لمصطفى صادق الرافعي ٣/ ٢٤٦، دار الكتب العلمية ، ط ١، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م ، والأدب العربي المعاصر في مصر، د/ شوقي ضيف ، ص١٠١، دار المعارف ، ط: ١٣، والأعلام للزركلي، ٦/ ٧٦).

رَبِّ إِنَّ القَضــاءَ أَنحــى عَلَــيهِم ... فَاكشِفِ الكَربَ وَاحجُبِ الأَقدارا

وَمُــرِ النــارَ أَن تَكُــفَّ أَذاهــا ... وَمُــرِ الغَيــثَ أَن يَســيلَ اِنهِــمارا

أَينَ طوفانُ صاحِبِ الفُلكِ يَروي ... هَــذِهِ النــارَ فَهــيَ تَشــكو الأُوارا

غَشِــيَتهُم وَالــنَحسُ يَجــري يَمينًــا ... وَرَمَــتهُم وَالبُــؤسُ يَجــري يَســارا

فَأَغــارَت وَأَوجُــهُ القَــومِ بــيضٌ ... ثُــمَّ غــارَت وَقَــد كَسَــتهُنَّ قــارا

أَكَلَــت دورَهُــم فَلَــمّا اِســتَقَلَّت ... لَم تُغــادِر صِــغارَهُم وَالكِبــارا

أَخــرَجَتهُم مِــنَ الــدِيارِ عُــراةً ... حَــذَرَ المَــوتِ يَطلُبــونَ الفِــرارا

يَلبَســونَ الظَــلامَ حَتّــى إِذا مــا ... أَقبَــلَ الصُّــبحُ يَلبَســونَ النَهــارا

حُلَّــةً لا تَقــيهِمُ الــبَردَ وَالحَــر ... رَ وَلا عَــنهُمُ تَــرُدُّ الغُبــارا

أَيُّهــا الرافِلــونَ فِي حُلَــلِ الــوَش ... يِ يَجُــرّونَ لِلــذُيولِ اِفتِخــارا

إِنَّ فَــوقَ العَــراءِ قَومًــا جِياعًــا ... يَتَــوارَونَ ذِلَّــةً وَاِنكِســارا

جَــلَّ مَــن قَسَّــمَ الحُظــوظَ فَهَــذا ... يَتَغَنّــى وَذاكَ يَبكــي الــدِّيارا

رُبَّ لَيلٍ فِي الدَهرِ قَد ضَــمَّ نَحسًــا ... وَسُــعودًا وَعُســرَةً وَيَســارا

* * *

المبحث التاسع

مدرسة شعراء الموشحات

المبحث التاسع
مدرسة شعراء الموشحات

الموشحات في اللغة : جمع موشحة، مأخوذة من الوشاح، وهو عبارة عن خيطين من لؤلؤ وجوهر منظومين، يخالف بينهما، ويعطف أحدهما على الآخر.

وهو ـ أيضًا ـ نسيج عريض يرصع بالجوهر، وتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها[1]، ويقال : اتشحت المرأة وتوشحت إذا لبست الوشاح.

والموشحة من الظباء والشاء والطير : التي لها طرتان مسبلتان من جانبيها.

والموشحة ـ أيضًا ـ القصيدة الجارية على نظام التوشيح الأندلسي.

والموشح في الاصطلاح : كلام منظوم على وزن مخصوص، يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أغصان ويقال له : التام، وفي الأقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات يقال له : الأقرع [2].

بناء الموشحة :

تتكون الموشحة التامة – في الغالب – من ستة أقفال وخمسة أغصان ويبدأ الموشح التام بقفل يسمى مركزًا، يتبعه غصن، ويسمى القفل والغصن معًا دورًا أو بيتًا، ومهما تعددت الأقفال فإنها تلزم وزنًا واحدًا

---

(١) سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي ، ١ / ١١٤ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت، سنة ٢٠٠٠ م .

(٢) دار الطراز في عمل الموشحات لأبي القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك الكاتب ، ص ٣٢ ، ط دار الفكر، بيروت، سنة ١٩٨٠ م .

وقافية واحدة، أما الأغصان فتتفق أوزانها وتختلف قوافيها ، ويسمى القفل الأخير من الموشحة خرجة.

مصطلحات لا بد منها:

أ -الموشح التام : هو ما تكون من ستة أقفال وخمسة أغصان، وابتدئ بقفل، وقد تزيد أقفاله وأغصانه على ذلك.

ب - الموشح الأقرع : ما ابتدئ بغصن لا قفل.

ج - الموشح المزنم : ما كانت الخرجة فيه أعجمية.

د- الأقفال : أجزاء مؤلفة يلزم أن يكون كل قفل منها متفقًا مع بقية الأقفال في وزنه وقافيته وعدد أجزائه [1].

هـ- الأغصان : أجزاء مؤلفة يلزم في كل غصن منها أن يكون متفقًا مع بقية الأغصان في وزنه وعدد أجزائه ، لا في قوافيه ، بل تحسن المخالفة بين قوافي الأغصان.

و - الخرجة : هي القفل الأخير من الموشحة.

نشأة الموشحات :

أكد الكتاب أن مخترع الموشحات هو مقدم بن معافى القبري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني (٢٧٥-٣٠٠هـ) في عصر الدولة الأموية[2]

---

(١) دار الطراز في عمل الموشحات ، ص ٣٣ بتصرف .

(٢) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لأبي عبد الله محمد بن الحسن الكتاني الطيب ، (ت٤٢٠هـ)، ص ٣١٢ ، تحقيق: إحسان عباس ، ط دار الشروق القاهرة ، والمقتطف من أزاهر الطرف لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي، (ت٦٨٥هـ) ، ص ٢٥٥ ، ط شركة أمل ، القاهرة، سنة ١٤٢٥هـ .

وقيل : محمد بن حمـــود القبري الضرير [1].

وطبعي ألا تكون الموشحة قد ولدت مكتملة البنيان، ومع أن الموشحات التي نظمها مقدم بن معافى ومن عاصره لم تصل إلينا حتى نحكم على الجذور الأولى للموشحة؛ فإن سنة تطـــور الفنون والعلوم ودراسة بعض النماذج الأولى للموشحات تشير إلى أن فن التوشيح قد مر ببعض المراحل حتى استوى بنيانه على الصورة التي وصلت إلينا.

ويذكر ابن سعيد في كتابه (المقتطف) [2] أن ابن عبـــد ربـــه صـاحب العقد الفريد قد أخذ هذا الفن عن مقدم بن معافى، غيـــر أنه لم يظهر لهما مـع المتأخرين ذكر، وكسدت موشحاتهما .

وقد برز في فن الموشحات العديد من شعراء الأندلس مثـل أبي عبد الله محمد بن عبادة المعروف بـابن القـزاز ، وابـن اللبانـة ، والأعمـى التطـيلي ، ويحيى بن بقي، وأبي بكر بن زهر، وابـن سهل الإشبيلي، ولسـان الـدين بـن الخطيب ، وغيرهم.

نماذج من الموشحات :

١ـ الموشح التام ، ونختار له:

أ – موشحة أبي بكر بن زهر [3] التي يقول فيها:

---

(١) القائل هو: جعفر بن سناء الملك الكاتب في كتابه دار الطراز في عمل الموشحات ، ص ١٢ بتصرف .

(٢) ذكر ذلك في ص ٢٥٥ من كتابه المقتطف من أزاهر الطرف .

(٣) هو: محمد بن مروان بن زهر أبو بكر بن زهر الإيادي الإشبيلي، الفقيه، المفتي، المحدّث، قال القاضي عياض: مولده سنة ثمان وثلاثين وثلاث مائة، قِيْلَ: كَانَ دَيِّنًا، عدلًا، قوِيّ النَّفْس ، مليح الشّكل ، يَجرّ قوسًا قويًّا ، وَلَهُ نَظْمٌ رَائِقٌ ، رحل إِلَى الْمشرق لأَدَاء الْفَرِيضَة ، وَدخل القيروان =

أَيُّها الساقي إِلَيكَ المُشتكى قَد دَعَوناكَ وَإِن لَم تَسمَع

وَنَـــديمٌ هِمـــتُ في غُرّتِـــه

وَشَرِبـت الـراحَ مِـن راحَتِـه

كُلَّـما اِسـتَيقَظَ مِـن سَـكرَتِه

جَذَبَ الزِّقَّ إِلَيهِ وَاتَّكا وَسَقاني أَربَعًا في أَربَع

غُصنَ بانٍ مالَ مِن حَيثُ استَوى

باتَ مَن يَهواهُ مِـن فَـرطِ الجَـوى

خافِقُ الأَحشاءِ موهـونُ القُـوى

كُلَّما فَكَّرَ في البَينِ بَكى ما لَهُ يَبكي لما لَم يَقَع

لَـيسَ لي صَـبرٌ وَلا لي جَلَـد

يا لقَـومي عَـذَلوا وَاجتَهَـدوا

أَنكَـروا شَـكواي مِمّـا أَجِـدُ

مِثلُ حالي حَقُّه أَن يشتَكي كَمَد اليَأس وَذُلَّ الطَمَعِ

مـا لِعَينـي عَشـيت بِـالنَّظَرِ

أَنكَـرَت بَعـدَكَ ضـوءَ القَمَـرِ

= ومصر وَأخذ فِي تعلم الطِّبّ هُنَالك زَمَانًا طَويلًا، ثمَّ قفل إِلَى الأندلس، واستوطن دانية وفيهَا توفّي سنة اثنتين وعشرين وأربع مائة، وَبهَا قَبره. (انظر: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ، د. قاسم علي سعد، ٣/ ١١٩٦، دار البحوث للدراسات الإسلامية، دبي، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة، ٢ / ٦٦، تحقيق: الدكتور/ نزار رضا، ط دار مكتبة الحياة – بيروت).

وإذا ما شئت فاسمع خبري

شقيَت عَيناي مِن طولِ البُكا وَبَكى بَعضي عَلى بَعضي مَعي

كَبِدٌ حَرّى وَدَمعٌ يَكِفُ

يَعرِفُ الذَّنبَ وَلا يَعتَرِفُ

أَيُّها المُعرِضُ عَمّا أَصِفُ

قَد نَما حُبُّكَ عِندي وَزَكا لا يظن الحب أنّي مُدّعي [1]

ب – موشحة ابن سهيل الإشبيلي التي يقول فيها [2]:

هَل دَرَى ظَبيُ الحِمَى أنْ قَد حَمَى قَلبَ صَبٍّ حَلَّه عَن مَكنَسِ [3]

فَهُوَ فِي حرٍّ وخفقٍ مِثْلما لعِبَتْ ريحُ الصَّبا بالقَبَسِ

يَا بُدورًا أطلَعتْ يَومَ النَّوى غررًا تسلكُ في نَهجِ الغررْ

مَا لِعَيني وَحْدها ذَنْبٌ سِوى مِنكمُ الحُسنُ ومِن عَيني النَّظَرْ

أَجْتَنِي اللَّذاتِ مَكلومَ الجَوَى والتِذَاذِي مِن حَبيبي بِالفِكَرْ

وَ إِذَا أشْكُوه وَجدِي بَسَما كالرُّبى والعَارضِ المُنْبجِسِ

إذ يُقِيمُ القَطرُ فيه مأتَمًا وهيَ مِن بَهجَتِها في عُرُسِ

---

(١) الياء في قوله " مدعي " للإشباع .

(٢) هو: ابْن سهل الإشبيلي، أديب ماهر دوَّن شعره فِي مُجَلد، أسلم وَله قصيدة يمدح بهَا سيدنَا رَسُول الله (صلى الله عَلَيْهِ وَسلم) قبل أَن يسلم ، ولد سنة ٦٠٥هـ وتوفي ٦٤٩هـ ، وَكَانَ يقْرَأ مَعَ المُسلمين، وَمَا زَالَ ابْن سهل يخْتَلط مَعَ المُسلمين ويخالطهم إِلَى أَن أسْلَمْ. (انظر: الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، ٦/ ٥، والأعلام للزركلي، ٦/ ٢٣٥).

(٣) المكنس : ما يستتر فيه الظبي كالكناس .

مَـــن إذا أُمـــلِي عليـــهِ حُرَقـــي ... طَـــارَحَتْنِي مُقْلتَـــاهُ الـــدَّنَفا [1]

تَركَـــتْ أَجْفَانـــهُ مِـــن رَمَقـــي ... أَثَـرَ النَّمـلِ عَـلى صُـمِّ الصَّـفَا [2]

وَأَنَـــا أَشْـــكُرُهُ فِـــيمَا بَقـــي ... لَســـتُ أَلحـاهُ عَـــلى مَـــا أَتلَفَـــا

فَهُـــوَ عِنْـــدي عَـــادلٌ إِنْ ظَلَـــمَا ... ونَصِـــيحِي نُطقُـــهُ كـــالخَرَسِ

لَـيْس لي في الأمـرِ حُكـمٌ بَعـدَما ... حـلَّ مِـن نفسِـي محـلَّ الـنَّفَسِ

غالِـــبٌ لي غالِـــبٌ بـــالتُّؤدَهْ ... بـأبي أفْدِيـه مِـن جَـافٍ رقيـقْ

مَـا عَلمنَـا قَبـلَ ثَغـرٍ نَضَّـدَهْ ... أُقْحُوانًا عُصِـرتْ منـه رَحيـقْ [3]

أَخَـذتْ عَينـاهُ مِنـه العَربَـدهْ ... وفُـؤَادِي سُـكرُهُ مَـا إن يُفِيـقْ

فَـاحِمُ اللِّمـة مَعْسُـولُ اللَّمَـى ... سَـاحرُ الغُـنجِ شَـهِي اللَّعَـسِ [4]

وَجْهُهُ يَتْلُـو " الضُـحَى " مُبتَسِـمًا ... وَ هُـوَ مِـن إِعرَاضِـه في عَـبسِ [5]

أَيُّهـا السَّـائِلُ عـن جُرمِـي لدَيـه ... لي جَـزَاءُ الـذَّنبِ وهـوَ المـذنبُ

أَخَذتْ شمسُ الضُّحى من وجنتَيْهْ ... مَشـــرِقًا للشـــمسِ فيـــه مَغْـــرِبُ

ذَهَّبَـــتْ دمعـــيَ أَشـــواقِي إِلَيْـــهْ ... ولـــه خَـــدٌّ بلَحظـــي مَـــذهَبُ

يُنبِـــتُ الـــوَردَ بغَـــرسي كُلّـــما ... لحظتْـــهُ مُقلتـــي في الخُلَـــسِ

ليـــتَ شِـــعرِي أيُّ شَيءٍ حَرَّمـــا ... ذلـــك الـــوردَ عَـــلى المُغـــتَرِسِ

---

(١) الدنف : السقم والمرض .

(٢) الصفا : الحجارة الملساء.

(٣) الأقحوان : نوع من الزهر .

(٤) الغنج : الدل . واللعس : كون الشفة توشك أن تكون سوداء لشدة احمرارها .

(٥) العبس هنا : التجهم .

أَنفَــدَتْ دَمعِــي نَــارٌ بي ضرامْ تَلْتظــي في كــلِّ حِــينٍ مــا يشــا
هِــي في خَدّيــه بَــردٌ وســلامْ و هــي ضرٌّ وحريــقٌ في الحشــا
أَتَّقِــي مِنْــه عــلى حُكــمِ الغــرامْ أَســدًا وردًا وأهــواهُ رَشَــا [1]
قُلــتُ لَّــا أَنْ تَبَــدَّى مُعَلَــمًا وهــو مِــن ألحَاظِــهِ في حَــرَسِ [2]
أَيُّهَــا الآخِــذُ قَلبِــي مَغــنَمًا اجعلِ الوَصلَ مَكانَ الخُمُسِ [3]

جـ- موشحة لسان الدين بن الخطيب[4] التي يقول فيها:

جــادَكَ الغيْــثُ إذا الغيْــثُ هَمَــى يــا زَمــانَ الوصْــلِ بالأنــدَلُسِ
لمْ يكُــــنْ وصْــــلُكَ إلاّ حُلُــــما في الكَــرَى أو خِلسَــةَ المُخْــتَلِسِ
إذْ يقــودُ الــدّهْرُ أشْــتاتَ المُنَــى تنْقُــلُ الخَطْــوَ عــلَى مــا يُرْسَــمُ
زُمَــــراً بــــيْنَ فُــــرادَى وثُنَــــى مــثْلَما يــدْعو الوفــودَ المَوْسِــمُ
والحَيــا قــدْ جلّــلَ الــرّوضَ سَــنا فثُغُــورُ الزّهْــرِ فِيــهِ تبْسِــمُ

(١) الأسد الورد : الجريء . الرشا : الظبي إذا قوي ومشى مع أمه .

(٢) الفارس المعلم : من يتخذ علامة مميزة حتى لا يخفى .

(٣) المراد بالخمس هنا : خمس الغنيمة الذي يعطى للفقراء .

(٤) هو: محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب: وزير مؤرخ وأديب نبيل، ولد ونشأ بغرناطة ٧١٣هـ، واستوزره سلطانها أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل سنة ٧٣٣ هـ ثم ابنه محمد من بعده، وعظمت مكانته، وترك الأندلس إلى سبتة فتلمسان سنة ٧٧٣هـ ، وجهت إليه تهمة الزندقة وسلوك مذهب الفلاسفة، ويقال له : ذو العمرين؛ لاشتغاله بالتصنيف في ليله، وبتدبير المملكة في نهاره، ومؤلفاته تقع في نحو ستين كتابًا، منها: الإحاطة في تاريخ غرناطة، توفي ٧٧٦هـ. (انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ٥/ ٧٥، وما بعدها، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت – لبنان).

ورَوَى الـنّعْمانُ عـنْ مـاءِ السّـما كيْـفَ يـرْوي مالِـكٌ عـنْ أنـسِ
فكَسـاهُ الحُسْـنُ ثوْبًـا مُعْلَـما يَزدَهِـي مِنـهُ بِـأبهَى مَلـبَسِ
في لَيـالٍ كتَمَـتْ سرَّ الهَـوى بالـدُّجَى لـوْلا شُـموسُ الغُـرَرِ
مـالَ نجْـمُ الكـأسِ فيهـا وهَـوى مُسْـتَقيمَ السَّـيْرِ سـعْدَ الأثَـرِ
وطَـرٌ مـا فيـهِ مـنْ عيْـبٍ سِـوَى أنَّـه مَـرَّ كَلَمـحِ البَصَـرِ
حـينَ لـذّ الأنْـسُ مَـع حُلْـوِ اللّمَـى هجَـمَ الصُّـبْحُ هُجـومَ الحـرَسِ
غـارَتِ الشَّـهْبُ بِنـا أو ربّـما أثّـرَتْ فيهـا عُيـونُ النّـرْجِسِ
أيُّ شيءٍ لامـرِئٍ قـدْ خلَصـا فَيكـونُ الـرّوضُ قـد مُكِّـنَ فيـهْ
تنْهَـبُ الأزْهـارُ فيـهِ الفُرَصـا أمِنَـتْ مـنْ مَكْـرِهِ مـا تتّقيـهْ
فِـإذَا المَـاء تَنَـاجى والحَصَـا وخَـلا كُـلَّ خَليـلٍ بأخيـهْ
تُبصِـرُ الـورْدَ غَيـورًا بَرمـا يَكْتَسِـي مِن غَيْظِـهِ مَـا يَكْتَسِـي
وتَـرى الآسَ لبِيبًـا فَهـما يَسْـرِقُ السّـمْعَ بِـأذنَي فَـرَسِ
يـا أَهَيْـلَ الحـيّ مـنْ وادِي الغضـا وبقلْبـي مسْـكَنٌ أنْـتُمْ بـهِ
ضاقَ مِنْ وجْدي بكُمْ رَحْبُ الفَضـا لا أبـالِي شرْقَـهُ مـنْ غَرْبِـهِ
فَأَعِيـدُوا عهْـد أنـسٍ قـدْ مَضَـى تُعْتِقـوا عـانِيكُمُ مـنْ كرْبِـهِ
واتّقـوا اللهَ وأحْيُـوا مُغْرَمـا يتَلاشَـى نفَسًـا في نفَـسِ
لمْ يـدَعْ في مُهْجَتـي إلا ذَمـا كبَقـاءِ الصُّـبْحِ بعْـدَ الغلَـسِ
سـلّمي يـا نفْـسُ في حُكْـمِ القَضـا واعْمُري الوقْتَ برُجْعَى ومَتـابْ
وَدَعـي ذِكـرَ زمـانٍ قَـدْ مَضَـى بَـينَ عُتبى قَـدْ تَقَضَّـتْ وَعِتَـابْ

واصْرِفِ القَـوْلَ إلى المَـوْلَى الـرِّضَى فلَهُـم التّوفِيـقُ في أمِّ الكِتـابْ
الكَـريمُ المُنْتَهَـى والمُنْتَمَـى أَسَـدُ السِّـرح وبَـدرُ المَجلِـسِ
يَنْـزِل النَّصـرُ عَليـهِ مِـثلَمَا يَنـزِلُ الـوحيُّ بـرُوحِ القُـدسِ
مُصْـطَفَى اللهِ سَـميُّ المُصْـطَفَى الغَنـيُّ بـاللهّ عـنْ كُـلِّ أحَـدِ
مَـنْ إذا مـا عقَـدَ العهْـد وَفَى وإذا مـا فَـتَحَ الخطْـبَ عقَـدْ
مِـنْ بَنـي قـيْسِ بْـنِ سـعْدٍ وكَفـى حَيثُ بَيتُ النَّصـرِ مَرفُوعُ العَمَـدْ

وكان ابن الخطيب قد أنشأ هذه الموشحة إبان إقامته في المغرب ، بعد أن دُسَّت له الدسائس، واضطر مكرهًا إلى مفارقة الأندلس إلى فاس، فاشتد شوقه وحنينه إلى مرتع صباه ومبنى أمجاده بالأندلس، فكتب هذه الموشحة، واستهلها بطلب السقيا للزمان الذي مضى، زمن الوصال المرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمكان الذي إليه حنينه وهـو الأندلس "يا زمان الوصل بالأندلس"، وهو الزمن الذي مر كأنـه حلم أو خلسة اختلسها الشاعر، ذلك الزمن الذي كان الدهر فيه يقود الأماني حيث يريد الشاعر، وحيث يرسم الخطو الذي تسير عليـه هذه الأماني، فقد كانت الأمور كلها توحي بالبهجة حتى الطبيعـة حيث الربيع الطلق المعبر عنه بكسوة المطـر الريـاض كسـوة خضراء زاهية، تتلألأ فيها شقائق النعمان، وتبتسم ثغور الزهر "فثغور الزهر منه تبسم".

غير أنه يعود إلى ما آل إليه حاله من كدر بعد صفو، وعسر بعد يسر ، فيضيفه على النص، ويؤكد أنها طبيعة الحياة التـي لا تعطي عطاء خالصًا

دون كدر "أيُّ شيء لامرئ قد خلصا"، فإذا هذه الطبيعة التي كانت صافية باسمة أيام صفوه ووصاله تلبس ثوب الحساد والشانئين ــ مجاراة لحاله ــ فإذا تنــاجى المــاء والحصى وخلا كل خليل من الزهر بخليله، رأيت الورد غيورًا مغيظًا مبرمًا " يكتسي من غيظــه ما يكتسي"، ورأيـــت الآس متجسسًا يسترق السمع لينقل الأخبار و يفسد العلاقات.

فقد استطاع الشاعر أن يصبغ الطبيعة بألوان مشاعره في حاليه: نعيمه وبؤسه، فيراها طلقة ضاحكة صافية أيام مجده وزمن إقامته بالأندلس، ويراها متجهمة تلبس ثوب الغيرة والحسد أيام بؤسه وإقامته بالمغرب، مما يدعم صدق تجربته، ويؤكد مدى انعكاس الحالة النفسية للشاعر على نصه.

٢- الموشح الأقرع، ونختار له موشحة أبي بكـر بـن زهـر التـي يقـول فيها:

يَا صَاحِبي نِـداء مُغتَـبِطٍ بِصـاحِب
لله مَــا أَلقــاهُ مِــن فَقــدِ الحَبائِــب
قَلبٌ أَحَاطَ بِهِ الهَوى مِن كُلِّ جانِب
أَيُّ قَلبٍ هائِمٍ لا يَستَفيق مِن اللواح
أَنحى عَلى رُشدي وَأَعدَمَني صَلاحي
ثَغرٌ ثَنـى الأَبصـارَ عَـن نُـورِ الأَقـاحِ
يُسـقى بِمُختَلِطَـينِ مِـن مِسـكٍ وَراحِ
كَــالحَبــابِ العَائِـم في صَفحَةِ الماءِ القراحِ

مَــن لي بِــهِ بــدرًا تَجَــلّى بِــالظَّلام

عَلقــت مِــن وَجناتِــهِ بــدر الــتَمام

وَعَلِقتُ مِـن أَعطافِـهِ لَـدِنَ القَـوام

كَالقَضيبِ النــاعِـــمِ لَم يَستَطِع حَملَ الوِشاح

يَا مَنْ أعانقُـــــه بأَحنَـاءِ الضُّـلوع

وَأُقيمُه بَـدلًا مِـن القَلـبِ الصَّـديع

أَنَا للغَـرامِ وأنــتَ للحُسـنِ البَـدِيع

وَكَلامُ اللائِمِ شَيءٌ يَمرَّ مَـعَ الرِّيـاح

حَمَّلتَنــي فِي الحُــبِّ مَــا لا يُســتَطاع

وَجْدًا يُراعُ بـذِكرِهِ مَـن لا يُـــــراع

وَلَأنتَ أَجوَر مَن لَهُ أَمـــــرٌ مُطاع

وَمَـع أَنَّـكَ ظَالِـــــــــم أَنتَ مُنايَ وَاقتِـراحي[1]

* * *

(١) في بعض المصادر : أنت هو سؤلي واقتراحي .

المبحث العاشر

مدرسة الديوان

المبحث العاشر
مدرسة الديوان

تكونت هذه المدرسة من العقاد[١] وزميليه: عبد الرحمن شكري[٢]، وإبراهيم عبد القادر المازني [٣]، في مواجهة مدرسة المحافظين ، فأخذوا يهاجمون شعراءها، وفي مقدمتهم: شوقي[٤] وحافظ والرافعي والمنفلوطي ،

---

(١) هو : عباس محمود العقاد، وُلد بأسوان سنة ١٨٨٩م لأسرة مصرية متوسطة، وقد أخذ يختلف – منذ نشأته الأولى– إلى "الكُتَّاب"، ثم إلى المدرسة الابتدائية، وتخرَّج فيها سنة ١٩٠٣م ، وكان من أعضاء المجامع العربية الثلاثة: دمشق والقاهرة وبغداد، وكانت وفاته سنة ١٩٦٤م. (انظر: من حديث لصاحب الترجمة في مجلة الاثنين ٢٩ يناير ١٩٤٥م، ومقال: عباس كما عرفته لعبد الله حبيب في جريدة الدستور ١٨ يناير ١٩٣٩م، وتراث مصر لعبد الرحمن زكي وعلي عبد الله القرعاوي، في جريدة الرائد (بجدة) ١٥ / ٤ / ١٣٨١هـ ، والأعلام للزركلي ٣/ ٢٦٦).

(٢) هو : عبد الرحمن شكري عياد، وُلد في أسرة مغربية الأصل لأب يُسمى محمد شكري عياد، كان في أيام الثورة العرابية يشتغل معاونًا في "الضابطية" بالإسكندرية، ثم عُين ضابطًا في معاونة محافظة القنال ببورسعيد ، وعين مفتشًا في التعليم من سنة ١٩٣٥ – ١٩٣٨م، وأحيل إلى المعاش سنة ١٩٤٤م، كان من دعاة التجديد في الأدب، مع المحافظة على صحة الأسلوب وقوة التعبير، أصدر سبعة دواوين من ١٩٠٩م-١٩١٩م ، وتوفي بداره في الإسكندرية ١٩٥٨م. (انظر: شعراء العرب المعاصرون، لأحمد زكي أبو شادي، ط١، ١٩٥٨م، ص٤١، والأعلام للزركلي ٣/ ٣٣٥-٣٣٦ وما بعدها).

(٣) هو: إبراهيم عبد القادر المازني، وُلد في القاهرة سنة ١٨٨٩م في بيئة متواضعة؛ إذ كان أبوه محاميًا شرعيًّا ولم يكن على شيء من الثراء، ونسبته إلى (كوم مازن) من المنوفية بمصر، وتخرج بمدرسة المعلمين، واشتغل بالتدريس، ثم الصحافة. وهو أديب مجدد، من كبار الكتاب ، وكان من أبرع الناس في الترجمة عن الإنجليزية، ونظم الشعر، ووفاته بالقاهرة سنة ١٩٤٩م. (انظر: مذكرات المؤلف، مجلة الحرية – بغداد – نيسان ١٩٢٥م، ونماذج بشرية للدكتور محمد مندور، ص ٧٦، ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر، وملامح وغضون صور خاطفة لشخصيات لامعة، لمحمود تيمور، ص ١٠٤ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٥٠م، والأعلام للزركلي، ١/ ٧٢.

(٤) هو: أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي: لقب بأمير الشعراء ، ولد بالقاهرة ١٨٦٨م وتوفي بها=

محاولين إزاحتهم عن قمة المجد التي احتلوها، وكان أكثر كتاباتهم شهرة وقسوة كتاب "الديوان في الأدب والنقد" الذي أصدره العقاد والمازني سنة ١٩٢١م، وإليه نسبت جماعتهم، فأطلق عليهم: جماعة الديوان، كما يطلق عليهم ـ أيضًا ـ شعراء الديوان، أو مدرسة الديوان.

ولكن الخلاف الذي نشأ بين شكري والمازني، وانحاز فيه العقاد إلى جانب المازني؛ أدى إلى فك عرى جماعة الديوان، فأخذ العقاد والمازني ينقدان "شكري" ويخطئانه.

وقد كان العقاد أقوى الثلاثة عزيمة وأطولهم نفسًا في الدفاع عن هذه المدرسة، فشكري كان يحب العزلة، ويتجنب الأضواء، والمازني انصرف إلى الصحافة، وآثر كتابة القصة والمقال الصحفي، فبقي العقاد وحده يدافع عن مذهبه وينافح أكثر من خمسين عامًا، وقد تتلمذ على يديه بعض الأدباء الذين كانوا بمثابة امتداد لهذا الاتجاه بعد عمده الثلاثة الأُوَل، ومن هؤلاء الأدباء: محمود عماد، وعبد الرحمن صدقي، وطاهر الجبلاوي، وغيرهم.

وقد دعا شعراء هذه المدرسة إلى الشعر الوجداني، وإلى التعمق في تناول المعنى، والاستقصاء في عرض الفكرة حتى يصل الشاعر إلى أعماق الحقيقة وجواهر الأشياء، وأن يكون الشعر إنسانيًّا يتسع للمعاني الإنسانية،

= سنة ١٩٣٢م ، لقب بشاعر الحضرة الخديوية ، عين رئيسًا للقلم الإفرنجي في ديوان الخديوي عباس حلمي ، وندب سنة ١٨٩٦م لتمثيل الحكومة المصرية في مؤتمر المستشرقين بجنيف ، وعُيِّنَ عضوًا بمجلس الشيوخ إلى أن توفي . (انظر: الأعلام للزركلي ١/ ١٣٦، والشوقيات ، ص ٩٥ ، ٩٦، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ٢٠١٢م .

ولأسرار الطبيعة وخفاياها، ولا يقتصر على الناحية النفسية التي ينفعل بها وجدان الشاعر وعاطفته ، واحتفوا بالأخيلة والصور الجديدة ، وتبنوا قضية الوحدة العضوية، ودافعوا عنها دفاعًا كبيرًا، فالشعر – عندهم – يقاس بمقاييس ثلاثة:

١ – أن الشعر قيمة إنسانية قبل أن يكون قيمة لفظية ، فيحتفظ الشعر بقيمته إذا ترجم إلى لغة من اللغات .

٢ – أن الشعر تعبير عن نفس صاحبه ؛ فالشاعر الذي لا يعبر عن نفسه صانع وليس ذا شخصية أدبية .

٣– أن القصيدة ذات بنية حية ، وليست أجزاء متناثرة يجمعها الوزن والقافية.

غير أنهم لم يستطيعوا ـ في مجال التطبيق ـ الوفاء بكل ما تطلبوه في العمل الشعري من مقاييس، وبخاصة الوحدة العضوية التي تتطلب أن تكون القصيدة كجسد الإنسان ، بحيث لا تستطيع أن تقدم بيتًا أو تؤخره ، ولا تستطيع أن تزيد بيتًا أو تنقص آخر ، ولو فعلت لاختل بناء القصيدة وانهار بنيانها .

فالعقاد – وهو رأس الدعاة إلى هذه الوحدة – حين أعاد نشر ديوانه سنة ١٩٢٨م أجرى تعديلًا في بعض قصائده ، فبدّل وزاد ونقص، ومن القصائد التي أعاد النظر فيها على هذا النحو: الشاعر الأعمى ، الحب الأول، كوكب الأقيانوس ، سباق الشياطين ، رثاء طفلة ، الكروان ، صورة

الحبيب ، الحمام، إلى ربة الشعر، حظ الشعراء ، أحلام الموتى ، الحبيب الثالث ، زماننا ، العقل والعواطف.

ومن نماذج شعر هذه المدرسة ما يلي :

(أ) قول المازني في قصيدته ظمأ النفس إلى المعرفة[1]:

أُحِسُّ كَأنَّ الدَّهرَ عُمري وأَنَّني ... أَخُو مُغرِقِ الأَرَضِين بِالفَيَضَانِ

أُقَلِّبُ طَرْفِي في السَّمَاءِ كَطَرفِه ... وَأَرصُدُ مَا رَاعَاهُ قَبلَ زَمَانِي

كِلَانَا عَلى بُعدِ المَسَافَة بَينَنَا ... تَلَاقَى عَلى أَلحَاظِهِ القَمَرَانِ

وَأَقْرَأُ فِي صُحُفِ السَّماواتِ أسْطُرًا ... بِهِنَّ دُنًا خَفَّاقَةُ اللَّمَعَانِ

اتَّخَذتُ فَضَاءَ الله مَثوًى لخاطِرِي ... لِيشْرُدَ في الدُّنيا بغَيرِ عَنَانِ

يَمُرُّ بِه مَرَّ البُرُوقِ ويَنثَنِي ... وَقَدْ جَهَدتْهُ حِدَّةُ الطَّيَرانِ

أُعَالِجُ سِرًّا لا يُمَاطُ حِجَابُهُ ... ومَأربُ قَلبِي ذَلِكُم وجِنَانِي

وسِعْتُ لُغَاتِ الرِّيحِ والبَحرِ خِبرةً ... وكُلَّ شِهَابٍ لَامِعِ الخَفَقَانِ

ولَكِنَّه مَا خَيرُ عِلمِيَ وَكُلُّهَا ... ضمُومٌ عَلى السِّرِ المُغيَّبِ حَانِي

سَئِمتُ شُرُودَ الفِكرِ فِي غَامِضِ الفَضَا ... وَهيضَ جَنَاحَاهُ مِن النَّهضَانِ

وَعَادتْ إليَّ النَّفسُ مَهْدُودةَ القُوَى ... تَئِنُّ مِن الإسفَافِ وَالشولَانِ

تَحِن إلى ظِلٍّ مِن الرَّخوِ وَارِف ... وَطُول جِمامٍ رَافَه وَلِيانِ

وَمَن لِي بَأن لَا تَرفَع العينُ لحظَهَا ... وَلَا تجتلي في النَّاسِ أَيَّ هَوانِ

غَرضتُ بمُلكٍ وَاسِعٍ لا يَحُدُّهُ ... سِوىَ أُفُقٍ دَانٍ وَلَيسَ بدانِ

---

(١) ديوان إبراهيم عبد القادر المازني، ٢ / ١٧٣، ط مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، سنة ٢٠١٢م.

أَرُونِيَ قَيـدًا يُعـرقُ الجِسـمَ مسُّـه ويُضوَى كأضـلاعٍ عـليَّ حَـوانِ

وقوله من قصيدته الإنسان والغرور[1]:

أَقمْ وَادِعًا واصبرْ عَلى الضَّيمِ والأذَى فإنَّـكَ إنسَـانٌ وجـدُّكَ آدمُ

وَهَبكَ عَلى الدُّنيا سخطت وظلمها أَتملِكُ دفـعَ الظُّلـمِ والظُّلـمُ لَازمُ!

بَنـي آدَمَ مـا للغـرورِ رَمَـى بكُـمْ مَرامِيَـه حتَّـى غَـدَا وهْـو حَـاكمُ

تَظُنُّونَ أنَّ الأرضَ قَد بُسطتْ لكُـم ومِن أجلِكُم تَجرِي الغَمَامُ الـرَّوائِمُ

وأنَّ النُّجـومَ الزُّهْـرَ عُلِّقـنَ زِينَـةً تَقـرُّ بهَـا الألحـاظُ وهْـي هَـوَائمُ

فَـمَا لكُـمُ لا تَنظِمُـونَ نَثِيرَهَـا فَيُصبِح مِنْهَـا حُلِـيُّكُمْ والـتَّمَائِمُ؟

وقوله من قصيدته محاسبة النفس[2]:

أَضَـعتُ شَـبَابي بَـينَ حُلـمٍ وَغَفلَـةٍ وأَنفَقتُ عُمري في الأمَـانِي الكَوَاذبِ

وَلَم يَبقَ لي شَيءٌ وقَـد فَـاتَنِي الصِّبَـا وَأدبَر مِثل السَّهمِ عَن قوسِ ضَاربِ

تَعُودُ الغُصونُ الصُّفرُ خُضرًا وَرِيفَـةً مُرَنحَـةً بَعـدَ الـذوَى والمَعَاطِـبِ

وَلَيسَ لما يَمضِي- مِـنَ العُمـرِ مَرجِـعُ وَلا فُرصَـة فَاتَـتْ لَهَـا كـرُّ آيـبِ

بَـلَى زَادَ في عِلمِـي وَفَهمِـي وفِطنَتِـي وَحلمِي أن جَرَّبتُ بعضَ التَّجَـارِبِ

وَلَكـنَّ في عَزمِـي فُلُـولًا كَثِـيرةً تُغَادِرُني في العَـيشِ طَـوعَ الجَـوَاذِبِ

وَمَـا خَـيرُ عِلـمٍ في الحَيَـاةِ وفِطنَـةٍ إِذَا حَالَ ضَعفُ العَزمِ دُونَ المَطَالِـبِ

---

(١) ديوان إبراهيم عبد القادر المازني ، ٢/ ١٨٧.

(٢) ديوان إبراهيم عبد القادر المازني، ٢/ ٢٠٧.

كَـأنَّ لنَـا عُمـرَينِ عُمـرًا نُرِيقُـهُ وآخـرَ مَـذخُورًا لنَـا في المَغَايِـبِ
أَلَا لَيـتَ عُمـرَ المَـرءِ يُـرفَى كثَوبِـهِ وَيُرقَـعُ مِنـه جَانِـبٌ بَعـدَ جَانِـبِ

(ب) قول عبد الرحمن شكري من قصيدته الشعر والطبيعة[1]:

إِذا غنَّتِ الأطيارُ في الأَيكِ صـدَّحًا تَغنَّـتْ لأشـجَانِ الفُـؤادِ طيـورُ
ولِلـرِّيحِ هبـاتٌ ولِلـنَّفْسِ مثلهـا تُغَنِّـي رُخـاء فِـيهِمَا ودبـورُ
ومَا الشِّعرُ إِلا القلبُ هَـاجَ وجيبُـه ومـا الشِّـعرُ إِلّا أنْ يثـيرَ مثـيرُ
نَرى في سَـماءِ الـنَّفسِ مَـا في سَـمائِنَا ونُبصِـرُ فيهَـا البَـدرَ وهْـو مُنِـيرُ
وَمَا الـنَّفسُ إِلّا كالطبيعـةِ وجهُهَـا رِيـاضٌ وأضـواءٌ بهـا وبُحـورُ
وَفيهـا صُرَاخُ الـيمِّ إِن مَـاجَ موجُـهُ وفيهـا خَريـرٌ خَافِـتٌ وغَـديرُ
وَليـلٌ وإِصـباحٌ لهـا وكَواكِـبُ تَسـيرُ بآفـاقٍ بهَـا وتَـدُورُ
إِذَا كُنـتُ في رَوضٍ فقلبـيَ طَـائرٌ يغنِّـي عَـلى أغْصَـانِهِ ويَطـيرُ
وإِن كُنتُ فوقَ البحرِ فالقلبُ موجـةٌ تَسـرَّبُ في أمواجِـه وتَسـيرُ
وإِن كنتُ فوقَ الشَّم فالقلبُ نسـرُها وللنسـرِ في شـمِّ الجبـالِ وكـورُ
وتَنْثُـرُ أغصـانُ الخريـفِ زهورَهـا كما جَادَ بالشِّـعْرِ الجليـلِ شـعورُ
فَيا قومُ ما للجهـلِ مِـلء عُيُـونِكُم ألسـتُم تَـرونَ الـدَّائراتِ تَـدورُ!
لَبسـتُم عَـلى الأيَّـامِ ثَـوبَ مَذلـةٍ فَكيفَ بِنَضْوِ الثوبِ وهْو نَضيرُ؟
إِذا صَاحَ ذاكَ العَيرُ فِـيكُم صِـياحَه طَـربتُم وقُلـتُم شَـاعرٌ وكَبـيرُ
وَيُـزعجُكم أنَّ الطُّيـورَ صَـوادِحُ ويُطـربُكُم أنَّ الغِنَـاءَ نَعِـيرُ

(١) ديوان عبد الرحمن شكري، تقديم: فاروق شوشة، ص ٢٦٠، ط المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٥٨م.

أصابَ ذَكَائِي مِـنكُمُ بَـردُ طَـبْعِكُمْ ... وأطفـأَ مِنِّـي القلـبَ وهْـو قَـدِيرُ
وَيَصدَأ طَبْعِي فِي خَبِيـثِ هَـوَائِكُم ... وجـــوُّكُمُ بالـــدَّاهِياتِ يَمُـــورُ
فَـلَا تَحسـبُوا أنِّي أَقُـولُ لِتسْـمعُوا ... ولا أنَّ مِــثلِي بــالقُنُوطِ جَــدِيرُ
وَمَاذَا يُفيدُ الشِّـعرُ والقلـبُ مَيـتٌ ... وَهلْ للنُّفوسِ الهَامِـدَاتِ نُشُـورُ!
إِذَا كَان يُحْيِي الشِّعرُ نفسًـا مريضـةً ... فَهَيْهَاتَ تحيا النَّفسُ وهْي قَبُورُ!

وقوله من قصيدته: شاعر يحتضر[1]:

أَأَلقَــى المَــوتَ لمْ أنبــه بشِــعرِي ... ولمْ يعلمْ سَـوادُ النَّـاسِ أَمـرِي؟
وفي نَفسِـــي مِــن الأَبَــد اتِّســاقٌ ... تَــدورُ الكائِنَــاتُ بهَــا وتَجـرِي
فمَــنْ للقلــبِ يَطرِبُــه بلَحــنٍ ... يَحــنُّ إِليــه مِــن نَظــمٍ ونَثْــرِ؟
ومَــنْ للكــونِ يَرْمقُــهُ بِفكــرٍ ... شَـبِيه الكَـونِ في سَـعةٍ وقَـدْرِ؟
ومعنَى الخُلدِ يَصغُرُ عِنـدَ نَفسِـي ... يُضِـلَّ الخلـدَ في أنحَـاءِ فِكـرِي
إِذَا ظَمِـــئ الفُـــؤادُ إِلى كَـــمالٍ ... رَأى طُـولَ الخُلُـودِ كقَيْـدِ شِـبْرِ
رأيـتُ النَّـاسَ مثـل البَحـرِ لُجًـا ... وكَم في البَحرِ مِـن صَـدَفٍ ودُرِّ
هِـي الأقـوامُ كـالأمواجِ تَعلُـو ... كَذاكَ المَوجُ يَسـفِلُ حِـينَ يَجـرِي
صَحَوتُ مِن المَعِيشَـةِ بَعـدَ سُـكرٍ ... فيَا لَهَفِـي عَـلى نَشـوَاتِ سُـكرِي
شَرِبتُ الحُلوَ مِن كَاسَاتِ دَهـرِي ... كَذاكَ المُـرّ مـن كَاسـاتِ دَهـرِي
وحَـــالَاتِ البَقَـــاءِ لَهَـــا خمـــارٌ ... عَـلى طعْمَيْـهِ مِـن حُلـوٍ ومُـرِّ
فحَـالاتُ الســرورِ لهـا عقـارٌ ... ولـــلأَرزَاءِ فينَـــا كـــأسُ خَمـــرِ
وكَـــانَ الجَهـــلُ لي عِيـــدًا فَـــولَّى ... فَيَا شَوقِي إِلى جَهـلَاتِ عُمـرِي!

(١) ديوان عبد الرحمن شكري، ص ٢٦٩.

وأَعَقَبــتُ التَّسَــاؤلَ والتَّقَصِّــي وَمَـا في ذَاكَ مِـن غَـبنٍ وخُسـرِ
فَمَــن لي بالسَــكِينَة في حَيَــاةٍ أَعَالِجُهَــا كَــأَنِّي رَهــنُ أسْرِ؟
ظَمِئــتُ إِلى الكَــمَالِ فلــمْ أَنَلْــهُ وذُقــتُ اليَـأسَ في صِـلةٍ وهَجْـرِ
وعَالجــتُ العَواطِـفَ هَائجَـاتٍ هيـاجَ النَّـارِ مِـن لَهَـبٍ وجَمْـرِ
وجمَّلــتُ الحَيَــاةَ بِــنظمِ شِــعرٍ شَـبِيه الضَّـوءِ في الأُفُـقِ الأغـرِّ
قَصَــائِدُ نَــيِّراتٌ خَالــداتٌ خُلُودَ النَّجمِ مِـن شُـهبٍ وزَهْـرِ

(ج) قول عباس العقاد من قصيدته: كأس الموت[1]:

إِذَا شَــيَّعُوني يَــوم تُقضَــى مَنيَّتِـي وقَــالُوا أَرَاحَ اللهُ ذَاكَ المُعــذَّبا
فَــلَا تَحمِلُــوني صَــامِتينَ إلى الثَّــرى فَــإِنِّي أخَــافُ اللَّحــدَ أن يَتَهيَّبَــا
وَغَنُّــوا فــإنَّ المَــوتَ كَــأسٌ شَــهيَّةٌ وَمَــا زَالَ يَحلُــو أنْ يُغَنَّــى ويُشــربا
وَمَا النَّعشُ إلا المَهدُ مَهدُ بنِي الـوَرَى فَــلَا تُحزِنُــوا فِيــهِ الوَلِيــدَ المُغيَّبَــا!
وَلَا تَــذكُرُونِي بالبُكَــاءِ وإنَّــما أَعِيدُوا عَلى سَمعِي القَصِيدَ فَأَطرَبا

وقوله من قصيدته الزهر الناعس[2]:

يَــا زَهْــرُ مَــا لَــكَ لَا تُجِيــبْ بِــالْعِطْرِ رُوحًــا مَــا ابْتَعَــدْ
قَــدْ نِمْــتَ عَــنْ رُوحِـي الْحَبِيــبْ مَــا النَّــوْمُ عَــنْ حُبِّــي رَشَــدْ
يَــا زَهْــرُ هَــلْ يُغْنِــي الْخَيَــالْ عَــنْ نَفْــحِ عِطْــرٍ سَــاحِرِ
يَــا زَهْــرُ هَــلْ يَــدْرِي الْجَــمَالْ إِلّا فُــــؤَادُ الشَّــــاعِرِ

(١) ديوان من الدواوين لعباس محمود العقاد ، جمع العقاد في هذا الديوان مجموعة مُنتقاة من أشعاره التي سبق أن نُشرت في دواوين ، ص ٧٠ ، ط نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، يناير ٢٠٠١م .

(٢) ديوان من الدواوين ، ص ٧٥.

فِـــيمَ النَّعَـــاسُ أَيَـــا حَبِيبِـــي ... وَالْقَلْـــبُ يَرْقُـــبُ يَقْظَتَـــكْ
هَـــلْ صِرْتُ عِنْـــدَكَ كَالْغَرِيـــبِ ... أَمْ شَـــاقَ غَـــيْرِي مُهْجَتَـــكْ
غَـــيْرِي يَشُـــمُّكَ ثُـــمْ يُلْقِـــي ... بِـــكَ نَاسِـــيًا حَتَّـــى الجَمِيـــلْ
أَمَّـــا أَنَـــا فَيَصُـــونُ شَـــوْقِي ... لَـــكَ كُـــلَّ مَعْنَـــاكَ الْجَمِيـــلْ
مَـــا لِي ظَمِئْـــتُ وَقَـــدْ سُـــقِيتْ ... مَـــا لِي اكْتَأَبْـــتُ بِنَشْـــوَتِي
مَـــا لِي فَنِيـــتُ وَقَـــدْ حَيِيـــتْ ... مَـــا لِي أَخَاصِـــمُ نِعْمَتِـــي
أَوَكُـــلَّ هَـــذَا مِـــنْ سُـــلُوِّكْ ... يَـــا نَـــائِمًا عَنِّـــي هَنِيًّـــا
عِطْـــرٌ وَلَـــوْنٌ مِـــنْ حُنُـــوِّكْ ... لَوْلَاهُمَـــا مَـــا كُنْـــتُ شَـــيًّا

وقوله من قصيدته: على النيل [1]:

لَـــذَّ المَطَـــافُ بجنَّـــةِ المُصـــطَافِ ... وصَفَا اللِّقَاءُ عـلى النَّمـيرِ الصَّـافِي
وحَـدَا الخَرِيـرُ بِنَـا فَكـانَ حِـدَاؤهُ ... نِعـمَ الغِنَـاءُ لنَـا عَـن المِجـذَافِ
لَـبَس الظّـلَامُ مِـن الضِّـياءِ غُلَالـةً ... فَكَأَنَّـــهُ خَـــافٍ ولـــيسَ بخَـــافِ
وَالبَـدرُ مُنفَـرِدُ الجَلالـةِ سَـادِرٌ ... مُتَنَقِّـــلٌ كَالنَّـــاعِسِ الطَّـــوَّافِ
رَطبُ الجَبِينِ سَرتْ حَـلَاوةُ وجهِـهِ ... في الرَّوضِ بَينَ رُبَـى وَبَـينَ نُطَـافِ
أَضـفَى عَـلى تَلْعَاتِهَـا وَوِهَادِهَـا ... حُلَـلًا تَكَـادُ تخـفَ بالأَعْطَـافِ
وَالنُّـــورُ في الـــدُّنيَا وإِن لمْ يُبْـــدِها ... حَسبُ النَّواظِرِ مِـن شُـهودٍ كَـافِ
إِيهًـا أَبَـا الأَنهَـارِ فَوقَـكَ شَـادِنٌ ... يَشفِي الغَلِيلَ وأنتَ لَسـتَ بِشَـافِ
فِرعَـونُ لمْ يَحمِـلْ علَيـكَ نَظِـيرَهُ ... والبَحـرُ لمْ يُحْـرِزْهُ في الأَصْـدَافِ
أَوفَى عَلينَـا مِـن سَـماءِ جَمَالِـهِ ... فَـاحلَمْ بِطلعَتِـهِ ومَـاؤُكَ غَـافِ
واحفَظْ لَدَيكَ وَدِيعَـةً مِـن صَـفوِنَا ... مَأْنُوسَـةَ الـذكراتِ وَالأَطيَـافِ

---

(١) ديوان العقاد، ص٢٩-٣٣، ط مطبعة المعاهد، ١٣٣٩هـ- ١٩٢١م.

سَـيطولُ أَيَّـامَ الصُّـدودِ سُـؤَالُنا ... لَـكَ عَـن مَواقِـعِ هَـذهِ الأَلطَـافِ
إِنِّي سَعِدتُ بقدرِ مَـا استَرجعتَ لِي ... يَا نِيـلُ مِـن حقـبٍ ومـن أَسْـلَافِ
دَهـر قَـد انبَسَـطتُ عَلَيـهِ سَـاعَةً ... فَاسـتَأنَفته أَحسَـنَ اسـتِئنَافِ
وَصَـلتَ حَـديثَ زَمَانِنَـا بِقَدِيمِـه ... وَصـلَ الصَّـحِيفَةِ نَـائِيَ الأَطـرَافِ
وَبَـدتْ لنَـا صُـورُ العصُـورِ كأَنَّهَـا ... رَسـمٌ عَـلى النَّيـلِ المُقَـدَّسِ طَـافِ
فِي حُسنِ وَجهِـكَ للضَّـمَائِرِ شَـاغِلٌ ... عَـن أَحـرُفٍ تَشـدُو بهَـا وَقَـوَافِ
لَـو لَمْ تَكُـن عَينِـي تَـرَاكَ لَأَثبَتَـتْ ... أَذُنِي جَمَالَـكَ فِي صَـمِيمِ شِـغَافِي
فَبِكُـلِّ جَارحَـةٍ لِحُسـنِكَ مَسـلَكٌ ... يُعطِـي النُّفُـوسَ عَطيَّـةَ الإِسرَافِ
نَاظِرِ بِواضحكِ الطّبيعَـة يَنكَشِـفْ ... مَـا كَـان مُنطَويًـا عَـن الكشَّـافِ
وَاجعَلْ رِدَاءَ صِـبَاكَ شِـعرًا خَالِـدًا ... تَصِـيحُ لَـه الآبَـادُ يَـومَ زِفَـافِ
مَـا الشِّـعرُ مِـرآةٌ تُصَـوِّر مَـا تَـرى ... وَتُعِيـدُ صَـفحَتَهَا طِـلاءَ غُـلَافِ
الشِّـعرُ صُـورةُ كـلِّ مَعنًـى دَائـمٍ ... عَـالٍ عَـلى التَّبـدِيلِ والإِعصَـافِ
وَهُـو الحَيَـاةُ تَظَـلُ حَبَّـةُ غَرسِـهَا ... شتَّى الغُـرُوسِ غَزِيـرَةَ الأَخـلَافِ
مِـن نَظـرَةٍ لـك لا تـزال نَـوَاظِرِ ... فِي النَّاسِ تَقطُفُ منْـكَ أَيَّ قِطـافِ
فارِبَـأ بحُسـنِكَ أَنْ يَكُـونَ كحبـةٍ ... خَضْـراءَ مُلقَـاةٍ لِيـومِ جَفَـافِ
يَا مَن عَرَفتَ الجُـودَ كَيـفَ وَجَدَتَـهُ ... بَعـدَ اشـتِبَاهِ الجُـودِ بالإِسـفَافِ
لَا تَخـشَ إِلحَافًـا عَلَيـك فَـمَا نَـرى ... ضَـوءَ النَّهـارِ يَزيـدُ بالإِلحَـافِ
فَـامنَحْ قَلِيلَـكَ كَـلَّ حِـينٍ مِنحِـةً ... يَبـقَ الكَثـيرُ وَراءَ الاسـتِنزَافِ
واعجَـب لِقَصـدٍ فِي الغَـرَامِ يَسُـنُّه ... قَلـبٌ يَبِيـعُ العُمـرَ بالسفسَـافِ
لَا تَبـذُلَنَّ لنَـا جَميـعَ رَجَائِنَـا ... فَتَـذُودَنَا عَـن غَيثِـكَ الوَكـافِ
مَن يَمنَحِ الشَّـيءَ الَّـذِي مَـا بَعـدَه ... مـنحٌ يكـنْ كالمَـانِعِ الصَّـدَّافِ

وقول العقاد في الحب إعطاء[1]:

لَا تَطلُبِ الحُبَّ بَينَ النَّاسِ تَأخُذهُ ... بَلْ فَاطلُبِ الحُبَّ تُعطِي مِنْهُ مَا تَجِدُ

أَشقَى البَرِيَّةِ مَن لمْ يُعنِه أَحَدٌ ... وَلَيسَ مَن كَانَ لَا يُعنَى بِه أَحَدُ

وقول العقاد في ألم اللذة ولذة الألم[2]:

إِذَا صَاحَتْ الأطمَاعُ فَاصبِرْ فَإِنَّهَا ... تَنَامُ إِذَا طَالَ الصِّيَاحُ عَلَى النَّهَمِ

وَقَهرُ الفَتَى آلَامُهُ فِيهِ لَذَّةٌ ... وَفِي طَاعَةِ اللَّذَّاتِ شَيءٌ مِن الأَلَمِ

وقول العقاد في الغنى والسعادة[3]:

لَا تَحسُدَنَّ غَنِيًّا فِي تَنَعّمِهِ ... قَد يَكثُرُ المَالُ مَقرُونًا بِه الكَدَرُ

تَصفُو العُيُونُ إِذَا قَلَّتْ مواردُهَا ... والمَاءُ عِندَ ازدِيادِ النِّيلِ يعتكِرُ

وقول العقاد في ما فوق الحياة[4]:

يا طَالبًا فَوقَ الحياةِ مَدًى لَهُ ... يَعلُو عَلَيهَا هَلْ بَلَغتَ مَدَاها؟

مَا فِي خَيالِكَ صُورَةٌ تَشتَاقُهَا ... إِلا وحَولَكَ لَو نَظرتَ تَرَاهَا

وَلَو استَويتَ عَلى الخُلودِ وجَدتهَا ... كُفُؤًا لِعَينِكَ لَا تَرُومُ سِوَاهَا

مدرسة الديوان وقضية الوحدة العضوية

وعندما نتحدث عن مدرسة الديوان فإننا لا يمكن أن نتجاوز القضية النقدية التي شغلت رواد هذه المدرسة، وهي قضية وحدة القصيدة.

---

(١) ديوان من دواوين، عباس محمود العقاد، ص ١٠ .

(٢) ديوان من دواوين ، ص١٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص٢٢ .

(٤) المرجع السابق، ص٢٩ .

وحدة القصيدة:

تُعدّ وحدة القصيدة من أبرز القضايا التي شغلت النقاد في العصر الحديث بصفة عامة ورواد مدرسة الديوان بصفة خاصة.

فقد ذهب بعض النقاد إلى أن مقياس الوحدة لم يعرفه نقاد العرب في نقدهم قبل عصر النهضة ، ووصفوا الأدب العربي في عصوره السابقة بفقدان هذا الأساس الذي عرفته الآداب الأجنبية، وحرص أدباؤها على توافره فيما يكتبون من قصص، وما ينظمون من شعر، ووصفوا القصيدة العربية بالتفكك؛ إذ تعددت فيها المعاني وكثر الانتقال من غرض إلى غرض[1].

والدكتور/ شوقي ضيف واحد ممن تبنوا هذه النظرية، فوصف القصيدة العربية بأنها مفككة الأوصال، تتألف من أبيات متجاورة متناثرة كأبيات الحي وخيامه، "فكل بيت له حياته واستقلاله، وكل بيت وحدة قائمة بنفسها، وقلما ظهرت صلة وثيقة بين بيت سابق ولاحق، وبذلك فقدت القصيدة وحدتها لا من حيث الموضوعات المتباينة التي تنتظم فيها فحسب، بل ـ أيضًا ـ من حيث الأبيات في الموضوع الواحد، فهي تتجاور مستقلًّا بعضها عن بعض[2].

ولا يكتفي بإعفاء القصيدة العربية من الوحدة العضوية أو الموضوعية، بل يذهب إلى القول بخلوها من الوحدة النفسية، فيقول: "وتمضي مع

---

(١) التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، د/ بدوي طبانة ، ص ٤١٩، ط مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م ، المطبعة الفنية.

(٢) في النقد الأدبي، د/ شوقي ضيف، ص ١٥٥، ط دار المعارف، الطبعة السابعة ، سنة ١٩٨٨م.

الزمن فإذا المحدثون العباسيون يحتكمون غالبًا إلى هذا النموذج القديم في صنع القصيدة، فهم يعدِّدون موضوعاتها، وهم لا يعنون بالربط النفسي بين أبيات الموضوع الواحد، بل يستمر لكل بيت استقلاله وانفصاله ، حتى أصبحت مقدرة الشاعر تقاس ببيت واحد جميل يصوغه في قصيدته ، وكانوا يسمونه بيت القصيد، فهو كل غايتهم وغاية النقاد من حولهم"[1].

وهذا القول يحمل في طياته تجنيًّا على القصيدة العربية وعلى النقاد العرب؛ أما القول بأن الشعراء كانوا لا يعنون بالربط النفسي بين أبيات الموضوع الواحد فمعناه أن الشاعر العربي لم يكن له هدف أو غاية محددة، وأنه كان ينظم ما يخطر له كيفما اتفق في جزئيات لا يضبطها شعور ولا تفكير.

وهذه الدعوى تسقط عندما نراجع القصائد العربية، ونحاول دراستها مرتبطة بحياة الشاعر وبيئته ونفسيته.

ومهما قيل في شأن الوحدة العضوية أو الموضوعية فلا يمكن بحال من الأحوال إعفاء القصيدة العربية من الوحدة الشعورية والربط النفسي.

وأما القول بأن البيت الواحد الجميل كان الغاية القصوى التي يسعى إليها النقاد فمردود بما روي عن هؤلاء النقاد من طلب التماسك والتلاحم بين أجزاء القصيدة ، فقد ذهب ابن قتيبة إلى أن من التكلّف أن نرى البيت مقرونًا بغير جاره ، واعتبر ذلك مناط المفاضلة بين الشعراء ، فروي عن عمر بن لجأ أنه قال لأحد الشعراء: أنا أشعر منك ، قال: وبم ذلك؟ فقال:

---

(١) في النقد الأدبي، د/ شوقي ضيف ، ص ١٥٥.

لأني أقول البيت وأخاه، ولأنك تقول البيت وابن عمه[1]، وهو عين كلام الجاحظ في "البيان والتبيين"[2].

وروي عن عبد الله بن سالم أنه قال لرؤبة: "مت يا أبا الجحاف إذا شئت، فقال رؤبة: وكيف ذلك؟ قال: رأيت ابنك عقبة ينشد شعرًا له أعجبني، قال رؤبة: نعم ولكن ليس لشعره قران. يريد أنه لا يقارن البيت بشبهه"[3].

وقد دعا ابن طباطبا الشاعر إلى "أن يتأمل تأليف شعره ، وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها؛ لتنتظم له معانيها، ويتصل كلامه فيها"[4].

ويرى أن أحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظامًا، يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله، فإن قُدِّم بيتٌ على بيتٍ دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطب إذا نقض تأليفها، فإن الشعر إذا أُسّس تأسيس فصول الرسائل القائمة بأنفسها، وكلمات الحكمة المستقلة بذاتها، والأمثال السائرة الموسومة باختصارها، لم يحسن نظمه، بل يجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها: نسجًا، وحُسنًا، وفصاحة، وجزالة ألفاظ، ودقة معانٍ، وصواب تأليف[5].

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ١/ ٩٠ .

(٢) انظر: البيان والتبيين للجاحظ ، ١ / ١٧٩ .

(٣) الشعر والشعراء لا بن قتيبة ، ١/ ٩١.

(٤) عيار الشعر، لمحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن (ت ٣٢٢هـ) ، ص ٢٠٩ ، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع ، ط مكتبة الخانجي – القاهرة .

(٥) المرجع السابق، ص٢١٣ .

ثم يأتي الحاتمي[1] فيشير إلى وحدة القصيدة إشارة أوضح، فيقول: مثل القصيدة مثل الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه في صحة التركيب غادر الجسم ذا عاهة تتخون محاسنه، وتعفي معالمه.

وقد وجدت حذّاق المتقدمين، وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذه الحال احتراسًا يجنبهم شوائب النقصان، ويقف بهم على محجة الإحسان حتى يقع الاتصال، ويؤمن الانفصال، وتأتي القصيدة في تناسب صدورها وأعجازها، وانتظام نسيبها بمديحها كالرسالة البليغة، والخطبة الموجزة، لا ينفصل جزء منها عن جزء[2].

فهل يمكن بعد ذلك أن يدَّعي أحد أن القدماء لا عناية لهم إلا بالبيت المفرد؟! وأن النظر إلى جملة القصيدة لم يكن من غاياتهم أو مقاصدهم؟! وعلينا أن نناقش من يتبنون هذه القضية في مفهوم الوحدة عندهم، فإن كان مرادهم أن تكون القصيدة بنية حية تامة الخلق والتكوين بحيث تندمج عناصرها، وتتحد أجزاؤها، وتبدو كلًّا مجمَّعًا لا أجزاء مبدَّدة، فهذا ما فطن

---

(١) هو: محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي ، أبو علي ، أديب من أهل بغداد نسبته إلى جد له اسمه حاتم ، له من الكتب : سر الصنعة في الشعر ، والحالي والعاطل في الأدب ، وغير ذلك ، توفي سنة ٣٨٨هـ . (انظر : الأعلام لخير الدين الزركلي ٦/ ٨٢).

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق ، ١/ ٢٤٥ ، وانظر: زهر الآداب، للحصري، ٣/ ٦٥١، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار الجيل- بيروت، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٢م.

إليه النقاد القدماء ودعوا إليه، وتابعهم في ذلك بعض النقاد المعاصرين[١].

أما إذا كان مرادهم أن تكون القصيدة كجسد الإنسان بحيث لا تستطيع أن تقدم بيتًا أو تؤخره، ولا تستطيع أن تزيد بيتًا أو تنقص آخرَ، ولو فعلت لاختل بناء القصيدة وانهال بنيانها، فإن هذا لا يكاد يتحقق إلا في ألوان معينة كالشعر القصصي، والمسرحي، والملحمي؛ فالوحدة العضوية في هذه الألوان تأتي طبيعية، تفرضها وقائع الأحداث، وتسلسلها، وترتيبها في الزمان والمكان، وبناء بعضها على بعض[٢]، على أن هؤلاء الذين نادوا بهذه الوحدة لم يستطيعوا أن يلتزموا بها، فالعقاد - وهو رأس الدعاة إلى هذا الاتجاه - حين أعاد نشر بعض أشعاره عدل فيها، فبدل، وزاد ونقص[٣]، على النحو الذي أسلفناه.

وخلاصة القول أني أعضد رأي القائلين بأن "الوحدة المطلوبة في الشعر إنما هي الوحدة الفنية لا الوحدة العضوية"، وبتلك الوحدة الفنية تتكامل القصيدة وتدب فيها الحياة[٤].

---

(١) انظر: قضايا النقد الأدبي الحديث، للأستاذ الدكتور/ محمد السعدي فرهود، ص ٩٦ وما بعدها.

(٢) قضايا النقد الأدبي الحديث ، ص ١١٧.

(٣) انظر: المرجع السابق ، ص ١١٨، فقد ذكر المؤلف أربع عشرة قصيدة قام العقاد بتعديلها، وهي: الشاعر الأعمى، الحب الأول، كوكب الأقيانوس، سباق الشياطين، رثاء طفلة، الكروان، صورة الحبيب، الحمام، إلى ربة الشعر، حظ الشعراء، أحلام الموتى، الحبيب الثالث، زماننا، العقل والعواطف، وانظر: ديوانه، ط ١٩٢٨م، مقابلة بطبعة ١٩١٦م.

(٤) اتجاهات النقد الأدبي، ص ٢٥٧.

ونعني بالوحدة الفنية ما يتحقق به تماسك القصيدة وترابطها لإعطاء الفرصة واسعة للمبدع أن يختار من الوحدة النفسية أو الموضوعية أو العضوية ما يراه محققًا للإبداع الذي يصبو إليه.

* * *

المبحث الحادي عشر

مدرسة أبوللو

المبحث الحادي عشر
مدرسة أبوللو

أبوللو هو اسم من أصل يوناني، مصدر الكلمة أبولون ، وحذفت النون للتخفيف، والتي تعني إله النور والفن والجمال عند اليونان في الأساطير، واتخاذ هذا الاسم يدل على التأثر بالثقافات الأجنبية عند رواد مدرسة أبوللو، وما تتبناه من اتجاه رومانسي يتصل بالتنمية الحضارية ومحبة الفلسفة وإقرار المبادئ الروحية والخلقية [1].

في سنة ١٩٣٢م قام الدكتور أحمد زكى أبو شادي بتكوين جماعة أدبية أطلق عليها "جماعة أبوللو" أو "مدرسة أبوللو" وكان من بين أعضائها: أحمد محرم[2]، وإبراهيم ناجي[3]، وعلي محمود طه، وكامل كيلاني، وعلي

---

(١) راجع : مجلة أبوللو ، العدد الأول ، سبتمبر ١٩٣٢م.

(٢) هو: أحمد محرم بن حسن عبد الله ، شاعر مصري ، حَسَن الرصف، ولد في إبيا من قرى الدلنجات بمصر سنة ١٨٧٧م، وتلقى مبادئ العلوم على يد أحد الأزهريين، وسكن دمنهور بعد وفاة أبيه، فعاش يتكسب بالنشر والكتابة، له ديوان محرم ، وديوان الإسلام ، أو الإلياذة الإسلامية في تاريخ الإسلام شعرًا، توفي ودفن بدمنهور ١٩٤٥م. (انظر: الأعلام للزركلي، ١/ ٢٠٢).

(٣) هو: إبراهيم ناجي، وُلد في "شَبْرَا" أحد أحياء القاهرة سنة ١٨٩٨م لأسرة مصرية مثقفة، وجد في أبيه الذي كان ينزع إلى قراءة الآثار الأدبية في العربية والإنجليزية موجِّهًا ممتازًا، فقد كانت له مكتبة حافلة بالكتب القيمة في اللغتين، وكان يعرض عليه طرائفهما، ويقرأ معه في كتبهما، فكان يقرأ معه في دواوين الشريف الرضي وشوقي وخليل مطران وحافظ إبراهيم، وغيرها، اختاره الدكتور أحمد زكي أبو شادي وكيلًا لجماعة أبوللو سنة ١٩٣٢م، وكان ينشر في مجلتها أشعاره وعلى واجهات الصحف، توفي في مارس سنة ١٩٥٣م، وقد نشرت له دار المعارف بعد وفاته ديوانه الثالث "الطائر الجريح". (انظر: الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ١٥٤، والأعلام للزركلي، ١/ ٧٦).

العناني، ومحمود أبو الوفا، وحسن كامل الصيرفي، وأحمد ضيف، وأحمد الشايب، وغيرهم.

وقد اختير أمير الشعراء أحمد شوقي رئيسًا لها، وكان ذلك في شهر سبتمبر سنة ١٩٣٢م، وقد توفي في ليلة ١٤ أكتوبر من العام نفسه، أي بعد أقل من شهرين من رئاسته لهذه الجماعة، فخلفه مطران في رئاستها.

وكان من أهم أغراضها[١]:

١- السمو بالشعر العربي وتوجيه جهود الشعراء توجيهًا شريفًا.

٢- مناصرة النهضات الفنية في عالم الشعر.

٣- ترقية مستوى الشعراء ماديًّا وأدبيًّا واجتماعيًّا، والدفاع عن كرامتهم.

وقد أصدرت هذه الجماعة مجلة تحمل اسمها ، وتنشر أدبها، وتذيع أفكارها، وهي مجلة " أبوللو"، فكانت أول مجلة خصصت للشعر ونقده في العالم العربي، كما أنها أصدرت الكثير من الكتب والدواوين لبعض أعضائها.

وبلغ تأثير "أبوللو" في الشعر العربي أن كثيرًا من الشعراء الكبار قد تأثروا بها وبأجوائها الرومانسية ومعاركها الأدبية المفيدة ، وحققوا عن طريقها المجد والشهرة[٢].

---

(١) دراسات في الأدب المعاصر للأستاذ الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجي، ص ٢٦٦، ٢٦٧، ط دار الطباعة المحمدية ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) انظر: مذاهب الأدب : معالم وانعكاسات لياسين الأيوبي، ص ٢٨٩ ، ط دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٠م .

ومن أهم ما امتازت به آثار أدباء هذه المدرسة : النزعة الرومانسية القائمة على وجوب تمثيل الشعر لخلجات النفس ، وتأملات الفكر، في لفظ رشيق ، وأسلوب متحرر، وخيال مبتكر، بحيث تظهر شخصية الشاعر الفنية ، وينطبع نتاجه بها.

وقد قامت هذه المدرسة بثورة تجديدية كبيرة في بناء القصيدة الفني، فنظم بعض شعرائها ما يسمى بالشعر الحر، واحتفى بعضهم بالشعر المرسل، ونوعوا الأوزان ، وجددوا فيها ، وعددوا القوافي ، ونظموا الشعر القصصي ، والروايات التمثيلية ، والأقصوصة الشعرية ، وصاغوا الأناشيد في الهيام بالطبيعة ووصف الجمال والتحدث عن أعمق خطرات النفس الإنسانية غير مبالين بالمناسبات الطارئة، والحالات الوقتية الملحة.

ونادوا بتحرر القصيدة في شكلها ومضمونها، وفي فكرتها وصورتها الموسيقية من قيود كثيرة، ورددوا مذهب الفن للفن ومذهب الفن للحياة، وأن الشعر عاطفة وخيال، وفكرة وموسيقى، وصورة شعرية[1].

يقول أحمد زكي أبو شادي في قصيدته قصيدتي الكبرى[2]:

أَنَا لَا أَلُومُ الْغَافِلِينَ إِذَا أَبَوْا ... شِعْرِي وَعَابُوا رَوْعَتِي وَرُوَاتِي

هَلْ يُدْرِكُونَ قَصِيدَةً لِعَوَاطِفِي ... وَهُمُ الَّذِينَ أَبَوْا قَصِيدَ حَيَاتِي

أَحْيَا لِغَيْرِي وَالدَّقَائِقُ مِلْؤُهَا ... نَغَمِي وَمِلْءُ دُمُوعِهَا أَبْيَاتِي

---

(١) دراسات في الأدب المعاصر للأستاذ الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجي، ص٢٩٠.

(٢) ديوانه ، ص ٢٣٧.

فَقَصِيدَتِي الْكُبْرَى حَيَاتِي كُلُّهَا وَأَقَلُّهَا شِعْرِي وَوَهْمُ عُدَاتِي

سَتَعِيشُ رُوحِي فِي جَدِيدٍ دَائِمٍ لِلشِّعْرِ ثُمَّ تَعِيشُ بَعْدَ مَمَاتِي

ويقول في قصيدة التسامح [1] :

مَا شَكَاتِي مِن الأَنَامِ عَدَاءُ أَنَا مِنهُم فَمَا عَدائِي لِنفْسِي

هِي عَتَبُ الْمُحبِّ مَهمَا قَسَا العَتـ ـبُ فَمَا يَأسِي الأَلِيمِ بِيَأسِ

لَيسَ سُخطِي سِوى تَشَوُّقِ وِجـ ـدَانِي لإِصلَاحِهم وإِيثَارِ حِسِّي

كَمْ سَفِيهٍ يَنَالُنِي وَأَنَا الحَا نِي عَلى رُوحِهِ بِرُوحِي وَأُنسِي

وَعِقَابِي لَهُ يُلَاحِقُهُ الصَّفْـ ـحُ وَيَا رُبَّمَا أُعَاقِبُ نَفسِي

ويقول إبراهيم ناجي:

يا فُؤَادِي رَحِمَ اللهُ الهَوَى كَانَ صَرْحًا مِنْ خَيَالٍ فَهَوَى

اِسْقِنِي واشْرَبْ عَلَى أَطْلاَلِهِ وارْوِ عَنِّي طَالَمَا الدَّمْعُ رَوَى

كَيْفَ ذَاكَ الحُبُّ أَمْسَى خَبَرًا وَحَدِيْثًا مِنْ أَحَادِيْثِ الجَوَى؟

وَبِسَاطاً مِنْ نَدَامَى حُلَلٍ هم تَوَارَوا أَبَدًا وَهُوَ انْطَوَى

***

يَا رِيَاحًا لَيْسَ يَهْدأ عَصْفُهَا نَضَبَ الزَّيْتُ وَمِصْبَاحِي انْطَفَا

وَأَنَا أَقْتَاتُ مِنْ وَهْمٍ عَفَا وَأَفِي العُمْرَ لِنَاسٍ مَا وَفَى

كَمْ تَقَلَّبْتُ عَلَى خَنْجَرِهِ لاَ الهَوَى مَالَ وَلاَ الجَفْنُ غَفَا

وَإِذا القَلْبُ عَلَى غُفْرانِهِ كُلَّمَا غَارَ بِهِ النَّصْلُ عَفَا

***

(١) ديوانه ، ص ٦٢٦ .

يَــا غَرَامــاً كَــانَ مِنِّــي فِي دَمــي قَــدَرًا كَــالمَوْتِ أَوْ فِي طَعْمِــهِ
مَــا قَضَــيْنَا سَــاعَةً فِي عُرْسِــهِ وقَضَــيْنَا العُمْــرَ فِي مَأْتَمِــهِ
مَــا انْتِزَاعــي دَمْعَــةً مِــنْ عَيْنَيْــهِ وَاغْتِصَــابي بَسْــمَةً مِــنْ فَمِــهِ ؟
لَيْــتَ شِــعْري أَيْــنَ مِنْــهُ مَهْــرَبي أَيْــنَ يَمْضــي هَــارِبٌ مِــنْ دَمِــهِ؟

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان استقبال القمر:

أَقبِــلْ بموكِبِــكَ الأغَــرْ مــا أظمَــأَ الأبصَــارَ لــكْ!
العَــينُ بَعــدَكَ يَــا قَمــرْ عَميــاءُ والــدُّنيا حَلَــكْ

***

تَمْــضِي وَرَاءَ سَــحابَةٍ تَحْنُــو عَليــكَ وتَلثُمَــكْ
وَأَنَــا رَهِــينُ كآبَــةٍ بِخَــوَاطِرِي أَتوهَّمَــكْ

***

كُــن حَيــثُ شِئتَ فَـمَا أَنَـا إِلَا مُعنَّــى بِالمُحَــالْ
أَغــدُو لِقُدسِــكَ بِــالمُنَى وَأَزُورُ عَرشَــكَ بالخَيَــالْ

***

قَمــرَ الأَمَــانِي يَــا قَمــرْ إِنِي بِهَــمٍّ مُســقَمِ
أَنَــتَ الشِّــفَاءُ المُــدَّخَرْ فَاسكُبْ ضِيَاءَكَ فِي دَمِي

***

خُــذْنِي إِليــكَ ونَجِّنِــي مِمَّــا أُعَــانِي فِي الثَّــرَى
قَــدَحِي تَرَنَّــقَ فَاسقِنِي قَــدَحَ الشُّــعَاعَ مُطَهَّــرا

ويقول علي محمود طه[1] مصورًا بعض مفاتن الطبيعة الريفية، مازجًا بها حسّه وشعوره:

إِذَا دَاعَبَ المَاءُ ظِلّ الشَّجرْ ... وغازلت السُّحبُ ضَوءَ القَمَر
وردَّدتِ الطيرُ أنفاسَها ... خَوافقَ بين الندى والزَّهَرْ
وناحتْ مُطوَّقةٌ بالهوَى ... تُنَاجي الهَدِيلَ وتَشكُو القَدَر
ومَرّ عَلى النَّهرِ ثَغْرُ النَّسِيم ... يُقبِّلُ كلّ شِراعٍ عَبَر
وأطلَعَت الأرضُ مِن لَيلِهَا ... مَفَاتِنَ مُختَلِفَاتِ الصُّوَر
هُنَالِكَ صَفصَافَةٌ فِي الدَّجَى ... كَأنَّ الظّلَامَ بِهَا مَا شَعَر
أَخَذتُ مَكَانِيَ فِي ظِلِّهَا ... شَرِيدَ الفُؤَادِ كَئِيبَ النَّظَر
أمرُّ بِعَينِي خِلَالَ السَّمَاءَ ... وأطرِقُ مُسْتَغْرِقًا فِي الفِكَر
أُطَالِعُ وَجهَكِ تَحتَ النَّخِيلِ ... وَأسمَعُ صَوتَكِ عِندَ النَّهَر
إلى أنْ يَمَلّ الدَّجى وحْشَتي ... وتَشكُو الكَآبةُ مِنِّي الضَّجَر
وَتَعجَبُ مِن حَيرَتِي الكَائِنَات ... وَتُشْفِقُ مِنِّي نُجُومُ السَّحَر
فَأمضِي لَأرجِعَ مُستَشرِفًا ... لِقَاءَكِ فِي المَوعِدِ المُنتَظَرْ!!

* * *

(١) هو: علي محمود طه ، وُلد سنة ١٩٠٢م في بلدة المنصورة المطلة على فرع دمياط بشمال الدلتا لأسرة متوسطة على حظ من الثقافة ، التحق بمدرسة الفنون التطبيقية وتخرج فيها سنة ١٩٢٤م، وعُين بهندسة المباني في بلدته ، كان أديبًا شاعرًا، تيقظت مواهبه الشعرية في وقت مبكر، ومن أشهر دواوينه: الملاح التائه، ميلاد الشاعر، الوحي الخالد ، شرق وغرب ، الشوق العائد ، وغيرها، عيّن في سنة ١٩٤٩م وكيلًا لدار الكتب ، وتوفي في العام نفسه . (انظر: الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ١٦١، والأعلام للزركلي، ٥/ ٢١).

المبحث الثاني عشر

مدرسة شعراء المهجر

المبحث الثاني عشر
مدرسة شعراء المهجر

في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر اضطر بعض أبناء الشام إلى الهجرة من وطنهم بسبب الاضطهاد السياسي، والصراع الديني، والفقر، والتطلع إلى الحرية والكسب أو الثراء، وقد اتجه هؤلاء المهاجرون إلى الأمريكتين: الشمالية أولًا، والجنوبية بعدها بنحو عشرين عامًا، ثم توالت الهجرات وتتابعت.

وقد لقى هؤلاء المهاجرون متاعب كثيرة في أول الأمر، ومع ذلك فقد عكف بعضهم على دراسة الآداب الغربية، وأنشأوا رابطتين للأدب العربي في المهجر، هما:

١ـ الرابطة القلمية:

وقد تأسست في نيويورك بأمريكا الشمالية سنة ١٩٢٠م، وكانت ريادتها لجبران خليل جبران، ومن أعضائها: نسيب عريضة، وعبد المسيح حداد، وميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي[١]، ورشيد أيوب[٢]، وغيرهم، وكانت هذه الجماعة تميل إلى التجديد والثورة على الشعر التقليدي.

---

(١) هو: إيليا بن ضاهر أبي ماضي، من كبار شعراء المهجر، ومن أعضاء (الرابطة القلمية) ، ولد في قرية (المحيدثة) بلبنان ١٨٨٩م، وسكن الإسكندرية ١٩٠٠م، أولع بالأدب والشعر حفظًا ومطالعةً ونظمًا، وهاجر إلى أمريكا ١٩١١م فاستقر في (سنسناتي) خمسة أعوام، وانتقل إلى نيويورك ١٩١٦م، فعمل في جريدة (مرآة الغرب) ثم أصدر جريدة (السمير) أسبوعية سنة ١٩٢٩م، فيومية في بروكلن إلى أن توفي بها ١٩٥٧م، نضج شعره في كبره، وغُنّي ببعضه، وزار وطنه قبيل وفاته. (انظر: الشعر العربي في المهجر- أمريكا الشمالية ، د/ إحسان عباس، ود/ محمد يوسف نجم، ص١٣١، دار صادر - بيروت، والأعلام للزركلي، ٢/ ٣٥).

(٢) هو: رشيد بن نصر الله أيوب: شاعرٌ مَهجَريٌّ لبناني، وأحد الأعضاء المؤسسين للرابطة القلمية=

٢ـ العصبة الأندلسية:

وقد تأسست في البرازيل بأمريكا الجنوبية، أسسها ميشال معلوف سنة ١٩٣٢م، ومن أعضائها: الشاعر القروي رشيد خوري[١]، وإلياس فرحات، وفوزي المعلوف، وشقيقاه: شفيق ورياض، ونعمة قازان، وحليم خوري، وغيرهم، وكان هؤلاء الشعراء يعملون على أن يكون لكل أديب أسلوبه يبتكر فيه ما يشاء، مع ميلهم إلى المحافظة على التراث القديم، وصيانة الثروات الأدبية التي يحويها الأدب العربي، والعمل على عقد الصلة بين القديم والجديد.

أهم خصائص الشعر المهجري :

١ – التأمل في حقائق الكون والحياة :

= في نيويورك ، وُلِدَ بجبل لبنان سنة ١٨٧١م ، وتنقل في سفره بين باريس ١٨٨٩م ثم مانشستر، إلى أن استقر بأمريكا في مدينة «نيو أورلينز» الأمريكية، حيث عمل بالتجارة، لكنه نزح إلى نيويورك بحثًا عن مُناخ أدبيٍّ يحفِّز طاقته الإبداعية فتم له ما أراد، كان يُدعى «الدرويش» نسبةً إلى ديوانه «أغاني الدرويش»، كما لُقِّب بـ «الشاعر الشاكي» لكثرة ما تردَّد من شكوى الدهر في قصائده، تُوُفِّيَ بمَهجَرِه سنة ١٩٤١م بعد أن قدَّم العديد من إبداعاته الشعرية في دواوين ثلاثة؛ هي: الأيوبيات، وأغاني الدرويش، وهي الدنيا. (انظر: الناطقون بالضاد في أميركا الجنوبية، البدوي الملثم ، ص٤٠، بيروت، ١٩٥٦م، والأعلام للزركلي، ٣/ ٢٢).

(١) هو: رشيد سليم الخوري، المعروف بـ "الشاعر القروي" و"شاعر العروبة، ولد في قرية البربارة سنة ١٨٨٧م، وهاجر إلى البرازيل في عام ١٩١٣م، تولّى رئاسة تحرير مجلة "الرابطة" لمدة ثلاث سنوات، ثم رئاسة "العصبة الأندلسية" عام ١٩٥٨م، فكان رئيسها الثاني بعد ميشال معلوف، وظل في المهجر مدّة خمسةٍ وأربعين عامًا؛ حيث عاد إلى وطنه الذي قضى فيه ثلاثًا وعشرين سنة، وكان ذلك في عام ١٩٥٨م. (انظر: تَكملَة مُعجم المُؤلفين، محمد خير رمضان ، ص ١٨٣-١٨٤، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م).

واستبطان النفس الإنسانية، بتأمل الشاعر نفسه ، ومشاركته لمن حوله، فهذا إيليا أبو ماضي يصف جمال الحياة ، ويثني على النفوس الجميلة ، وينعي على الذين لا يشعرون بهذا الجمال ، فيقول :

أَيُّهَـذا الشـاكي وَمـا بِـكَ داءٌ ... كَيفَ تَغدو إِذا غَـدَوتَ عَلـيلَا؟
إِنَّ شَرَّ الجُنـاةِ في الأَرضِ نَفـسٌ ... تَتَـوَقّى قَبـلَ الرَحيـلِ الـرَحيلَا
وَتَرى الشَوكَ في الوُرودِ وَتَعمى ... أَن تَـرى فَوقَهـا النَـدى إِكلـيلَا
وَالَّـذي نَفسُـهُ بِغَـيرِ جَمـالٍ ... لا يَرى في الوُجـودِ شَـيئًا جَميلَا
فَتَمَتَّـع بِالصُـبحِ مـا دُمـتَ فيـهِ ... لا تَخَـف أَن يَـزولَ حَتّـى يَـزولَا
أَنـتَ لِـلأَرضِ أَوَّلًا وَأَخـيرًا ... كُنتَ مَلكًا أَو كُنتَ عَبـدًا ذَليلَا
كُـلَّ نَجـمٍ إِلى الأَفـولِ وَلَكِـن ... آفَـةُ الـنَجمِ أَن يَخـافَ الأُفُـولَا
هُـوَ عِـبءٌ عَـلى الحَيـاةِ ثَقيـلٌ ... مَـن يَظُـنُّ الحَيـاةَ عِبئًـا ثَقـيلَا
أَيُّهَـذا الشّـاكي وَمـا بِـكَ داءٌ ... كُـن جَميـلًا تَـرَ الوُجـودَ جَميلَا

٢- النزعة القومية والحنين إلى الوطن :

وهو أمـر طبعـي يمليـه الحنـين إلى الأهـل، ويفرضـه الوفـاء للـوطن، والأسى لفراقه، والحسرة على ما ينزل به من أحـداث أو نكبـات، فقـد ظـل المهجريون مرتبطين بأوطانهم ، يتألمون لرضوخها تحت الحكم الاسـتعماري، ويعملون على إيقاظ الوعي ، وإثارة الضمير العالمي ضد المستعمرين، يقـول شفيق معلوف [1]صاحب ديوان "لكل زهرة عبير":

(١) هو: شفيق عيسى المعلوف، الأديب والشاعر، ولد عام ١٩٠٥م، في منطقة زحلة اللبنانية ، وهاجر إلى البرازيل برفقة العديد من الأشخاص، وتوفّي ١٩٧٧م عن عمر ناهز٧٢ سنة.(انظر:=

أَنَا إنْ سَقَطتُ فَخُذْ مَكَاني يَـا رَفِيقِـي فِي الكِفَـاحْ
وَاحمِلِ سِلَاحِي، لَا يُخِفْكَ دَمِي يَسِيلُ مِن السِّلاحْ
وَانظُـرْ إلى شَـفَتِيّ أُطبِقَتَـا عَـلَى هَـوْجِ الرِّيَـاحْ
وَانظُـرْ إلى عَينَـيَّ أُغمِضَـتَا عَـلَى نُـورِ الصَّـبَاحْ
أَنَا لمْ أَمُتْ، أَنَا لمْ أَزلْ أَدعُوكَ مِـنْ خَلـفِ الجِـرَاحْ

ويقول رياض المعلوف [1] في الحنين إلى الوطن:

هَـــلْ يـــا تُـــرى نَعـــودْ لَيْـــكَ يـــا لُبْنـــانْ؟
فَتَصْـــدُقَ الْوُعـــودْ وَيَسْـــمَحَ الزَّمـــانْ
فَبَلَـــدي الْمُهْجـــورْ وكُـــوخِيَ الأَخْضَـــرْ
أَحْـــلى مِـــنَ الْقُصـــورْ وَالـــذَّهَبِ الأَصْـــفَرْ
هَـــلْ يـــا تُـــرى نَعـــودْ إِلَيْـــكَ يـــا لُبْنـــانْ؟

ويقول رشيد أيوب:

أُعَلِّلُ نَفسِـي إنْ سـئمتْ بِعَـودَةٍ ولَكِنَّهَـا الأَيَّـامُ تَبَّـا لَهَـا تبَّـا
فِللَّـهِ هَاتِيَـكَ الرُّبَـا ورُبُوعهـا فـإنِّي قَـد ضَـيَّعتُ فِي تُربِهَـا القَلبَـا

=في الأدب الحديث ، عمر الدسوقي ، ٢/ ١٤٥، ط دار الفكر العربي ، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م).

(١) هو: رياض بن عيسى إسكندر المعلوف ، شاعر لبناني رقيق من شعراء المهجر في البرازيل ، ولد في زحلة في ١٩١٢م ، وفي ١٩٢١م هاجر قاصدًا أخواله في البرازيل ، فغلبت عليه نزعته الأدبية ، كتب الشعر بالعربية والفرنسية ، وتميز شعره بفلسفة الحزن ، وصدرت له دواوين بالفرنسية ، منها : ملحمة ليليت ، وبالعربية صدر له : الأوتار المقطعة ، وغيرها ، وتوفي ٢٠٠٢م. (انظر: في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، ٢/ ١٤٣-١٤٤).

وَيَـا حَبَّـذَا ذَاكَ النَّسِـيمُ فـإِنَّنِي لَيُنعِشُـنِي ذَاكَ النَّسِـيمُ الَّـذِي هَبَّـا

ويقول الشاعر القروي رشيد الخوري:

أُخـتَ العُروبَـةِ هَيِّئـي كَفَنِـي أَنَـا عَائِـدٌ لِأَمُـوتَ فِي وَطَنِـي

٣- النزعة الروحية:

وقد نشأت هذه النزعة الروحية من استغراقهم في التأمل، وبخاصة عندما وازنوا بين موقف كل من الشرق والغرب من القيم الروحية والقيم المادية، مما جعلهم يلجأون إلى الله بالشكوى، ويدعون إلى المحبة، والتعاون والتضافر، ويؤمنون ببناء جوهر الإنسان، وبالأخوة الإنسانية، والعطاء، والإيثار.

وقد شاع في أدبهم التسامح الذي يقوم على المحبة للمجتمع الإنساني كله من غير تعصب لدين أو مذهب، يقول محبوب الشرتوني في إحدى قصائده:

كُلُّ شَعبٍ فَشَا التَّعَصُّبُ فِيه هَانَ، وَالمَوتُ مِن وَرَاءِ هَوَانِه

ويقول في قصيدة أخرى:

قالُوا: تُحِبُّ العُرْبَ؟ قلتُ أُحِبُّهُمْ يَقضِي الجِوارُ عليَّ والأرحامُ

قالُوا: لقد بَخِلوا عليكَ أجبتُهُم أهلي وإن شحُّوا عليَّ كرامُ

قَالُوا: الدِّيَانَةُ؟ قُلتُ: جِيلٌ زَائِلٌ وَتَزُولُ مَعهُ حَزَازَةٌ وخِصَامُ

٤- التوجه نحو الطبيعة ومزجها بالأحاسيس الإنسانية:

فقد اتجهوا إلى الطبيعة، وجسدوها، وجعلوها حية متحركة، ومزجوها

بعواطفهم وأحاسيسهم، يقول إيليا أبو ماضي في وصف ولاية "فلوريدا" الأمريكية:

سُئلتُ ما راقَ نَفسي مِن مَحاسِنِها؟ فَقُلتُ لِلنَّاسِ باديها وَخافيها
وَما حَبَبتَ مِنَ الأَشجارِ قُلتُ لَهُم إِنّي اِفتَتَنتُ بِكاسيها وَعارِيَها
وَما هَوَيتَ مِنَ الأَزهارِ قُلتُ لَهُم الحُبُّ عِندي لِنامِيها وَذاوِيَها
قالوا وَما تَتَمَنّى قُلتُ مُبتَدِرًا يا لَيتَني طائِرٌ أَو زَهرَةٌ فيهَا

ويقول في قصيدة له بعنوان "المساء":

السُّحْبُ تَركُضُ في الفَضاءِ رَكضَ الخائِفين
وَالشَّمسُ تَبدو خَلفَها صَفراءَ عاصِبَةَ الجَبين
وَالبَحرُ ساجٍ صامِتٌ فيهِ خُشوعُ الزاهِدين
لَكِنَّما عَيناكِ باهِتَتانِ في الأُفقِ البَعيد
سَلمى بِماذا تُفَكِّرين
سَلمى بِماذا تَحلُمين
أَرَأَيتِ أَحلامَ الطُفولَةِ تَختَفي خَلفَ التُخُوم
أَم أَبصَرَتْ عَيناكِ أَشباحَ الكُهولَةِ في الغُيوم
أَم خِفتِ أَن يَأتي الدُجى الجَانِي وَلا تَأتي النُّجوم
أَنا لا أَرى ما تَلمَحينَ مِنَ المَشاهِدِ إِنَّما
أَظلالُها في ناظِرَيكِ
تَنِمُّ يا سَلمى عَلَيكِ

وفيها يقول:

لا فَــرقَ عِنــدَ اللّيــلِ بَــينَ النَّهــرِ وَالمُســتَنقَعِ
يُخفــي اِبتِســاماتِ الطَــروبِ كَــأَدمُعِ المُتَوَجِّــعِ
إِنَّ الجَــمالَ يَغيــبُ مِثــلَ القُــبحِ تَحــتَ البُرقُــعِ
لَكِــن لِمــاذا تَجــزَعينَ عَــلى النَهــارِ وَلِلــدُجى

أَحلامُهُ وَرَغائِبُه

وَسَماؤُهُ وَكَواكِبُه

إِن كــانَ قَــد سَــتَرَ الــبلادَ سُــهولَها وَوُعورَهــا
لَم يَســلُبِ الزَّهــرَ الأَريــجَ وَلا المِيــاهَ خَريرَهــا
كَــلّا وَلا مَنَــعَ النَّســائِمَ في الفَضــاءِ مَســيرَها
مــا زالَ في الــوَرَقِ الخَفيــفُ وَفي الصَّــبا أَنفاسُــها

وَالعَندَليبُ صُداحُهُ

لا ظُــفرُهُ وَجَــناحُــهُ

فَاِصغَي إِلى صَوتِ الجَداوِلِ جارِياتٍ في السُــفوح
وَاِستَنشِقي الأَزهارَ في الجَنّــاتِ مــا دامَــت تَفــوح
وَتَمَتَّعــي بِالشَّــهُبِ في الأَفــلاكِ مــا دامَــت تَلــوح
مِــن قَبــلِ أَن يَــأتِي زَمــانٌ كَالضَّــبابِ أَوِ الــدُخان

لا تُبصِرينَ بِهِ الغَدير

وَلا يَلَذّ لَكِ الخَــريــر

ويقول ميخائيل نعيمة[1] متحدثًا عن الغاب وأشجاره وطيوره:

أَشْـــجَارُ الغَـــابِ تُحَيِّنَـــا وَطُيُـــورُ الغَـــابِ تُنَاجِينَـــا
وَزُهُـورُ الغَـابِ تُصَـافِحُنَا وَنُصَـــــافِحُهَا وَتُهَنِّينَـــــا

***

الـــرِّيحُ تَمُـــرُ بِنَـــا خَبَبَـــا فَيَمِـيسُ الْحُـورُ لَهَـا طَرَبَـا
وَالشَّـــمْسُ بِلُطْـفٍ تَلْـثُمُ أَوْ جُهَنَـا وَتَـذرُّ لنَـا ذَهَبَـا

***

أَغْصَـانُ الغَـابِ تُلَاعِبُنَـا وَهَـوَامُ الغَـابِ تُـدَاعِبُنَا
وصُخُورُ الـوَادِي تَـدْعُونَا وَصَدَى الأَجْرَاسِ يُعَاتِبُنَا

***

هَا هُـم أَتْـرابِي قَـدْ سَرَحُـوا فِي الغَـابِ يَقُـودُهُمُ المَـرَحُ
وَبَقِيتُ أَنَـا وَحْـدي سَـكْرَا نَا يَـرْقُصُ فِي قَلْبِـيَ الفَـرَحُ

***

فَجَلَسْتُ عَلَى كَتِـفِ النَّهْـرِ مَا بَيْنَ العَوْسَـجِ والزَّهْـرِ
العَـــالَمُ مَملَكَتِـــي وَأَنَـــا سُـلْطَانُ العَـالَمِ والـدَّهْرِ

---

(١) هو: ميخائيل نعيمة، مفكّر لبناني ، وشاعر، وقاصّ، ومسرحيّ، وناقد، وكاتب مقال ، وواحد من المجددين ، ولد في لبنان ١٨٨٩م ، وانتقل إلى روسيا بمنحة لمتابعة دراسته بين عامي ١٩٠٦ و١٩١١م حيث تسنّى له الاطّلاع على الأدب الروسي ، ثم التحق بجامعة واشنطن بالولايات المتّحدة الأمـريكيّـة ١٩١٢م ، أسّس في١٩٢٠م مع جبران خليـل جبران الـرابطة القلميـة ، وكان واضـع دستورها ومستشارها ، أفردت له المكتبة العربيّة مكانةً كبيرةً لما كتبه وما كُتب حوله ، ترك خلفه آثارًا بالعربيّة والإنجليزيّة والرّوسيّة ، وتوفي شباط ١٩٨٨م. (انظر: ميخائيل نعيمة ، طريق الذّات إلى الذّات ، د/ نديم نعيمة ١٩٧٧م ، والمرأة في فكر ميخائيل نعيمة ، د/ زكيّة يوسف نعيمة ، دار المشرق، ٢٠١٧م) .

ومن خصائص شعراء المهجر: التمسك بالوحدة الموضوعية، وميلهم إلى الرمز ، والاهتمام بالصورة الشعرية، كما مالوا إلى استخدام اللغة الحية ، والكلمة المعبرة ، والأسلوب السهل السلس، غير أن بعضهم وقع في استخدام بعض الألفاظ العامية أو القريبة منها .

* * *

قائمة بأهم المراجع

١. اتجاهات النقد الأدبي العربي ، أ.د/ محمد السعدي فرهود ، ط : دار الطباعة المحمدية ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢. أدب السياسة في العصر الأموي ، د/ أحمد محمد الحوفي ، ط: دار القلم، بيروت .

٣. أعلام الشعراء العباسيين ، سلمان هادي الطعمة ، ط: دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٧م.

٤. الأعلام للزركلي ، ط: دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشرة ، ٢٠٠٢م .

٥. الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، تحقيق : سمير جابر ، ط : دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

٦. امرؤ القيس بين القدماء والمحدثين، د/ السيد محمد الديب ، ط : دار الطباعة المحمدية ،١٤٦٠هـ- ١٩٨٩م.

٧. امرؤ القيس حياته وشعره، الطاهر أحمد مكي، ط: دار المعارف ، الطبعة السادسة ، ١٩٩٣م.

٨. البحتري ، د/ أحمد أحمد بدوي ، ط: دار المعارف ، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٩م .

٩. البديع في البديع ، لأبي العباس عبد الله بن المعتز ، ط: دار الجيل ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٠. البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ ، تحقيق: د/ أحمد أحمد بدوي، ط مصطفى الحلبي، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .
١١. البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ ، ط: دار الجيل، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ .
١٢. البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية ، د/ بدوي طبانة ، ط: مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية، ١٩٥٨م.
١٣. البيان والتبيين للجاحظ ،ط: دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.
١٤. بيروت ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
١٥. بين معلقتي امرئ القيس وزهير بن أبي سلمى، د/ عبد الله أحمد باقازي ، ط: مطبوعات نادي الطائف الأدبي، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.
١٦. تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، تحقيق: عبد الحليم النجار، رمضان عبد التواب ، ط: دار المعارف ، القاهرة .
١٧. تاريخ الأدب العربي، لشوقي ضيف ، ط: دار المعارف ، القاهرة .
١٨. تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ ، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٩٨١م .
١٩. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام للذهبي، تحقيق: د/ بشار عوّاد معروف ،ط: دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٣م.
٢٠. تاريخ الشعر السياسي ، أ/ أحمد الشايب ، ط: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٦م.

٢١. تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي ، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٢٢. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي ، ط : دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.
٢٣. تَكملَة مُعجم المُؤلفين، محمد خير رمضان، ط: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م .
٢٤. التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، د/ بدوي طبانة، ط: مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م ، الجزء (١) من وزارة الثقافة ٢٠٠٧ م، والجزء (٢، ٣، ٤): ط: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
٢٥. جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ، حققه وضبطه : علي محمد البجاوي ، ط: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨١م.
٢٦. جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، تحقيق: لجنة من العلماء ، ط: دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٢٧. جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ، د/ قاسم علي سعد، ط: دار البحوث للدراسات الإسلامية ، دبي ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٢٨. حديث الأربعاء لـطه حسين ، ط: دار المعارف ، ١٩٥٣م.
٢٩. الحيوان للجاحظ ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الجيل .

٣٠. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ، ط: دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٤هـ .
٣١. دراسات في الأدب المعاصر، أ.د/ محمد عبد المنعم خفاجي ، ط: دار الطباعة المحمدية، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.
٣٢. ديوان أبي تمام الشاعر، الأديب ، ط: دار الكتب العلمية . بيروت .
٣٣. ديوان أبي نواس، تحقيق: أ/ أحمد عبد المجيد الغزالي ، ط: دار الكتاب العربي ، بيروت.
٣٤. ديوان العقاد ، ط : مطبعة المعاهد، القاهرة، ١٣٣٩هـ- ١٩٢١م.
٣٥. ديوان المازني، ط: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م.
٣٦. ديوان المعاني لأبي هلال العسكري، تحقيق: أحمد حسن بسج ، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
٣٧. ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق: حمدو طماس، ط: دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٣٨. ديوان امرِئ القيس، ط: دار المعرفة ، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٣٩. ديوان بشار بن برد ، جمعه وشرحه: فضيلة الشيخ/ محمد الطاهر ابن عاشور، ومحمد رفعت فتح الله، ومحمد شوقي أمين، طبع جزء (١) ط وزارة الثقافة ، الجزائر ، ٢٠٠٧م ، جزء ٢ ، ٣ ، ٤ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .

٤٠. ديوان جميل بثينة ، ط: دار صادر، بيروت، ١٩٨٢م.
٤١. ديوان عبد الرحمن شكري، تقديم: فاروق شوشة ، ط: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٥٨م .
٤٢. ديوان مجنون ليلى لقيس بن الملوح ، جمع وتحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط: دار مصر للطباعة .
٤٣. الرثاء في الشعر العربي، د/ محمود حسن أبو ناجي، ط: مكتبة الحياة، ١٩٨١م.
٤٤. رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط: الخانجى، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.
٤٥. زهر الآداب وثمر الألباب للحصري ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢م.
٤٦. سلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة ، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط ، ٢٠١٠ م.
٤٧. سمط اللآلي في شرح آمالي القالي، لأبي عبيد البكري؛ تحقيق: عبد العزيز الميمني، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٣٥م.
٤٨. سير أعلام النبلاء للذهبي، ط: دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٤٩. شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي، تحقيق: راجي الأسمر، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٥٠. شرح ديوان الحماسة للتبريزي ، ط: دار القلم ، بيروت .
٥١. الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، د/ عبده بدوي، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م.
٥٢. شعراء العرب المعاصرون لأحمد زكي أبو شادي، الطبعة الأولى، ١٩٥٨م.
٥٣. شعراء فرس في أدب العرب، د/ يوسف حسين يسار .
٥٤. شعر ابن ميادة، جمع وتقديم د / حنا جميل حداد ، ط: مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٨٢م .
٥٥. الشعر العربي في المهجر- أمريكا الشمالية، د/ إحسان عباس، و د/ محمد يوسف نجم ، ط: دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٢م.
٥٦. الشعر في ظلال المناذرة والغساسنة، د/ عمر شرف الدين ، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.
٥٧. الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ط: دار الحديث، القاهرة ، ١٤٢٣هـ .
٥٨. الشوقيات لأمير الشعراء أحمد شوقي، ط: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ٢٠١٢م .
٥٩. طبقات الشعراء لابن المعتز، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط: دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٦م.
٦٠. طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط: دار المدني ، جدة، ١٩٨٠م .

٦١.العشاق الثلاثة ، د/ زكي مبارك، ط: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ٢٠١٢م.
٦٢.العقد الفريد لابن عبد ربه ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ.
٦٣.العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: دار الجيل، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م .
٦٤.عيار الشعر لابن طباطبا، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع ، ط: مكتبة الخانجي ، القاهرة .
٦٥.عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، تحقيق: د/ نزار رضا، ط : دار مكتبة الحياة ، بيروت .
٦٦.الغزل منذ نشأته حتى صدر الدولة العباسية ، د/ محمد سامي الدهان ، ط: دار المعارف ، القاهرة، ١٩٨١م.
٦٧.الفنون البديعية في دائرة البحث البلاغي، أ.د/ فوزي السيد عبد ربه عيد، ط: مطبعة الحسين الإسلامية ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٦٨.في الأدب الجاهلي لـطه حسين، ط: دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩م.
٦٩.في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، ط: دار الفكر العربي، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م.
٧٠.في النقد الأدبي، د/ شوقي ضيف، ط: دار المعارف، الطبعة السابعة، ١٩٨٨م.

٧١. قضايا النقد الأدبي الحديث، أ.د / محمد السعدي فرهود ، ط: مطبعة زهران ، القاهرة ، ١٩٦٨م.
٧٢. قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، لأبي محمد الطيب ، تحقيق: بوجمعة مكري ، وخالد وزاري ، ط: دار المنهاج ، جدة ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م .
٧٣. الكامل في اللغة والأدب للمبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار الفكر العربي ، القاهرة، الطبعة الثالثة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
٧٤. كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط: المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٩هـ.
٧٥. لامية العرب للشنفرى، شرح ودراسة: أ.د/ عبد الحليم حفني، ط: مكتبة الآداب، القاهرة ، ١٩٩٩م.
٧٦. لسان العرب لابن منظور، ط: دار صادر، بيروت ، ١٤١٤ هـ .
٧٧. محاضرات في النقد الأدبي ، أ.د / محمد عرفة المغربي ، ط: المؤلف .
٧٨. المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده المرسي ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط: دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٤٢١ هـ -٢٠٠٠ م.
٧٩. مختار الشعر الجاهلي للأعلم الشنتمري ، تحقيق وشرح : مصطفى السقا ، ط: مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م.

٨٠. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، تحقيق : روحية النحاس ، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع ، ط: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م .
٨١. مدخل إلى دراسة الأدب الجاهلي ، أ.د/ رزق مرسي أبو العباس، ط: المؤلف، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٨٢. مذاهب الأدب .. معالم وانعكاسات لياسين الأيوبي ، ط: دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٨٠م.
٨٣. المرأة في فكر ميخائيل نعيمة، د/ زكيّة يوسف نعيمة، ط: دار المشرق، ٢٠١٧م.
٨٤. مظاهر الشعوبية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، د/ محمد نبيه حجاب، ط: نهضة مصر ، ١٩٩٦م.
٨٥. معالم على طريق النقد القديم، د/ رجاء عبد المنعم جبر، ط: مكتبة الشباب ، القاهرة .
٨٦. معجم الأدباء لياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.
٨٧. معجم الشعراء، لأبي عبيد الله المرزباني ، تصحيح وتعليق : أ.د/ ف . كرنكو ، ط: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط : الثانية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
٨٨. المعجم الوسيط ، ط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٩٨م.
٨٩. معلقة امرئ القيس في ضوء جديد ، د/ عبد الحليم حفني ط: المؤلف، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٩٠. المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، د/ فوزى السيد عبد ربه ، ط : الأنجلو المصرية، ٢٠٠٥م.
٩١. ملامح وغضون صور خاطفة لشخصيات لامعة ، محمود تيمور ، ط: مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٥٠م.
٩٢. من نسب إلى أمه من الشعراء لمحمد بن حبيب البغدادي ، تحقيق: عبد السلام هارون.
٩٣. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي، المجلد الأول والثاني: تحقيق/ السيد أحمد صقر، ط: دار المعارف، الطبعة الرابعة: سلسلة ذخائر العرب، المجلد الثالث: تحقيق: د/ عبد الله المحارب، ط: مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م.
٩٤. المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم للآمدي، تحقيق : أ.د/ ف. كرنكو، ط: دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ .
٩٥. الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء لأبي عبيد الله المرزباني ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، ط : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٩٦. ميخائيل نعيمة طريق الذّات إلى الذّات ، تأليف : د/ نديم نعيمة ، ط المطبعة الكاثوليكية ١٩٧٨م .
٩٧. النابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية لمحمد زكي العشماوي، ط: دار الشروق، ط :١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٩٨. الناطقون بالضاد في أميركا الجنوبية، البدوي الملثم ، بيروت، ١٩٥٦م.
٩٩. نقد الشعر لقدامة بن جعفر، ط: مطبعة الجوائب، تركيا، ١٣٠٢هـ.
١٠٠. نماذج بشرية، د/ محمد مندور، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٧م .
١٠١. نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ، ط: دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ .
١٠٢. الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، ط: دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
١٠٣. وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي ، ط : دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
١٠٤. الوساطة بين المتنبي وخصومه لأبي الحسن الجرجاني ، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي ، ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٩٦م .
١٠٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، تحقيق: إحسان عباس ، ط: دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٢م.

* * *

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
*	مقدمة .	٥
١.	المبحث الأول : مدرسة المعلقات .	٢٣
٢.	المبحث الثاني : مدرسة عبيد الشعر .	٤١
٣.	المبحث الثالث : مدرسة الصعاليك .	٥٩
٤.	المبحث الرابع : مدرسة شعراء النقائض .	٦٧
٥.	المبحث الخامس : مدرسة الغزل العذري .	٨١
٦.	المبحث السادس : مدرسة الشعراء الشعوبيين .	٩٧
٧.	المبحث السابع : مدرسة الصنعة البديعية .	١١٧
٨.	المبحث الثامن : مدرسة الطبع .	١٢٩
٩.	المبحث التاسع: مدرسة شعراء الموشحات .	١٤٧
١٠.	المبحث العاشر : مدرسة الديوان .	١٥٩
١١.	المبحث الحادي عشر : مدرسة أبوللو .	١٧٧
١٢.	المبحث الثاني عشر : مدرسة شعراء المهجر .	١٨٥
١٣.	قائمة بأهم المراجع .	١٩٥
١٤.	فهرس الموضوعات .	٢٠٦

* * *

الناشر / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رقم الإيداع :

الترقيم الدولي: